ألطّبَابَةُ آلكونِيّةُ

ألجّزءُ آلثانيّ

ألعارف ألحكيم عزيز حميد مجيد

سنة التأليف 2015

فهرست المواضيع رقم آلصّفحة

1- المقدمة.....7
2- ألحوار هو الحلّ الأمثل لمشاكل و محن المجتمعات.....12
3- حقيقة و دور ألعرفان في سلامة و سعادة البشر.....16
4- ألطريق للطبابة الكونيّة.....21
5- أهم نتائج البحوث السّابقة في آلجزء الأول.....24
6- جوهر المشكلة التكوينيّة للبشر.....27
7- دور الفلسفة الكونيّة في سعادة الأنسان.....35
8- رواد الحضارات الإنسانيّة لا المدنيّة.....41
9- لماذا لا بديل للطبابة الكونية في هذا العصر.....46
10- مشكلة الحضارة المعاصرة.....50
11- أخطر قانون دمّر البشريّة.....53
12- ألفصل الأوّل و هو آلأصل ألأوّل:
- كيف نُنَمّي (ألبصيرة).....58
13- قيمة الأنسان في الوجود بآلقياس مع المادة التي تحدّد الأمور و التسامح.....66
14-كيفية ترتيب الأولويات لإدامة الستراتيجيّات.....71
15- تجربة إحساس لذّة العفو.....76
16- ألثّقة بآلنّفس نقطة الأنطلاق.....80
17- لماذا كل تلك المقاومة أمام (الأصل).....93
18- ألوسائل الموصلة لما وراء المادّة.....99
19- خلاصة الفصل الأوّل.....105
20- ألفصل الثّانيّ : حول التّفكر :
- فلسفة التّفكر.....108
21- درس هامّ حول آلفكر .. بحسب آراء الفلاسفة.....111
22- لماذا تتخيّيل .. و كيف يتحقق الخيال؟.....118
23- أربعة أصول مؤثرة في آلخيال.....119
24- هل أنت مُفكّر ذو نظرة ثاقبة.....128
25- بعد آلأسئلة الكونيّة؛ مآلفرق بين قوانين الواقع و الرّؤيا.....129
26- ألقواعد السّبعة لعالم الرّؤيا.....134
27- أسباب ضعفنا أمام المادّيات و الأصول السّبعة.....138
28- كيف نحافظ على أنفسنا من فخّ المادة.....147
29- ألفصل الثالث : وحدة الوجود:
- ألمقدمة.....147
- آفاق وحدة الوجود.....150
31- ألفلسفة الكونيّة بين (آلكثرة و آلوحدة).....151
32- لماذا الفلسفة الكونيّة لازمة لكل باحث و مفكر و مرجع.....152
33- ألصّورة آلجّديدة لواقعنا في هذا الوجود.....156
34- قبل الختام.....160
35- ألخاتمة.....163
36- رسالتي الأخيرة للعالم.....167

بسم الله الرّحمن ألرحيم

ألمقدمة:

ألمقدمة:

في الجزء الأول بيّنا المقدمات ألّلازمة للطبابة ألكونيّة العرفانيّة, و في هذا الجزء, عرضنا صفحات كونيّة عن أسباب معاناة الأنسان و إبتلائه بأنواع المشاكل و الفايروسات والأمراض الرّوحية والنفسيّة والجسدية, و التي تُفرض علينا اللجوء إلى الطبابة الكونيّة كطريق وحيد لشفائها :

فما هي الطبابة الكونية العرفانية و ما متطلباتها؟ و هل يمكن للأنسان ألذي يجهل نفسه و محيطه إستخدامها و الإستفادة منها؟
و كيف يتمّ إستخدامها؟

هكذا بدأ بعض الأطباء الرّوحانيون و الفلاسفة و منهم (أليكسيس كارل) فلسفته بوصف الأنسان ـ كما أكثر الفلاسفة و الحكماء – بكون غبائه بلا حدود .. بعد ما إعتبر كلّ شيئ فيه لغز و في مقدمتها الرّوح و الموت و حتى الوجود و الحياةُ نفسها؛ الموتُ لغزٌ؛ طبيعةُ الإنسان لغزٌ؛ عودته إلى اللا مجهول, و ما أشدَّ غربةَ هذا الإنسان و أقساها، حين يعيشُ غبيّاً و جاهلاً و غريبًا و وحيداً و يموتُ غريبًا و حيداً ثمّ يُبعث وحيداً ووو ولو تمكنا من معرفة حقيقة الموت و الروح, فأنّ أكبر مشكلة ستحل في حياة الأنسان؟

وهكذا كان الفلاسفة الثلاث الذي رسموا الطريق لأوربا جديدة و غرب آخر ينعم بآلتقدم و الحرية بعيداً عن إستبداد الملوك و القساوسة, و كان لمارتن لوثر الدور الأبرز في إستنهاض الناس و دحر أباطيل الكنيسة,وهكذا لـ (شوبنهاور) الذي عُرف بفيلسوف الذّات دوراً كبيراً أيضا بحيث أصبح أستاذا لآبرهام ماسلوا وغيره رسمه خارطة طريق السعداء و الناجحين, فقد كتبوا بشكل مفصل عن الدوافع و المنافع و الذات الأنسانيّة الغريبة و كيفية تقويمها و إسعادها!

الإنسانُ غريبٌ في هذا العالَم بأطواره لأنه إنقطع عن الأصل، غريبٌ عن وجوده المادي في الحياة و الذي عدّه البعض بمثابة القفص(السجن) الذي يكبل الروح؛ غريبٌ عن الزمان والمكان؛ غريبٌ بعد الموت في العالَم الآخر, يقول دوستويفسكي: [الإنسانَ سرٌّ بالنسبة لي، و هذا السرُّ ينبغي أن يُفسَّر؛ أنْ يُشرَح؛ وسوف أمضي حياتي كلّها في البحث عن هذا السرّ؟ من أين جاء الإنسان؛ ومن هو الإنسان؛ والى أين المصير؟ و لماذا يميل للعنف والحسد؛ لماذا يعتدي الإنسان على أخيه الإنسان؟ ولماذا يكون طيّباً أحيانًا؟ وشريرًا أحيانًا أخرى؟].

وحدُه لحظةَ الموتِ يخوضُ الإنسانُ تجربةً وجودية حقيقية رهيبة و عصيبة للمرّة الأولى و الأخيرة، تجتمع فيها أشرس تحدّيات حياته و وجوده و أقساها، وكأنها تختصر كلَّ تجارب عيشه الباهضة .. الطويلة نسبياً لتصبح مجرّد خيال لا أكثر! كيف يمكن أن يكون 70 أو 80 أو 100 عام مجرّد خيال و وهم؟

تجربةُ الموت متفردةٌ و مريرة في كلّ شيء، لا تحدث للإنسان إلا مرة واحدة، لا تشبهها أيةُ تجربة كان يخوضها الإنسانُ في حياته. الموتُ هو الحدثُ الوحيدُ الذي يختزل كلَّ أحداثِ حياةِ الكائن البشري المريرة، وأيامِه الموحشة، وامتحاناتِه الحزينة، وذكرياتِه الكئيبة، ومحنه القاسية. تجربةُ الموت حدثٌ فردي تتوقف فيه رحلةُ الحياة الدنيا، لا يكرر الموتُ تجاربَ الحياة اليومية، ولا يتموضع في خبرات الكائن البشري المعروفة، ولا تنكشف للإنسان حقيقتُه ما دام حيًا.

الموتُ حدثٌ مذهل يشطبُ فورًا كلّ الفوارق العنصريّة والثقافيّة والدينية والسياسيّة والماليّة والاجتماعيّة والطبقيّة، وكلّ تمييزٍ إحتقاري فرضه الإنسانُ المستعلي على الإنسان البائس والضعيف و الفقير .. في الموت يتوحّد الكلُّ رغمًا عنهم؛ يمحو لحظةُ حدوثه كلَّ العناوين والألقاب والرّتب والامتيازات والفوارق؛ يتساوى في الموت الرئيسُ والمرؤوس؛ الغنيُ والفقير؛ القويُ والضعيف؛ الشريفُ والحقير، وغير ذلك من عناوين فرضتها المجتمعاتُ وصنّفت على وفقها الناسَ تراتبيًا, و كنا نتأمل زوال كل الفوارق مع تقدم العلم و التكنولوجيا و المدنية ؛ لكن وقع العكس حيث زادت الفوارق الطبقية و تعمقت و زادت الكراهية و كثرت الحروب بسببها!

الموتُ يلغي كلَّ قناع زائف يتلفع فيه الطواغيتُ والجبارون والمتكبرون والمغرورون والمتغطرسون، يضعهم بعد علوّهم، يصفع هؤلاء بشراسة فيمزق غطرستهم، يوقظهم ليستفيقوا فزعين من سكرتهم مذعورين، يسقطهم فجأةً من عليائهم، ليجدوا أنفسَهم بحالة مزرية يتمنون عندها لو كانوا كمَنْ ينظرون إليهم بازدراء واحتقار من قبل، الموتُ يختطف كلَّ الأضواء والشهرة والاستعلاء الذي ظنوا أنه أبدي لن يفتقدوه, الموتُ هو اللحظة التي يرضخ فيها الإنسان كُرهًا للإعلان عن هشاشته وفقره الوجودي وفاقته وإملاقه، لحظةَ الموت يستحقّ كلُّ إنسان الشفقةَ والعطفَ مهما كان مقامُه في الحياة الدنيا, حدثُ الموت يُخرِس كلَّ اللغات، وتكفّ عن دلالاتها عند مداهمته كلَّ الكلمات.

ولكي نفهمَ معنى الموت لا بدَّ أن نمتلك لغةً تحكي خبرةً جديدةً خارجَ سياق ما تعرفه لغتُنا من دلالات, لن تبوح اللغةُ بمعنى الموت ما لم تكن منبثقة من فضاء الموت, تعجزُ لغتُنا البشرية عن القبض على حقيقة الموت، لأنّ هذه اللغةَ ولدت وتنوعت وتغذّت من أحداثِ حياتنا وتجاربِ عيشنا المألوفة, اللغةُ معطى يختزن خبراتِ تعاطي الإنسان مع كلّ ما حوله من بشر وكائنات حيّة وغير حيّة، تتسع اللغةُ لتصوير أكثرِ أفكارِ الإنسان ومشاعرِه وأحلامِه ومتخيلِه، وتعجز عن التعبير عمّا لا يدرك الذهنُ صورتَه، فتنتقل دلالتُها إلى رمزية،كما في دلالتها على الله والغيب.

الموتُ مأزقٌ وجودي، عند مواجهة الإنسان للموت تصمت كلُّ الفلسفات والآداب والفنون والثقافات واللغات، كلُّها تعجز عن إسعاف الإنسان لحظةَ الموت، لا يُسعِف الإنسانَ في تلك اللحظة إلا صوتُ الله والإيمانُ به. سؤالُ معنى الحياة والموت سؤالٌ ميتافيزيقي، وكلُّ سؤالٍ ميتافيزيقي سؤالٌ فلسفي. لا جوابَ مقنعًا لمعنى الحياة والموت خارج الدين، يتعذر تفسير معنى الحياة والموت ميتافيزيقيا وفقًا للعلوم ولقوانين الطبيعة، في الدين فقط يمكن ان نعثر على معنى للحياة، ومعنى للموت بوصفه طورًا جديدًا لوجود الإنسان، وحياةً أخرى على شاكلة ذلك الوجود.

لا يصنع الكائنُ البشري حاجتَه للدِّين، الحاجةُ للدِّين مستودعةٌ في أعماق الكينونة الوجودية لهذا الكائن لأنّ الدّين نفسه فقد روحه و عرفانه، ما يصنعه هو أشكالُ تديّنه في حياته الفردية والمجتمعية, و يدلّ على ذلك حضورُ الدّين و رموزُه وتعبيراتُه المتنوعة في حياته منذ ظهوره على الأرض حتى اليوم, لا يموت الدينُ إلا أنْ يموتَ الموت، و لا يستطيع الإنسانُ أن يدفع الموتَ عن نفسه مهما حاول بل هو السلاح الأعظم الذي قهر به الله تعالى خلقه.

أقسى أشكال الغربة غربةُ الرّوح في هذا العالَم، تغتربُ الروحُ بسبب اختناقها في سجنها المادي؛ الرّوحُ حين تفتقرُ للصلة بالله؛ تأكلها وحشةُ الوجود المادي، و تستنزفُ طاقتَها ظلماتُه، فتتيه و ينتابها القلقُ والخوفُ والحزنُ والألم وأحيانًا الهلع. الألمُ قدرُ الإنسان حيثما كان، كلٌ منا يتألمُ على شاكلته، لأنّ مَنْ لا يتألمُ لا يتكاملُ.

الإنسانُ مخلوقٌ ضعيفٌ هشٌّ يستحقُّ الشفقةَ والعطف والرعاية لهذا قلنا في همسة كونية بوجوب نشر المحبة خصوصا داخل البيت و العائلة و المجتمع لأنه العامل الأقوى في دفع الأنسان نحو البناء و الأنتاج على كل صعيد .. [فالأشجار تتكأ على الأرض لتنمو و تثمر؛ و الأنسان يتكأ على الحب لينمو و ينتج و يبدع]، إن عجزُه عن تخليص نفسه من الموت هو ما يفضح هشاشتَه وضعفه؛ الإنسانُ ضحيةٌ لجهله بنفسه بجانب 33 صفة مشينة أكدها خالقه في آياته العظيمة و كأن هذا المخلوق جامع للمتناقضات, إلى جانب ذلك غربته واغترابه ومصيره. الحياةُ كأنها مكوثٌ في فندق على عجل، لمدة لا تتجاوز ليلة أو ليلتين في أقصى الأحوال، ومثل هذا المكوث السريع جدًا يتطلب: الصمتَ أكثر من الكلام، التأملَ أكثر من الغفلة، الحضورَ داخل الذات أكثر من الحضور بين الناس، السعي الدائم لتأمين منابع إلهام السلام الباطني، وتغذيتها باستمرار بما يثريها ويرسخها. السلامُ الباطني هو المنبع للحياة الهادئة المطمئنة، السلامُ الباطني مفتاحُ سلام المجتمع. حين يفتقدُ الإنسانُ السلامَ الباطني يعيشُ كئيبًا، يتمزقُ من الداخل، يعجزُ عن اطفاء نار الكآبة المستعرة داخله، وتتحول حياتُه إلى سلسلةٍ لا تنتهي من المكابدات النَكَدة المنهكة.

غرورُ الإنسان، وجهلُه بمحدودية قدراته، وعجزُه عن اكتشاف أعماق نفسه، من أشدِّ أسباب غربته في هذا العالَم، وهذه ليست حالةٌ شاذةٌ في بني آدم. لا يتنبهُ الإنسانُ لعجز جسده، وقصورِ معرفته، وهشاشة عاطفته، وخوائِه الروحي. توهمُ الإنسانُ بقوته الخارقة، وغطرسته وتباهيه بأن علمَه يمكن أن يحيطَ بكلِّ شيء، وإحساسُه بأنه يستطيعُ أن يعيشَ في الأرض، ويؤمّن لنفسه متطلباته المادية والمعنوية، ويتخلص من خوائِه الروحي، من دون أن يحتاج لغيره، وتوهمه بأن الموتَ يمكن أن يقعَ على كلِّ الناس إلا هو، أو على الأقل شعورُه بأن الموتَ يمهله ويمنحه فرصةً بلا نهاية، حتى فراغه من إنجاز كلِّ طموحاته واستيفاء مختلف أحلامه. تتضخم طموحاتُ أكثر الطموحين وأحلامُهم أكثر من قدراتِهم الآنية والمستقبلية

بآلاف المرات، ومع ذلك يظلون يلهثون وراءها بلا أن يتوقفوا برهةً ليعيدوا النظرَ في حدود ذواتهم وافتقارهم للامكانات التي يتعذر عليهم تأمينُها ما داموا أحياء.

غفلةُ الإنسان عن السعي لاكتشاف قدراته، وجهلُه بحدود امكاناته يشعره بعدم القناعة، ويستلب منه الهدوء والشعور بالسلام، ويوقع مشاعره في انفعال متّقد يستنزفه. ما يمكنه إنجازُه بالفعل ضئيل جدًا مقارنةً بما تورطه فيه أوهامُه عن قدراتِه اللامحدودة. يلبث الإنسانُ مسجونًا في اغترابه الوجودي، مادام لا يستطيع التحرّرَ من غروره وجهله بقصور قدراته، ويتنكر لاحتياجه إلى الله. اعترافُ الإنسان بشيء من ضعفه، وانتباهُه لقصور قدراته عن أن تنال كلَّ ما يتمناه من شأنه أن يحرّره من الشعورِ الزائف بالاكتفاء بذاته، والاستغناءِ عن الله، وعدمِ الاحتياج للإيمان الذي ينقذه من اغترابه الوجودي.
يقول علي عزت بيغوفيتش: (إن التسليمَ لله هو الطريقةُ الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التي لا حلَ لها ولا معنى، إنه طريقٌ للخروج بدون تمرد، ولا قنوطَ، ولا عدميةَ، ولا انتحار. إنه شعورٌ بطولي "لا شعور بطل"، بل شعور إنسان عادي قام بأداء واجبه وتقبّل قدره).

للإيمان والدين أثرٌ إيجابي بنّاءٌ على الصحة النفسية ثم الجسدية, فقد أثبت الباحثون بأن 99% من الأمراض الجسدية سببها الحالة النفسية الناشئة من الجو التربوي و الاجتماعي و الأقتصادي و السياسي الحاكم، لهذا فإن آلأيمان الراسخ له أثر و دور!
حمايةِ الإنسان من اضطرابات الشخصية، ولولا الدّينُ وما يغذّيه من المحبة والرحمة والشفقة والتضامن في زرع الأمل و وكلِّ القيم السامية؛ لما استطاع النوعُ الإنساني الاستمرارَ و الإرتقاء في العيش على الأرض كلَّ هذه الأحقاب التاريخية.

ولا يعني ذلك أنّ الإيمانَ و الدِّين يقيان ألإنسانٍ من الاكتئاب والقلق والهلع وغير ذلك من الأمراض النفسية بشكل مطلق! الإيمانُ والدِّين ليسا بديلين عن العلاج و الطب النفسي، لأن الأمراض النفسية تتطلب الكشفُ عنها والتعرّفُ عليها, لأن أسبابها مختلفة وعوامل معقدة و متشابكة ؛ و تحتاج وسائلَ علمية و مهارات خبراء متخصصون، ولا يمكن الشفاءُ منها إلا بمراجعة عيادات نفسية متخصصة، و أحيانًا يتطلب علاجُ الحالات الحادة سنوات طويلة، وتختلف مدّةُ العلاج و أساليبُه تبعًا لنوع المرض و شدّته.
الإيمانُ يظهر أثرُه بوضوح إن كان الإنسانُ يتمتع بسلامة نفسيّة و معرفة معمّقة عن قضية الوجود و الأسئلة الستة، و في حالات المرض النفسي غير المستعصية يمكن أن يخفضَ الإيمانُ من ضراوةِ المرض و فتكِه بالإنسان، ويجعلَ طريقةَ العلاج أسهلَ ومدّتَه أقصر و يشمل هذا الامر المدمنين, حتى مسألة الموت عند قربه و حلوله لا يؤثر على العارف و كأنه يتذوقه كما يتذوق أيّ غذاء أو شراب, لأنه طالما حاور نفسه و تحدث معها عن تلك القضية القاهرة بحيث آلفها و تصادق معها و من هنا يأتي قضية الحوار و دوره في ترويض النفس و تعاملها مع الآخرين و هي مهمة للغاية و تدخل ضمن المعرفة الكونيّة, لأن الذي عرف نفسه عرف ربه .. بل عرف كل شيئ كما يقول الأمام عليّ(ع).

الحوار هو الحل ألأمثَل لمشاكل المجتمع

الحوار هو الحل ألأمثَل لمشاكل المجتمع:

ألحوارُ، الذي يتحقق بين الإنسان وبين نفسه – على مستوى تبرير اليقين في أحكامه ومعتقداته – أولاً، و بينه وبين الآخر، أيًّا كان هذا "الآخر"، – على مستوى الاعتراف به وقبوله – ثانيًا،
في ضرورة تأسيس *بنية عقلية منفتحة*، "مكوّنة" وواعية، تصلح لإجراء تفاهُم معمق وواع بين بنات وأبناء الإنسان، يهدف إلى إرساء قواعد ثابتة لإقامة مجتمع إنساني تتكامل أبعادُه العديدة والمتنوعة في المحبة والتسامح والوعي والحكمة والسلام والطمأنينة والازدهار، بحيث يتجاوز الأطُرَ المحدودةَ والمناهجَ أحاديةَ البُعد التي أشرطتِ الفكرَ والنفسَ والروح، فحالت دون تفتُّح الوجود الإنساني وتطويره والسموّ به إلى مستويات مثالية، وأدت إلى عدم تحقيق المغزى الإنساني المضمون والكامن في الحياة على مستوى الواقع الطبيعي والاجتماعي والكوني، وإلى إسقاط القيمة والمعنى المتأصلين في هذا المستوى.
في هذا المنظور، أسعى إلى تقريب وجهات النظر في إطار هذا الحوار القائم على أسُس *عقلية ونفسية وروحية*، واعية وسامية، وعلى معرفة الطريق المؤدي إلى التفاهم والتلاقي مع الآخر على أساس *الاعتراف بالتنوع* المتأصل في جوهر المبادئ الإنسانية والمبادئ الطبيعية والمبادئ الكونية التي أبدعَها الوعيُ الكوني وهدف إلى تحقيق تأليفٍ بينها يشير إلى تكاملها وتآلُفها وتألقها في حقيقة واحدة سامية.
لما كان الحوار يتألق في تكامُل المواقف الفكرية والنفسية والروحية المنفتحة التي تشير، بدورها، إلى تنوع المبادئ وتَوافُقها في انسجام يكمن في *وحدة تأليفية* تجد أصولَها في عمق الوعي والحكمة والمحبة، فإنني أسعى جاهدًا إلى *تحقيق ما يوجد في عمق كياني* على نحوِ كمونٍ، لأعاين – وأحيا – *الوحدة الضمنية والجوهرية التي تجمع الإنسانية كلها* في حقيقة واحدة، متنوعة في مستويات تعبيرها ومتكاملة في جوهر رموزها وتمثُّلاتها وأسرارها.
في هذا المنظور أيضًا، استطعت أن أتمثل حوارَ الحضارات والثقافات والأديان وتأليفَها في تكامل توحيدي يبدع مني إنسانًا منسجمًا في كيانه، متفهمًا للتنوعات الحضارية والثقافية والروحية، محبًّا للإنسانية جمعاء.
هكذا علمتُ أنني أمثل ثقافةً عقلية وروحية *عالمية*، متنوعةً في ظاهرها ومتكاملةً في جوهرها، تحيا في داخلي وتُمِدني بأسباب قوة الحياة الواعية وتوازُن الشخصية الحكيمة. وهكذا رأيتُ ببصيرتي ما تشتمل عليه حديقةُ كياني من ورود وأزهار، لا تصير إلى وحدة ولا تتكامل في انسجام ما لم أكن قادرًا على *إبداع تأليف بينها*، بحيث تتناغم في نطاق تنوعات الروعة التي تنضوي تحت كتف الجمال الواحد وبهاء اللقاء. والحق هو أن الحديقة التي تزدهي بجمال التنوع أبهى وأكثر تألقًا من تلك التي تزدهي بجمال واحد من الورود أو الزهور.
في هذا المنظور أيضًا وأيضًا، أدركتُ المفهوم السامي والمغزى العميق المضمون في وجود الإنسان:
أولاً: يشير واقعُ وجودنا، على مستوى كوكب الأرض، إلى التنوع الظاهري والوحدة الجّوهريّة؛
ثانيًا: يشير واقعُ الحضارات والثقافات والأديان إلى تنوع ظاهري وتوافق باطني يتألق في حقيقة واحدة؛
ثالثًا: يشير هذا التنوعُ إلى الحكمة السامية التي تؤكد بأنه قانون أو مبدأ إنساني–اجتماعي، وقانون أو مبدأ طبيعي، و قانون أو مبدأ كوني.
وإذ بلغتُ هذا المستوى من التفكير الواعي، ألمجرّد من الإفعال وضيق الأفق الفكري، سألتُ نفسي: كيف أجعل من الحوار سبيلاً إلى تلاقي التنوعات المذهبية ووجهات النظر العديدة والمتخالفة؟ كيف تؤدي المحبة والوعي والحكمة إلى لقاء الإنسان مع الإنسان، إلى تحقيق الآخر في "الآخر"، ليكون كل إنسان انعكاسًا حقيقيًّا لكلِّ إنسان في مرآة الوجود؟ كيف تتلاقى التعبيراتُ المتنوعة لتشكِّل لوحةَ الوجود الواحد؟
علمتُ أن *الإنسان الحكيم يبحث في المبادئ الإنسانية والطبيعية والكونية*، ساعيًا إلى تمثُّلها وتحقيقها وتأليفها في كيانه، هادفًا إلى تجاوُز النزاعات الناجمة عن الجهل بحقيقة الوجود والغاية القصوى من الحياة.
في سبيل هذا التحقيق، سأوردَ ثمان نقاط متصلة بالحوار الذي يؤدي إلى التلاقي ضمن نطاق الاعتراف بالآخر والقبول به:

- **أولاً: المحبة، التي تتجاوز مركزية الأنا، هي السبيل الأول والحقيقي للحوار والأسلوب الذي يشير إلى التسامح العقلي والروحي، الذي يشير، بدوره، إلى الإصغاء التام الهادئ، ومن ثم إلى الفهم الكامل لما يقدِّمه الآخر. ففي المحبة أفهم ما يقوله غيري وما يفكر فيه فهمًا يجعلني أتلاقى معه في نطاق الوعي والحكمة. إن محبتي للآخر تمثل الطريق الذي أسلكه في اتجاه الأبدية – هذا لأن الأبدية لا تفتح بابها إلا لمن كان محبًّا للآخر؛ وهذا لأن محبتي للأبدية تتجسد في محبتي للآخر.**

- **ثانيًا: العقل المنفتح والقلب المنفتح، اللذان يعتمدان الحوار الواعي، غير المتحيّز، ويتجاوزان انفعالاتِ وإشراطات "العقل المكوَّن"، المحتجَز في قوقعة الأنا المغلقة، والقلب العالق في نسيج الحب الانفعالي الملحَق بعنصرية "الأنا التجمعية" المتصلبة.**
- **ثالثًا: العقل المكوّن الذي يعيد النظر في موروثات الماضي المتصلبة، متحررًا من القيود التي فرضتْها التفاسير الحرفية والاجتهادات العمودية، الراسخة في زمانها ومكانها، متجاوزًا إياها إلى عقلانية–روحانية تتأمل الرمز وتستغرق جوهر المعنى والمضمون.**
- **رابعًا: الاعتراف بأن جميع الحضارات والثقافات والأديان روافد تصب في نهر الإنسانية الواسع الذي هو كتاب الأبدية وسجلُّ تاريخ الروح على الأرض.**
- **خامسًا: الإرشاد الحكيم الذي يشير إلى استبعاد توطيد أسُس "القطب الواحد" في نطاق معرفة الحقيقة المطلقة، بمعنى امتلاكها واحتكارها وحرمان الآخر من هذه المعرفة.**
- **سادسًا: السعي إلى عقد *حوار* يقوم على "عقلانية روحية" يتميز بها *أهل العرفان* المنتمون إلى جميع الفئات المستنيرة من الحضارات والثقافات كافة.**
- **سابعًا: كما أن الناس يختلفون فيما بينهم في صدد القضايا الروحية، كذلك يختلفون في صدد القضايا الأخرى، اقتصاديةً كانت أم اجتماعية أم سياسية أم علمية أم فكرية إلخ. فما من قضية إلا ويدور الخلافُ أو الاختلافُ حولها. والحق أن هذا الخلاف أو الاختلاف يُعَد أمرًا طبيعيًّا بسبب وجود التنوع، ولا يُحَلُّ إلا بالحوار.**
- **ثامنًا: على هذا الأساس، يتركز اهتمام الحكماء على *القضايا الإنسانية* التي، وقد بلغتْ ذروةَ التفاهم بين الفئات المختلفة، تصبح الغايةَ المثلى التي أرادتْها الحقيقةُ السامية المطلقة. وهكذا يتجنب الحكماءُ البحثَ في قضية الوجود قبل الموت وبعده، لتبقى قضيةً تعود لنطاق الحقيقة السامية المطلقة وحده.**

هكذا أسمح لنفسي أن أتصور ما يُحتمَل أن تعلنه الحقيقةُ السامية المطلقة للناس، فأقول:
[يا أبناء الأرض، لا تتناحروا من أجل قضية "الآخِرة"، لأنني أناشدكم، منذ الأزل وإلى الأبد، أن تنبذوا خلافاتِكم ونزاعاتِكم التي جعلتموها مستعصيةً على الحل، رافضةً للتعديل، فتحبوا بعضكم بعضًا، وتتعارفوا بوعي، وتتعاونوا في صدق، لكي تستعيدوا الفردوس الذي فقدتموه بعد تفرقكم وبعد ظهور الانقسامات المذهبية التي أدت إلى نشوب النزاعات والصراعات والحروب، وتستعيضوا عنه بـ"فردوس أرضي" تحققون فيه محبتي لكم و تغتبطون ببركتي التي أمنحها لكم, فتلك هي إرادتي: أن تكونوا مسؤولين حيال بعضكم بعضًا، فتنبذوا الإدانات المتبادلة التي تؤدي إلى النزاع والصراع]. و تلك هي المعرفة المطلوب لمن يريد أن يتخلص من أنواع العاهات الروحية و النفسية و الجسدية.

حقيقة و دور العرفان في سلامة و سعادة البشر

حقيقة و دور ألعرفان في سلامة و سعادة البشر:

بداية يجب أن يعلم القارئ الكريم بأن بقاء البشر في حالته البشرية لا تُحقق سعادته .. ما لم يتخلص من متعلقاتها الشهوية و المادية التي أشرنا لها تفصيلاً فيما مضى و بيّناها تفضيلاً في الجزء الأوّل, لأنّ البشر مع وجود تلك الشهوات في وجوده لا يمكن ألأنتقال إلى الحالة الأنسانيّة, و بآلتالي إستيعابه للعرفان بعد إمتلاك البصيرة عند بلوغ الحالة الآدمية و بآلتالي البدء بآلأسفار العرفانيّة – الكونيّة التي تحقق (الطبابة الكونيّة) بلا طبيب أو علاج مادي أرضي أو تناول المخدرات أو الدواء.

حقيقة و دور العرفان ألذي يُمثل المسار الكوني لمنازل السالكين عبر الفكر الأنساني؛ عميق و مُؤثر للغاية في شفاء الأنسان من الامراض المزمنة(الجسدية و النفسية و الروحية) التي كبّلته بجانب تحريرهم من العبودية للأنظمة الوضعية, و لا يمكن الأستغناء عنه للشفاء وآلخلاص لتحقيق السعادة, و لولاه ما صبر الأسير في سجنه سنين طويلة و السجين في زنزانة إنفراديّة لأيام و أشهر و سنوات في مكان ضيق للغاية لا يستطيع الوقوف فيه على رجليه, في حالة مؤلمة لا يستطيع حتى الحيوانات تحملها, لكنها قوة و سرّ العرفان في وجوده الذي يجعل الأنسان الواعي ألسّالك المنفتح على الغيب إيجابياً لئن يصبر بل و يستشهد من أجل معشوقه الأزلي حتى النهاية.

و في عصرنا و بسبب إنتشار الظلم المقنن المطرّز بآلدّيمقراطية و الدِّين التقليديّ الشائع يواجه الأنسان حالة من الإحساس بآلقهر و الضياع و الأهانة و التفاهة والعبودية لغير الله من أجل راتب و كسب حرام, لهذا توجّهنا منذ تقريرنا للفلسفة الكونيّة إلى الأهتمام بعلم النفس و قضايا المعرفة الكونيّة كوسيلة للمعالجة, و قد سبقنا في مجال علم النفس العالم (دايل كار نيجي) و (يونج) سبقهم إبن عربي و إبن سينا و أبو سعيد و البسطامي و العطار و السهروردي و الخواجة الانصاري و الصدر و روح الله وغيرهم ممّن كان لهم دور كبير في العرفان و الطب النفسي, حيث إتّفقوا: [بإن أحدث العلوم هو الطب النفسيّ و يُبشّر بآلمعرفة التي أهم منابعها هو الدّين الذي لوحده يحلّ معظم المشاكل الأنسانيّة و الأجتماعيّة و الإقتصادية.

فأصحاب الفكر السليم خصوصاً الذين خاضوا (الأسفار) يُمكنهم بسهولة ألابتعاد عن ألرّذائل كآلحسد والحرص على الدّنيا و الفضول و الغيبة و الكذب و حُبّ التسلط و العنف و الظهور على حساب حقّ الآخرين, و السعي و التمهيد بآلمقابل لزرع قيم الخير و المحبة و التواضع بدل ذلك بقوة العشق ألإلهي الذي يتحقق في وجوده بسبب الأسفار و الأيمان بآلغيب الذي يخنق كل تلك الصفات السيئة خصوصا لقمة الحرام التي تمسخ الأنسان و تقلب وجوده رأسا على عقب .. حيث تمنع وصول السالك إلى مدينة السلام ؛ مدينة الفناء في الله حتى لو بدأ أسفاره لأنه سيترك المسير في منزل من منازل السالكين بسهولة.

هذا الطريق بات لا مناص منه اليوم بعد ما ألقت ألمحن و المآسي القديمة و الجديدة و التأثيرات السلبية للتكنولوجيا كآلسباق النووي و أخيراً حرب الفايروسات التي بدأت ب(كورنا) التي ستنهي و غيرها بغضون سنوات قادمة 4 – 5 مليار من البشر حسب ما تمّ التخطيط له قبل عقدين.

كل هذا لتحقيق مصالح المنظمة الأقتصادية العالمية التي تسعى للتسلط على كلّ شيئ في عالمنا لرفاه مجموعة محدودة فقط! إن تلك الأزمات الخانقة – المدمرة للناس قد ألقت بضلالها على الفكر الأنساني للأسف, و هي حال لا يمكن علاجها إلا بآلفكر العرفاني الكوني كعلاج وحيد, و قد عرضنا لكم أبرز المعضلات و المحن المعاصرة في الجزء الأوّل و التي تعاظمت و كانت أكثر من 30 معظلة و محنة كبرى, حيث تواجهها البشرية اليوم بسبب المتسلطين لتمييعها و إنحرافها عن الهدف الذي وجد لأجله لمنفعة مجموعة من المتسلطين في الأحزاب و الإئتلافات و الكيانات المختلفة التي تُنفذ بغباء مطلق أهداف (المنظمة الأقتصادية العالمية) التي تسيطر على جميع منابع الطاقة و المزارع و الثمرات في آلعالم.

و الأخطر من تلك النقاط كلها هي تحكم الطواغيب بلقمة الخبز و فرص العمل و التكنولوجيا, لأن جميع مصانع و مزارع و منتوجات العالم بيدها, و تتحكم بأسعارها و أسواقها بحسب إرادتها, ممّا يسبب الأنهيار النفسي و العصبي للمستهلكين!

خطورة ما نمر به من محن تتطلب ملامسة الواقع والمستقبل الحقيقي فيقول فيه ، لا أعتقد أننا ندرك تماما تأثير (القفزات العلمية والتقنية) على حياة الشعوب ، فلو لاحظنا مثلاً كيف اختفت الصناعات التقليدية البسيطة بعد اكتشاف البلاستيك

والبترو كيمياويات والألياف الزجاجية ، وظهور البلاستيك مثلا دمّر صناعات والفخار وحاويات الصفيح في أفريقيا وأواني الألمنيوم هنا وهناك ، وظهور الألياف الزجاجية دمّر صناعة القوارب الخشبية في قرى الصيد الفقيرة ، واكتشاف المطاط الصناعي دمّر صناعات المطاط الطبيعي في تايلاند وماليزيا وأميركا الجنوبية ، ونجاح اليابانيين في تربية المحار دمّر صناعة اللؤلؤ الطبيعي في دول الخليج العربي ، وانتهى عصر الاستعمار برمته لأن أوروبا (مع احترامنا لنضال الشعوب المقهورة) ، ابتكرت بدائل للقطن والقصدير والزيت والكاكاو والمواد الخام التي كانت تسرقها من الشعوب المستضعفة.

وفي واقع الحال فان في كل سنة جديدة تحقق الدول المتقدمة قفزات علمية وصناعية تترك تأثيراتها السلبية على المجتمعات المتخلفة ، وفي المستقبل القريب سيستغني العالم عن النفط أيضاً كما استغنى عن البخار والفحم ، فالطاقة المتجددة بدأت تحل مكان النفط والغاز والفحم ، ودول مثل ألمانيا والدنمرك والسويد أصبحت تولد معظم طاقتها الكهربائية من الرياح والخلايا الشمسية (رغم ضعف الشمس في أوروبا) ، ودول مثل فرنسا واليابان وكوريا الجنوبية تعتمد الآن على الطاقة النووية لتزويد منازلها وطرقاتها بالكهرباء ، وتطور تقنيات النفط الصخري (لم يهوِ فقط بأسعار البترول) بل نقل أميركا وكندا من خانة الدول المستوردة إلى خانة الدول المصدرة للنفط.

أما الكارثة الجديدة فهي الانتشار السريع للسيارات الكهربائية في معظم الدول ، فقد أصبحت شركة تسلا الأميركية (لصناعة السيارات الكهربائية) الأكثر نمواً في قطاع السيارات ، وتحاول جميع الشركات التقليدية (مثل تويوتا وهونداي ومرسيدس وفورد) اللحاق بها خشية توقفها عن العمل حين يتوقف العالم عن استهلاك النفط ، والذين يسافرون لها للخارج يلحظون في كل سنة ارتفاعاً مطرداً في أعداد السيارات الكهربائية والهايبر (التي تجمع بين النفط والكهرباء) ، ففي النرويج هناك حياً كاملاً تصطف فيه سيارات كهربائية تشحن نفسها خلال الليل (سيارات مألوفة ـ ومن شركات معروفة) ، وفي بلد يعد من أكبر الدول المنتجة للنفط ، لاحظوا في البرازيل أن محطات الوقود تملك رائحة غريبة (تختلف عن رائحة البنزين التي تفوح من محطاتنا) وقد علموا أنه نفط عضوي مستخرج من زيت الذرة تسير عليه نسبة كبيرة من السيارات هناك ، ومن السذاجة فعلاً أن نطمئن لوجود النفط حتى لو كنا نشكل ثالث احتياطي مؤكد وامتلكنا منه مخزونا لألف عام لأن الخطر قادم من جهة غير متوقعة ، ربما تأتي من خلال قفزة تقنية قد تكون محركاً جديداً ، أو بطارية خارقة ، أو اكتشاف غير مسبوق ، أو طاقة بديلة أرخص من النفط ، وقفزة كهذه ستكون بلا شك نعمة للدول المستوردة ولكنها بالنسبة لنا قفزة تجعلنا في القعر ، فنحن ببساطة شعوب غير مُصنعة ولا منتجة لأي من هذه التقنيات ، لذا يشكل استغناء العالم عن النفط كارثة حقيقية بالنسبة لنا ، واحتمال مثل هذا لا يستدعي منا فقط تنويع مصادر الدخل, و لكن كيف و حكوماتنا غبيّة مع أحزابها إلى جانب النظام الأداري الفاشل و التناحر على المناصب و الأموال!؟

و بملاحظة تلك الأفرازات الخطيرة و التّمعن فيها و بآثارها التخريبيّة بروح علميّة و تصور المستقبل الخطير الذي سيواجه الأجيال القادمة بعيداً عن التعصب و التّحزب؛ يتبيّن بأن علة العلل في نشوئها هي عدم تنمية الفكر و الروح و الجهل بآلنفس و ضمور الوعي و فقدان قوانين معرفة الجمال و عمل الخير, و معرفة الله الذي هو الجمال و الكمال.

و رغم تنبّه الناس لتلك المحن التي وصلت للعظم كما يقولون, إلّا أن علاجها لا يتحقق بسبب تعمقها و هندستها المحكمة من قبل حكومة المنظمة الأقتصادية التي تسيطر على حكومات العالم و تحدد مسارها, حتى الأطباء و الروحانيون الذين لهم يد في مأساة البشرية لا يستطيعون شفاء المليارات من الناس, لأنّ مصالحهم ستضرر في حال لو سعوا مخلصين لحل تلك الأزمات, القضية تحتاج إلى نهضة إنسانية مفعمة بآلحيوية و الأخلاص و التواضع بعد السيطرة على الأفكار المشؤومة ذات البعد النفعي الأناني و الحزبي و القومي و العشائري خصوصا و قد تعرض الجميع لمحن قد تسبب قتل 5 مليارات من البشر بسهولة ويسر, ولا يتحقق هذا إلا بآلطبابة العرفانية الكونيّة التي بإمكانها حلّ مشكلة العالم, عبر تأسيس المنتديات الفكرية و الثقافية في المدن و الأمصار و المؤسسات و الوزارات و حتى في البيت و ذلك أضعف الأيمان, و سنبيّن في هذا الكتاب الذي حدّدت ملامحه و أسسه و هدفه خلال فترة رقودي لثلاثة أشهر مسجى على ظهري لإنجاح عملية زرع القرنية التي هي من أصعب و أتعس العلميات الجراحية, و رأيت من الواجب بيان حقيقة و أبعاد الطبابة الكونية و مسالكها كبديل للخلاص من تلك المحن إن شاء الله.

لهذا كله لم يبق أمامنا سوى اللجوء و التأكيد على الطبابة العرفانيّة الكونية للشفاء و الخلاص من تلك المعوقات التي أبعدت

الناس عن الهدف الذي وجدوا له جملةُ و تفصيلاً, و أول ما يتطلب هذا الامر هو التخلص من سلطة المستكبرين و تنمرهم بسبب الأحزاب التي تحكم بلدان العالم بأمرهم, لأن وجودهم يمنع التحكم بآلمعيشة و الحرية و المساواة و الحياة و الأنتاج.

أسأل الله أن يوفقي و يُسدّدني بآلصّحة و القوّة و البصيرة لإكمال هذا البحث المُكمّل للفلسفة الكونيّة التي هي ختام الفلسفة في العالم و مقدمة لكتاب هام و عدّتكم بنشره إن شاء الله, إنّهُ من سليمان و أنه بسم الله الرّحمن الرّحيم.
حكمة كونيّة: [لا يُمكن أن يُسعد مجتمع فيه شقيّ واحد, فكيف الحال و مجتمعاتنا كلّها تشقى؟]
ألعارف الحكيم.

ألطريق للطبابة ألكونيّة:

ألطريق للطبابة الكونيّة يكون عبر آلمعرفة الذاتيّة و ألكونيّة:

إنّ ألطريق الوحيد للطبابة ألكونيّة التي لا بديل عنها في هذا العصر, هي: المعرفة آلتي حدّدها آلمعشوق (ع) بقوله في القرآن ألكريم:
[ما خلقتُ آلجّن و آلإنس إلّا ليعبدون] أيّ [ليعرفون] و [ليتفكّرون] و [لينظرون] و [ليتأمّلون] بحسب تفسير الأمام ألصادق(ع) رئيس و أستاذ أئمة المذاهب الأسلامية.
و لا يمكن عبادته تعالى إلّاّ مع الأمن و السّلام و التطور العلمي و معرفة الجمال و عمل الخير, و يتطلب هذا السلام و الصفاء بين جميع الناس, بحسب قول الخالق الذي هو الأدرى بمصلحة و مصير و سعادة مَنْ خلق!
حيث قال تعالى:
[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] سورة الحُجرات / 13.
حيث يؤكد الخالق لكونه الأدرى و الأعلم بجذور القضايا التي تسبب سلامة وسعادة و رفاه الأنسان؛ بأن التعارف و التآلف و التعاون فيما بينكم أيها الناس ؛ أيها القبائل ؛ أيها الأجناس البشرية المختلفة, هو السبيل الوحيد لتحقيق رسالتكم التي خلقتم لأدائها للخلود مع اللذات في الجنان.
وهذا الأمر (أي التعارف و التعاون و عمل الخير لا يتحقق إلّا بمعرفة النفس و هي البداية و الأنطلاق), حيث يقول العليّ الأعلى: [لو عرفت نفسك .. عرفت كل شيئ].
و آلحكمة الكونيّة كما أشرنا تقول : [لا عِلْمَ مثل آلتّفكر؛ ألتأمّل؛ ألنّظر].
بل أفضل عمل في أفضل ساعة من ساعات آلعمر هي ساعة ألسّحر في ليلة القدر الكبرى هو طلب العلم و آلتّفكر ألذي يُعادل 70 عاما من آلعبادة.
أيّ بقدر عمر كامل للأنسان, يعني ألفكر و آلتفكر و التأمل للوصول إلى المحبة التي هي الغاية من وجودنا, فلولاها لم قدرنا أن نحيا بسلام و أمان وبشكل سليم.

فما هو السّر العظيم الذي تكشفه المعرفة فقط!؟
ولماذا الناس لا يجهدون أنفسهم لتلك المعرفة؟
و ما علاقة الجسد الماديّ بآلـرّوح و بآلنفـس؟

هذه المباحث الكونية هي محور البحث في هذا الكتاب لكشف قضايا مصيرية هامة لكل مَنْ يريد الحقيقة.

حكمة كونيّة : [ألأشجار تتّكأ على آلأرض لتعلوا و تُثمر؛ بينما الأنسان يتّكأ على الحُب و آلمعرفة ليُبدع]!
ألعارف ألحكيم

أهم نتائج البحوث السابقة في آلجّزء 1:

أهم نتائج البحوث السابقة في الجزء 1 :

للفكر و التأمل في علّة الوجود و آفاق الخلق دور هامّ لتفعيل المعرفة و (الخيال) ألّذي يؤدي لتنمية قوة العقل خصوصاً الباطن ألمسؤول عن الأبداع و الكشف و التّقدم على جميع الأصعدة و بآلتالي تحقق ألمقدمات المطلوبة للحياة السعيدة الآمنة عبر الطبابة الكونية ألّتي وحدها تُعالج الأزمات الخانقة التي تمّر بها البشرية لأسباب معلومة و لم تعد خافية بعد بياناتنا الكونيّة.

و قد أكّدت ألرسالات السّماوية كما الأرضية و بآلأخص القرآن الكريم على التّفكر و التأمل و التدبر و الوعي و العرفان الذي يؤدي إلى الأسفار التي وحدها تُحقق آلحكمة في آلأنسان لنيل رضا الله و تحقيق الحياة السعيدة على كل صعيد.

حيث إن رضا الله يتم بتحقيق رسالة الوجود التي خلق الله الأنسان لأجلها, و لا يتحقق ذلك إلّا من خلال المعرفة التي تحصل من خلال الوسائل التي عرضناها, و هذا ما حددته الآية العظيمة التي أجمل الباري فيها قضية الوجود و خلق الأنسان بكونها لأجل العبادة, [و ما خلقت الجّن والأنس إلا ليعبدون - أي ليعرفون], و ليس العبادات الفردية أو الجماعية في المسجد وغيره.

و أهمّ ألمعارف الثلاثة الأساسيّة في الطبابة الكونيّة هي معرفة :

ألجّمال؛
ألعِلم؛
عمل ألخير؛

و تحتاج تلك المعرفة الوسائل و الآليات التي بها يمكننا كشف ذلك إلى جانب تهيئة الأجواء المناسبة و الوسائل المتعلقة, و إلا فأنّ تلك المعرفة مستحيلة التحقق حتى لو عاش المتخصصون و الخبراء و المراجع – و ليس العوام فقط - قروناً لأنّها تدخل ضمن الثقافة ألكونيّة, و العلم يختلف عن الثّقافة التي بها يمكننا فقط كشف الأبعاد الكونيّة الثلاثة كأركان للوجود.

لذلك فأن توفير أجواء و وسائل تحقق الفكر و التدّبر ليس فقط مسألة عقلية و منطقية؛ بل هو واجب على كل مسافر في فضاء الحقيقة و العرفان للوصول إلى المعشوق الحقيقي, و من أهمّ الوسائل التي تشجع و تحقق التّفكر هو توفير الأجواء المناسبة و الآمنة بجانب الحريّة لتنمية و بروز التفكر , حيث يستطيع الذي يعيش في تلك الأجواء أن يعطي رأيه و يستلم الآراء الأخرى في المقابل و بآلتالي تحقق حالة التفريغ من الداخل و رفع حالة الأحتقان و القهر التي تعيشيها شعوب العالم اليوم, و الدكتاتورية لا تسبب فقط تحديد و موت الفكر و بآلتالي خسارة المجتمع من التنور بتلك الأفكار؛ بل و تسبب لأن تتّجه الأفكار للدوغماتية و الراديكالية بعد تلونها بألوان داكنة و بآلتالي ترسّخها في ثنايا المجتمع و تفكير العاملين و المراكز التعليمية و السياسية و الأقتصادية و غيرها لتكون النتيجة الأستبداد و القهر و الجوع و القتل و الظلم و الفساد.

لذا على المفكر الحقيقي و المهتمين بشؤون الفلسفة أن يواظبوا على سوق أفكارهم بشرطها و شروطها لتلافي تلاعب المغرضين بها لمصالحهم و بآلتالي تحريف الأفكار و تصريفها في الأتجاه الخاطئ, و بآلتالي عليهم أن يستفيدوا من الفكر و تقويمه و سوقه و حفظه بآلأتجاه الصحيح, كي لا يُستغل من قبل الفاسدين و كما حصل و يحصل في بلادنا, لأنّ الناطق و الداعي المزوّر يتسبب في تحريف معاني الفكر أولاً و بتطبيقه في الواقع ثانياً و بآلتالي جهله بكيفية إستثماره للصالح العام.

جوهر ألمشكلة آلتّكويّنيّة للبشر :

جوهر ألمشكلة آلتكوينيّة للبشر:

و ألتكوين ألجّوهري للبشر يستند على آلرّوح كأساس لوجود الأنسان و هي من أمر الله, قد يكون بإمكاننا ألقول بأنها (طاقة) إلهيّة متّصلة بكل الوجود ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(1), وتنقسم بدورها إلى: خمسة قوى :
روح الشهوة؛
روح التسلط؛
روح القدس؛
روح الإيمان؛
روح الله, و هذه الرّوح حين تتأقلم مع آلمادّة و الشهوة و التسلط و الفجور تتلوّث و تمثل الشيطان في حركتها, أمّا عندما تتأقلم مع روح القدس و الأيمان و صفات الله تعالى فأنّها تمثل الخلافة الإلهيّة في الأرض و [نفسٍ و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها, قد أفلح من زكّاها و قد خاب مَنْ دسّاها], و المسألة تعود إلى موقف و تصرف الأنسان حيال العالم! وتلك الأنواع ألرّوحية الخمسة, تتّبع صفاتها إتجاه و مُراد صاحب ألرّوح, فإنْ مالت نحو أحداها وصبّت جهدها في تنميتها فأنّه سيُقويّها بذلك الأتجاه خيراً أو شرّاً و هكذا الباقي.

وإنّ آلآفة الكبرى التي يُعانيها آلبشر اليوم: هي فقدان ألثّقة بأصل الوجود و روح الله بسبب طغيان البشر الذي مال للشهوات و الطمع و عبادة الدّولار عملياً لذلك حصل كلّ هذا الفساد و الظلم و الحرب في الأرض, و إتصف روح البشر بشكل عام بآلعنف و الهجوم و التسلّط و الحسد وروح الأختلاف و الفرقة و إنتشار الكذب و النفاق و آلظلم و الفوارق الطبقية و الحقوقيّة و ضمور المعرفة بحيث بات المنكر سلوكاً طاغياً يتحسب الجميع منه لجهل الأنسان بنفسه, ممّا تسبّب في شقائهم و تدميرهم وتفريقهم, و لقد حَذّرَنا الله من ذلك و أمرنا بآلمعرفة و طلب العلم و عمل الخير بجميع الرّسالات السّماوية و على لسان المرسلين و خاتمهم الأمين, لأنّ آلفساد و الظلم ليس فقط يُبعد الأنسان عن الهدف الذي وجد لأجله؛ بل و يدفعه لعمل كلّ مُحرّم حتى الكبيرة كآلقتل و عقوق الوالدين و التعدّي على الناس و الربا و تزوير الحقائق بحذف أو إضافة كلمة مفصلية و التغاضي عن هدف المستغاب و الكذب و الغيبة و النفاق و الحسد و سرقة الفقراء و تبريرها في نفس الوقت ليُسبب تدمير طبيعة الناس التكوينيّة و إعلان غضبهم و ثورتهم للأنتقام ضدّ بعضهم البعض ليعمّ الفوضى و الفساد, لكن على آلرغم من وجود تلك آلصفات ألسّلبيّة ألمخرّبة في تكوينه إلى جانب ألعوارض ألجانبيّة التي تُحدّد مصيره نحو آلشّقاء و الهلاك؛ إلا أنّه جُبل على الخير و الحرّية و رفض العبوديّة بسبب ألكرامة التي أهداها الله للمخلوقات و في مقدمتها آلأنسان لكونه الوحيد الذي يستطيع أن يكون خليفة لله , و كل مخلوق له كرامة بحسب هدفه و غريزته التي تطبّعَ عليها؛ لهذا يُمكن إنتشال الأمة حتى ولو كانت مصابة بكل تلك العاهات و العلل, و كما نجح الرّسول الكريم في ذلك بداية الرسالة حين قلب المجتمع الجاهلي إلى مجتمع إسلاميّ كان يمكن أن يستقيم للآن لو كانت القيادة تستمر بنهج الرسول(ص) بشرطها و شروطها!

راجعتُ و درستُ و تمعّنْتُ في جميع الكتب السّماوية و مقالات و نتاج الفكر الأنسانيّ و نظريّات الفلاسفة عبر كل مراحل التأريخ و نهج البلاغة منذ الصّغر و للآن .. حتى تعلمت بفضل الله سرّ الوجود و سبب آلخلق و عرفت نفسيّ .. لكوني الوحيد منذ آدم(ع) و للآن حملت همّ البشريّة لخلاصه من 33 صفة مُشينة رافقت خُلق و خَلق الأنسان(2) من الأزل و من لحظة إندماج الرّوح مع آلبدن لتتحول إلى (نفس) بحسب تقديرات إلهيّة في غاية التعقيد و التداخل و التناسب .. لتبدء قصّة الحياة التي لا نعرف بدايتها من نهايتها و ما يجري فيها و هكذا تتحدّد المصائر وهو لا يزال جنيناً في بطن أمّه!
ليقول شاعرها أبو ماضي قصيدة في وصفها ما عادلها سوى ديوان حافظ الشيرازي الذي سبقه بطرح تلك الأفكار الكونية:

جئت لا أعلم من أين .. ولكني أتيت!؟
و لقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت!؟
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم ابيت!؟
كيف جئت ؟ كيف ابصرت طريقي!؟
لست أدري!(3).

لقد أحسست منذ ولادتي و خلال السنوات الأولي من طفولتي ثمّ في كلّ مراحل حياتي و لليوم .. بأنيّ وكيلٌ و مسؤولٌ على

هداية الناس و تعليمهم و لا بد من إستقامتهم لتحقيق رسالتهم التي وجدوا من أجلها, فحملت من وقتها همّ تنظيم و توعية الناس حتى الكبار في عائلتي و في كلّ مكان, وطالما تأملت قول الرّسول الخاتم(ص), بشأن تكليفه من قبل الله في هداية البشر عندما قال:
[شيّبتني سورة هود و صالح ...], في إشارة واضحة إلى أن هداية البشر من مسؤوليته و هذا أمر في غاية الصعوبة بل فشل فيها أكثر من 124 ألف نبي سبقه في ذلك, لأنها تبدأ بآلنفس و تنتهي بآلناس, و أول الناس هي الزّوجة و الأبناء و العائلة, كبؤرة الأنطلاق لتأسيس مجتمع إلهي أو شيطاني في حال عدم أداء الأمانة – التربية الصالحة التي تحتاج إلى لقمة الحلال و العلاقة الطيبة بين الزوجين!

قد يُمكنك أن تكون عالماً أو مرجعاً أو حتى رئيساً أو ملكاً أو إمبراطوراً تحكم العالم و كما هو الحال اليوم حين يصبح رئيس عاهر مثل (دونالد ترامب) رئيساً لأكبر دولة في العالم كأمريكا .. لكن ليس من السّهل أنْ تكون وارثاً للفكر الأنسانيّ و خليفة لله؛ لأنّها تتطلب ألتّخلق بصفات الله التي لا يمكنك تعلّمها إلا إذا ما كان الله معلمك (و إتقوا الله و يعلمك الله)(4)؛ لأنّهُ يتطلب معرفة و إستيعاب الكثير بحجم مبادئ الرسالات السّماويّة و ما أنتجه الفكر ألأنسانيّ – منذ البداية و حتى عصر ما بعد المعلومات و الدّخول في عالم الكّوانتوم و آلنانوتكنولوجي الذي يعجز العِلم وحده من حلّ معضلاته فتضطر لدخول عالم المعرفة الكونيّة و أبعادها الكثيرة المجهولة اللامتناهية .. و معرفة تفاصيل و حتى كلّيات هذا العلم شبه مستحيل إلا بأذن الله ولبعض الحدود الممكنة, فلا بُدّ من الأمداد الغيبي إلى جانب آلسّعي لنيل المتطلبات بآلصبر و المُكابدة و السّهر و الرياضات المختلفة, و يتطلب أوّل ما يتطلب طهارة النفس بألأبتعاد عن الغيبة و النفاق ألذي أصبح زاد الناس على موائدهم, و الأمانة عند الحكم و النقل بمعرفة تفاصيل الأحداث و غاياتها مع المعرفة الدّقيقة لحقيقة الأنسان و الخلق و الوجود كـ (آلعلل الكونيّة الأربعة) و (أسفار العرفاء) و (أحكام الفلسفة الكونية) بشأن علّة الخلق, ثمّ (الأسئلة الكونية الستة) و (قضية التكثر و التوحد) و أيهما يتقدم على الآخر (إصالة الفرد و المجتمع)؟ و الأمر الأهمّ الآخر هو معرفة صفات الله و تخلّق المخلوق بها, و مسألة خلق القرآن من عدمه و العلة في طرح هذا الموضوع أساساً, و فلسفة الخلاف بين المعتزلة و الأشاعرة؛ و السّر الآخر؛ معرفة سبب حُزن و ضجر الله تعالى و مقته و حتى بُغضه من المنافقين ألذين خصص لهم أشدّ العذاب و هو الدرك الأسفلمن جهنم لأنهم يتسببون بنشر الفرقة و الفساد بين آلأزواج و آلأصدقاء و الناس و الجماعات وحتى الشعوب, و هناك مسائل معقدة أخرى تتطلب مراجعة كتابنا [أسفارٌ في أسرار الوجود] لمعرفتها.

فعند حدوث خلاف أو سوء تفاهم أو كدر بين زوجين أو صديقين أو فتنين أو شعبين أو أمّتين, قد تكون نهايته الخصام و الفراق و الطلاق و الحرب بينهما لينهار كل شيئ و يتم قتل الأطفال(5)! و بآلتالي فإن نظام الوجود كلّه سيختل بقتل الأنسان .. بل و يهتز عرش الرّحمن(الله أكبر), ألذي وصف (الطلاق) الذي هو نهاية الزواج بـ : [بكونه يهزّ العرش] و أيّة قوة كونيّة بإمكانها فعل ذلك غير (الطلاق)!؟ وقول المصطفى(ص): [أبغض الحلال عند الله ألطلاق], يعني رغم وجود (ألحلّيّة) فيه لكنه أبغض شيئ عند الله! فكيف الحال لو تسبب المسبب في فراق الشعوب و الأمم!؟

و أقوال أخرى تمنع زرع الفتنة و الطلاق ألذي سببه الرئيس هي الغيبة التي ربما تكون أحياناً نظرة أو إشارة أو قول مغرض, ممّا يُؤشر لعظمة الأمر و إفرازاتها التي أوّل ما تنعكس على حياة الأطفال و المقربيين و بآلتالي تخريب المجتمع!

لذلك صحَّ آلحديث و حتى آلآشارات القرآنية بكون: [أفضل الأعمال في الأسلام هو إصلاح ذات البين و أسوأها زرع الفتن], وقد ورد في آلحديث أيضا [بأن إصلاح ذات البين أفضل من العبادات والنوافل] لأنه يقي المجتمع من الفساد والقتل والجرائم.

و لمعرفة مدى حساسيّة و أهمية الوحدة و الأخاء؛ يكفيك أن تعرف بأنّ أحكام الصلاة بنظر جميع الفقهاء و العلماء تفرض الإستمرار في أدائه و حرمة قطعه حتى بإشارة أو نظرة لصورة أو إطلاق كلمة إلاّ في حالتين :

ألاولى: إذا توقعت إستمرار الصلاة يسبب الضرر أو الوفاة لك بسبب عارض خارجي يتطلب قطع الصلاة للنجاة.
و الثانية: يجوز قطع الصلاة لردّ آلسّلام على المُسلّم في حال عدم وجود شخص آخر يرد عليه!؟
كما حدد الخالق عقوبة إستثنائية للباغي إلى الفتنة, حيث لا يمهله بل يعاقبه سريعاً, و يؤشر هذا إلى بغض الله ألشديد و مقته لمن يريد إحلال الفتنة والفرقة و الخراب بين الناس.

من هنا أ تَعجّب ممّن يدعي الإسلام و يسعى للتفرقة بين الناس و يتحايل لكشف عوراتهم و إشاعة الفواحش بينهم, و هكذا رأيت جماعات و شعوب باتت تمتهن تلك الأخلاق المشينة كشعب العراق و غيره من الشعوب التي تحب الضيحة و تكره

الحقيقة حين آمن رجالاً و نساءاً و شباباً و شيبة و بدون تمعّن و روية بآلخراب و بآلسّحر و النفاق و الغيبة و الكذب و الفساد كأساس لثقافتهم ومفتاح لحلّ مشاكلهم وسعادتهم كما توهّموا و يتوهمون بأن ذلك يكسبهم الخير, بينما هي مجلبة لكل شرّ و فتنة وفقر و فراق لعوائلهم و أبنائهم و مجتمعهم؟

فهل حقاً وصل الجّهل و الأجحاف بحقّ الله و القسوة في قلوب عباده في العالم و العراق خاصّة إلى هذه الدّرجة, بحيث بدأت بعض الجّامعات العراقيّة تختصّ بدل دراسة الكّوانتوم و علم الفضاء و فلسفة العدالة؛ دراسة السّحر و الشعوذة وإعطاء شهادة الماجستير و الدكتوراه للدارسين في أنواع السحر و الشعوذة بدل العلم و العرفان و الفضاء و الكونيّات؟

فهل يصيب مجتمع كهذا سوى العنف و الفساد و النهب و التفرقة بحيث وصل أعداد الأحزاب و التيارات إلى أكثر من 500 حزب و تيار و منظمة!؟

تلك هي آلنتائج المدمرة أمامكم على شعب العراق و أمّة الإسلام, بسبب الأيمان الشكلي و ترك فلسفة الحُب و الجّمال و جوهر المخلوقات و الأسرار في الآيات الآفاقية والنفسية و إستبدالها بآلنفاق لملأ البطن دون ملاحظة الوصفات الطبية في ذلك, وترك العقل حتى الظاهر ناهيك عن الباطن بلا غذاء و لا عرفان و لا حكمة!؟

مَنْ آلسّبب ألذي جعلهم يفعلون ذلك بلا حياء ولا وجدان و لا ضمير أو دين !؟
هل هي لقمة الحرام التي دخلت بطون الجميع تقريباً؟ أم هناك أسباب أخرى!؟

و إلاّ كيف يسمح للحسد الذي يُولّد النفاق و العداء لأنْ يتغلغل في أرواحهم .. لدرجة أنهم لا يطيقون حتى سماع الخير أو قراءة مقال عنه أو نقل حديث لمقرّبيهم فيبدء بزرع الفتنة و كشف عورات الناس بسهولة و قطع الخير عنهم لترتاح روحه المريضة .. و قد شهدت في عراق الجّهل كما في أمّة العرب و غيرهم من الروس و الشرقيي و منذ أيام السبعينات حين كنا نجاهد مع ثلة قليلة الفساد و بؤر الفتنة البعثية و القومية التي توسعت بين الناس؛ كيف أنهم كانوا يعتبرون كتابة تقرير للأمن ضدّ مؤمن شريف يريد الخير للناس؛ عمل عظيم و صيد ثمين للفوز بآلجائزة و الحصول على آلأموال و المناصب الحرام بعد إعدامه و غيره من المؤمنين الأخيار, و هكذا الحال مستمر إلى يومنا هذا, فما زال آلوضع على هذا المنوال مستمر للأسف و إن تغييرت الشعارات و العناوين و تبدلت الوسائل و العدد و الأحزاب(6)!

إنّ جوهر كتاب الله و غاية رسالاته .. تُؤشر بوضوح لعلّة خلق البشر بكونه لأجل التزوّد بآلمعرفة و العلم ثم معرفة الجمال و الحبّ للوصول إلى عالم آلجمال الحقيقي المطلق لتقديم الخير بدون إنتظار الأجر و الشكر و بعدها التعمق في فلسفة الوجود عبر آلسّعي للتوحد و آلتخلص من الكثرة بإتجاه الوحدة, و قد ورد هذا (آلسّر) الذي يجهله الكثير بكل وضوح و بيّنه في آية : [... و تعانوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الأثم و ألعدوان](7) و كذلك :

[القول في تأويل قوله تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلّا من رحم ربك و لذلك خلقهم و تمّت كلمة ربّك لأملأن جهنم من الجنة و الناس أجمعين](8).
بمعنى تحقيق الهدف الذي خلقنا لأجله لا يتحقق إلا بشرط التآلف و الوحدة على الحقّ و بدونها يستحيل تحقيق ذلك.

حيث يؤكد الله تعالى في الآيات التالية على وجوب التثبت على الدِّين , و التثبّت لا يكون بآلعبادات .. بل بآلمعرفة و الوعي و التقوى.

قال أبو جعفر(ع) : يقول تعالى ذكره: (ولو شاء ربك ، يا محمد ، لجعل الناس كلها جماعة واحدة و على ملّة واحدة ، و دين واحد، و رأي واحد كما أشارت الآية و هي من مستلزمات تحقيق الهدف من وجودنا, لكنه تعالى ترك الأمر لإختيارنا:

جاء في (التفسير)؛ حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد : عن قتادة، قول: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) .. يقول: لجعلهم مسلمين كلهم و موحدين, و قوله تعالى:
(ولا يزال النَّاس مختلفين، إلا من رحم ربّك), (ألأختلاف)؛ الذي وصف الله الناس؛ أنهم لا يزالون به, هو محل البحث.
فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان و إختلف المفسرين في ذلك، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء : (و لا يزال الناس مختلفين) على أديان و مذاهب شتى، من بين يهوديّ ونصرانيّ، ومجوسي و حتى المسلمين، و نحو ذلك, و قال قائل و هذه

المقالة: إستثنى الله منهم (من رحمهم)، و هم أهل البيت(ع), بنظري يشمل (أهل الذين في قلوبهم ألرّحمة لا أكثر ولا أقل..). و بآلتالي : فإن عملية السعي في الدنيا لتحقيق فلسفة الوجود يتمحور على هذا الأصل الذي هو ميدان ألأختبار و بدونه لا يمكن تحقيق السعادة .. بالتوحد مع الناس بآلتوحيد و التعاون و التمسك بحبل الله لأنجاز مهمة الوجود.

إذن ألنتيجة بإختصار وجيز هي؛ أنّ التوافق والوحدة رحمة و محبة؛ و الأختلاف و التفرقة نقمة و شقاء كما هو حال الأمة التي أصبحت اليوم متفرقة و منقسمة إلى 500 حزب في العراق فقط و هكذا بقية دول الأسلام و العالم, حيث عمّت الفوضى و الأختلافات و الظلم و آلقتل و القنص بلا رحمة ولا وجدان لسرقة الناس بعد (فرّق تسد) لكسب المال و الرواتب الحرام..

يقول مؤلف كتاب (أفكار و مواقف) لعبد الفتاح إمام, نقلاً عن إسطورة هندية هي الأخرى مقتبسة عن قصّة خلق ألرَّجل و آلمرأة و إشكالية التزاوج و الإتحاد بينهما, حيث يقترح المؤلف ان يحتفظ كلّ زوجين .. بل كل عائلة .. بنسخة من هذا الموضوع في مكاتب منازلهم أو المكتبات العامة، ليعيد قرائته الزوجان و كل أبناء العائلة, بل كل إنسان بهدوء وتأنّ، كلما ظهرت بينهما بوادر ازمة عاطفيّة.

فعلاقة الرّجل بزوجته علاقة وجدانيّة عميقة؛ و عاطفيّة حسّاسة للغاية، و هي لهذا السبب علاقة متناقضة مؤثرة و متأثرة و حساسة للغاية، لأنها مزيج من الحُبّ و البغض؛ من القرب و البعد؛ من الرغبة و النفور؛ من الاقدام والأحجام، قد تؤثر فيها كلمة جارحة أو حتى نظرة أو إشارة عابرة.

أيّ .. تشمل باقة متناقضات!

و لست أجد تصوراً مقبولاً لتراجيديا هذه العلاقة .. أكثر من تلك (الإسطورة الهنديّة) التي تروي قصّة خلق ألرَّجل و المرأة، حيث تقول :
[إنّ الاله (تواشتري) الذي خلق الرجل واراد ان يخلق المرأة، اكتشف ان مواد الخلق قد نفذت لديه، ولم يبقى من المواد الصلبة شيء يخلق منها المرأة، و ازاء هذه المشكلة راح يصوغ المرأة من اجزاء و قصاصات يجمعها من هنا وهناك :
(فأخذ من القمر استدارته؛ و من الشمس إشراقها؛ و من السّحب دموعها؛ و من الازهار شذاها؛ و من الورود الوانها؛ و من الاغصان تمايلها؛ و من النسيم رقته؛ و من النبات رجفته؛ و من النار حرارتها؛ و من ألمها عيونها؛ و من الحَمَام هديله؛ و من الكلب وفاءه؛ و من الكروان صوته؛ و من العسل حلاوته؛ و من الحنظل مرارته ... و مزج هذه العناصر مع بعضها و خلق منها المرأة)و ثم وهبها للرجل الذي أقبل عليها و أخذ بيدها و سار بها الى حجلته.

لكن لا يمضي على وجودها معه سوى – شهر العسل – حتى يسرع الرَّجل الى الاله وهو يجرّ المرأة من يدها بعنف – ليقول: يا الهي: هذه المخلوقة التي وهبتها إليّ قد أحالت حياتي جحيماً لا يُطاق، فأنقلب النعيم الذي كنت فيه الى شقاء! فهي ثرثارة؛ لا يكلّ لسانها عن الكلام و لا يمل؛ وهي تطالبني بأن ارعاها رعاية مفرطة مستمرة؛ و كلما رجعت من الصيّد(العمل) مُتعباً مرهقاً و نِمتُ .. أيقظتني لأُسلّيها، مدّعية أنّها مورقة! فإذا خاصمني آلنوم و ارقّني؛ نامت هي و آذنتني بشخيرها .. ! لهذا كله فقد جئت لأردّها إليك لأنني لا أطيق العيش معها.
فقال الاله : (هاتها و انصرف)!

و لم يمض على ذلك سوى شهر واحد حتى عاد الرَّجل ليقول : (يا الهي؛ لقد رددتُ هذه المخلوقة التي وهبتها ليّ .. و لكني أشعر منذ ذلك الحين بالوحدة ! بل أحسّ بوحشة لا تُطاق لم اكن اشعر بها من قبل, كما ان حياتي اصبحت فراغاً مجدباً، لقد إفتقدت أنسها و حُرمتُ من لذّة مصاحبتها، وحديثها المُمتع ودعابتها المرحة، وعبثها المسلّي فهلا ارجعتها لي مرة اخرى؟

فأمعَنَ الإله النظر فيَّ و قال : أجل، خذها فهي لك!

و بعد ايام قليلة عاد الرّجل يقول : (يا الهي إنني في حيرة من أمري، فانّ هذه المخلوقة، سِرٌّ مغلق، لا يمكن كشفه ! لغز مُحيّر لم أستطع فهمه، إنني لا أستطيع العيش معها، لكنني لا أستطيع العيش بدونها ...!

و تستمر الاسطورة ليُكرر الشيء نفسه مع المرأة التي جاءت بدورها تشكو من الرَّجل قائلة: (يا الهي: انّ هذا المخلوق الذي وهبتني له، قد ضقت ذرعاً بأنانيته، و صلفه و قسوته و غروره ! انه لم يُحسن عشرتي إلا يوما واحداً، ثمّ بعد ذلك كان

يقصيني اذا دنوت منه، و لا يصغي اليّ اذا حادثته، و اذا اشرت اليه برأي سفّهه، و اذا فعلت فعلاً قبّحه، و اذا هفوت كلمة أقام الدّنيا و اقعدها!
اللهم إجعل بيني وبينه سدّاً و ردّماً ...)!

فأبتسم الاله و أشار بيده، فإذا آلجّنة التي كانا يسكنان جنتان، بينهما سدّ عال ! لا تستطيع المرأة بعد ان ترى زوجها ! لكنها سرعان ما تعود بعد ايام قليلة لتقول للأله و هي تبكي : (لقد إكتشفتُ يا الهي في الايام الماضية انني لا استطيع ان أعيش بدونه, لقد ظللت طوال هذه المدة خائفة أ ترقب! اذا تحرك غصن فزعت، واذا عوى ذئب ذُعرت وأغلقت الباب، وبقيت في ركن الغرفة أرتجف، و لقد كنت من قبل اجوب الغابة أجمع الثمار غير آبهة لعلمي انه ورائي يحميني ... كنت اذا دعوته، هرع اليّ، و اذا إستصرخته، سارع لنجدتي ! لا .. لا إنني لا اقوى على فراقه : إنه جاري و حصني و أمانيّ و معقلي و ملاذي.

فأعادها الاله اليه و هو يقول : (إذهبي اليه، فهو لباس لكِ وانتِ لباس له، كلٌّ منكما يسعد صاحبه و يشقيه، يشكو منه و هو راغب فيه، كلٌّ منكما بمثابة مرآة يرى فيها صورة الآخر، حسناته؛ سيئاته؛ محاسنه و عيوبه)]. إنتهت القصة.

و ألنتيجة التي توصلنا لها من خلال تلك العلاقة الكونيّة المقدّسة التي يتحدد مصير المجتمع على أساسها, و المضطربة الآن للأسباب المُبيّنة أعلاه؛ هي أنّها مفتاح رئيسي لتحديد سعادة و شقاء الأنسان (امرأة كانت أو رجُل), فآلبيت الذي يجمعهما هو الوطن الأوّل ألذي يرتاح فيه و يتنفس بأمان و المنطلق الذي يُحدّد مستقبل الأنسان و سعادته .. فإما أن يكون ذلك البيت و البيئة روضاً من رياض الجَّنة الذي فيه ينمو الفكر و الفنّ و الثقافة و المحبة و أسباب التطور و النمو؛ أو يكون حفرة من حفر النيران ليحل و ينمو فيها الجهل و القسوة و العصبية التي تنتشر بسرعة ليكدّر الأرواح ويُسمّم الأجواء و يزيد التخاصم و ينتشر الفساد و لقمة الحرام و بآلتالي يقتل الفكر و الصفاء و الأنتاج العلميّ في أفراد العائلة و المجتمع و المحيط, و هذا خيار يرتبط بوعي الزوجين و دور الزواج في عمليّة التنمية في كلّ فرد و عضو فيه و بآلتالي تحقيق السعادة أو الشقاء, لهذا قلنا بإن السعادة خيار بيد الأنسان لا قدر.

بإختصار ؛ أستطيع القول بحسب مؤشرات الآيات القرآنية العديدة؛ [بأنّ آلشّر و المصيبة التي تحلّ في وجود شخص أو عائلة أو مجتمع أو أمة هي نتاج أعمالها و من يدها؛ و لو إنتشر الخير و النعم في بلدة أو مجتمع أو أمة فأن السبب هو الله الذي رآى أهلها يستحقون ذلك لأستقامتهم و تقواهم.

و العارف ألحكيم وحدهُ يعرف ذلك جيّداً .. و أكثر تفصيلاً, لهذا لا يجعل المؤمن أكثر همّه بآلأهل و الولد وطيّبات الدنيا, فإن يكونوا من أولياء الله؛ فأنّ الله لا يُضيّع فقط أوليائه بل حتى الحشرة العمياء في قعر البحر لا يتركها و هكذا الدودة في ثنايا الأرض, و إن يكونوا أعداء الله؛ فما باله و شغله بأعداء الله!؟

لكنه لا يتوقف و لا يستكين, بل يسعى لبناء الحياة لهم و للمجتمع بفرح و رغبة..

و الطبابة العرفانيّة ألتي تتسبّب في سعادة الأنسان؛ لا تتحقق إلّا من خلال وجود :

عائلة صالحة منسـجمة مُتحابّة فيما بينها؛
أو من خلال الأيمان ألمعرفي بآلله سبحانه؛

و لو إجتمع الأثنان فقد أصاب أهله خير الدارين, لأنّ إجتماعهما تُحقق في وجود ألأفراد ألخلافة ألكونيّة الإلاهية, بمعنى يصبح الأنسان متّصفاً بصفات الله و بآلتالي خليفة له في الأرض و يمهد لظهور الأمام المهدي(ع).؟

حكمة كونيّة: [ألأشجار تتّكأ على الأرض لتنمو و تُثمر؛ و الأنسان يتّكأ على المحبّة لينمو و ينتج].
ألعارف ألحكيم ؛ عزيز حميد مجيد.

---

(1) سورة الإسراء/85.
(2) ورد في القرآن الكريم ككتاب جامع للكتب السماوية التي تكتنز سرّ سعادة الأنسان و فلاحه في الدّارين؛ بوجود 33 صفة

سلبية بعضها خطيرة في وجود الأنسان كآلحسد و الجهل و الظلم وغيرها, و على الإنسان محاربتها و تزكية نفسه, و إلا لا و لن يتحقق عنده حتى الأيمان العادي و السّلم في وجوده ناهيك عن تحقيق المراتب الكونيّة التي تبدء بـ:
قارئ – مثقف – كاتب – مفكر – فيلسوف – فيلسوف كوني – عارف حكيم.
(3) قصيدة رائعة للفيلسوف إيليا أبو ماضي جسّد فيها جانباً هاماً من قضية الخلق و الوجود, للمزيد يرجى مراجعة ديوانه.
(4) سورة البقرة/282.
(5) القتل لا يتحقق بطلق ناري أو بسكين أو بعصا أو وسيلة قاتلة فقط ؛ بل يتم أيضا من خلال إصابة الأطفال نفسيّاً و روحياً كفرض الأقامة الجبرية عليهم أو منعهم من زيارة والدتهم, لهذا فإن الغرب حين يتم الطلاق بين زوجين يعطون الأطفال للأم.
(6) تصّور رئيس دوله إختاره شعب العراق كصدام بسبب الجّهل حتى علّم الناس كره الثقافة و الفكر, بل و إتهام من يمتهن ذلك بآلعمالة و مصيره الأعدام خصوصا إذا لم ينتمي لحزبه, كما قد سبق الجميع في الفساد حين قبل بآلعمالة للـ سي آي أي و نشر الفساد بعد ما نفذ بدقة وصايا المخابرات العالمية من خلال مندوبهم عن طريق وزارة الخارجية البريطانية (اللورد كارنيجتون) أثناء زيارة سرّية عشية نجاح الثورة الأسلامية و أوصاه بملاحقة و قتل كل معارض مثقف و مؤيد للثورة فبدأ بقص الرقاب و أعدام الدّعاة و المؤمنين على نواياهم لا على جرم إرتكبوه فخلي العراق من مثقف مؤمن منذ ذلك الحين, كما أقدم على أوّل فعلة نكراء يندى له الجبين حين فصل زوجة مدير مطار بغداد (سميرة الشابندر) عن زوجها و تزوجها وقتها في لعبة خبيثة معروفة لدى العراقيين, فماذا تنتظر من باقي أبناء الشعب العراقي الذي كان منتظما مع النظام في الظاهر و مختلفا في كل شيئ بداخله فولّد التناقض و العقد و الأحقاد والفساد فيما بعد بشكل عميق على كل صعيد؟
(7) سورة المائدة / آية 2.
(8) سورة هود / 118 و 119.

دور الفلسفة آلكونيّة في سعادة ألإنسان:

دور ألفلسفة ألكونيّة في سعادة ألإنسان:

بعد ثبوت فشل أقامة (العبادات الشخصية) و المسائل الفقهية ألواردة في الرسالة العملية لتثوير المجتمع و نهضته الكونيّة؛ تأتي ألفلسفة ألكونية التي هي أمّ العلوم بحسب آلتّعريف ألكونيّ - و كلّ علم بدون الفلسفة ناقص ولا يُحقّق هدفهُ الكونيّ – ليقدّم ألحلّ و البديل الذي يتعدى مجرد طرح مسائل فقهية عبادية و كما هو الساري و المعتاد في المجتمعات و في الأمة الأسلامية بآلذات, حيث تعتبر باب واسع من أبواب ألعرفان إلى جانب ذلك لمعرفة الأنسان سرّ الوجود و بآلتالي الأتصال و الذّوبان و الحلول في آلمعشوق الأزلي!

لكن السؤآل الأهمّ و ألمطروح رغم تلك الأهمية الفريدة و الميزة الكونيّة ألسّاميّة للفلسفة و العرفان الذي يتعدى الفقه هو :

لماذا ماتت (ألفلسفة) و كذا (العرفان) في آلوسط ألعربيّ – ألإسلاميّ؟
و ما علاقة ألفلسفة بآلعِلم وآلتّطور ألمدنيّ وآلحضاريّ لسعادة الأنسان؟

ألسؤآل الآخر ألأهمّ هو: لماذا ماتت الفلسفة في الوسط العربيّ و آلأسلاميّ بحيث أصبح أصحاب شهادة الدكتوراه في الفسفة شحاذين لأجل المعيشة ..هذا .. خصوصاً إذا علمنا بأنّ جامعات الدّول العربية و الأسلاميّة خرّجت مئات الآلاف من حاملي شهادات الماجستير و الدّكتوراه و ربما (البوست دكتورين) و هي أعلى من الدكتوراه, بحيث أصبحت لدينا جيوش مجنّدة عاطلة عن العمل من معلمي و أساتذة الفلسفة, لكن بلا فائدة وعمل أو إنتاج مفيد!

إنّنا في آلحقيقة نحتاج إلى (فلاسفة) لا إلى (أساتذة الفلسفة) ألعاطلين عن العمل الذين يشحذون في المراكز و الجوامع و يقرؤون الفاتحة على الأموات في المقابر لإرتزاق لقمة خبز لمعيشتهم لأنّهم ليسوا بفلاسفة حقيقيين ولا يصلحون إلّا كمعلّمين, و العالم اليوم قد إنتقل من تلك المرحلة(التعليمية) إلى مرحلة ألأبداع و البناء و التطور والحداثة, وفرق كبير بين (مُعلّم الفلسفة) الذي يُعيد و يكرّر دروس ونظريّات مَنْ سبقه من الفلاسفة كآلببغاء و بين (آلفيلسوف) الذي يبحث و ينتج و يقارن و يُبدع النظريات ألجديدة و يُحدّد ألخطط و آلمسارات لنهضة ألأمم و سعادتها(1).

بينما الفلسفة الغربية بآلمقابل لم تتوقف عن الأبداع و الظهور و التطور و الأنتاج خصوصاً بآلتركيز في آلجانب المدنيّ و ذلك بتحديد المناهج والخطط لجميع المراحل الدراسيّة بدءاً بآلمرحلة الأبتدائية و لاخر المراحل الدراسيّة الجامعيّة إلى جانب الخطط الخمسيّة و العشرية و العشرينيّة بل و حتى القرنيّة في مجال الأقتصاد و الزراعة و التكنولوجيا النانوية و الإدارة و على كل المستويات لتطور دولها .. حيث برزت الفلسفة البنيويّة و روادها, و من ثم برز فلاسفة العلم و الفينومينولوجيا أو فلسفة الظواهر, كـ (هيدجر و غادامير), و أخيرا ظهر إلى الوجود الفلسفي فلاسفة ما بعد الحداثة وهم كل من؛ ميشيل فوكو ياما و جيل ديلوز و غواثاري و هارولد بلـوم و غيرهم, و هؤلاء هم الجيل الوارث للفلاسفة (الثلاثة) للنهضة الغربيّة.

بينما نلاحظ إنّ الفلسفة ألأسلاميّة – ألعربية غابت عن المضمار تماماً, فلم نعد نرى فلاسفة عرب معاصرين منذ سقوط الأندلس حتى اليوم و إن برز أحدهم كـ (محمد باقر الصدر) فسرعان ما يتمّ حصاره و خنقه و تكفيره و قتله من قبل أقرانه قبل الحكومات المدعومة من عموم المسلمين و حتى أساتذة الجّامعات(2)، و هذا شيء محزن و غريب و تردي نحو الحضيض!

أنّه من الممكن أن نشهد فقهاء و مراجع و أدباء و رواة و فنانين و نُقّاداً معاصرين؛ ولكن لم يظهر لدى العرب و المسلمين فلاسفة معاصرون, و الفلسفة أُمّ العلوم و أيّ علم بلا فلسفة يُعتبر علمٌ ناقص لا يُحقق هدفه، وحتى من عَرفَ منهم بالفلسفة فإنهُ لا يعدو أن يكون مُترجما أو ناقلا أو مُعلّماً لأحد الاتجاهات الفلسفيّة, وهو ليس بأكثر من نسخة مشوّهة و ناقصة عن فلسفة غربيّة – شرقيّة ما.

ليس لدينـــــا فلاسفـــــة إسلاميّون أو عرب, لذلك تأخّرنا و أصبحنا في آخر قافلة التطور و النمو و التّمدن وحتى الحضارة والحداثة!

فهل يعود ذلك إلى صعـــــوبة ألـــدّرس الفلسفيّ؟

أم إلى سوء فهم و درك هدف (الفلسفة) أساساً!؟

ناهيك عن مكانة (العرفان) الذي يفوق الفقه و الفلسفة معاً!؟

أم يعـــود ذلـــك إلـــى انقطـــاعنا عن فلسفتنا الأسلاميّة و العـــربيّة القـديمة و إن كانت مشوّهة بسبب تحريم "علماء" المسلمين للفلسفة بسبب حالة التحجّر والجّمود العقليّ والفقهيّ في مدارسنا وحوزاتنا, بالأضافة إلى عدم الرّغبة في النّظر إليها و وعي أبعادها؟

أم يعود إلى إشكالية الترجمة عن الفلسفة الغربية ؟

أم يعود إلى عدم نزاهة ألسياسيّ و آلمثقف و آلمفكر و مُعلّم الفلسفة نفسه حين يطرح رأياً أو فكراً عن الآخرين مِنْ دون الإشارة للمصدر, بل و تنسيبه لنفسه, ممّا يُسبّب كارثة كبيرة بل كوارث لا تُحمد عُقباه, لأنّ المسألة تتعدى مُجرّد عدم نزاهته بإدعائه لتلك المبادئ العائدة لغيره زوراً و ظلماً؛ بل يتعدى ذلك أثناء ترجمتها (أيّ الفكرة ألمسروقة) على أرض الواقع بشكل خاطئ, لعدم معرفة ألسارق لِكُنْهِ و جَوهر تلك الفكرة(النظرية) فتحصل الإشكالات و الأخطاء و الخسائر الفادحة على كل صعيد؟

سؤال كبير من آلصعوبة بمكان الإجابة عليه بسهولة، ربما لأنّ العقل العربي – ألأسلاميّ المعاصر – ألمُتحجّر – غائب وتأبى الفلسفة أنْ تقلّد الآخرين كما فعلت الإتجاهات الأخرى العلميّة و الإنسانيّة!

ربّما لأنّ العرب و المسلمين لم يَعُد لديهم ما يُمثّلهم, بسبب الظلم و الحالة الطبقيّة و آلتمييز ألكبير في آلحقوق!

ربّما لأنّ العرب ضيّعوا أنفسهم في هذا آلانقسام ألمُضني بين تراث أصبح غريباً ومعاصرة غربيّة غريبَة أيضاً!

ربّما لأنّ ألعرب و المسلمين يعيشون آليوم غربة مضاعفة، فلا هم غربيّون و لا هم عـرب و لا هم مسلمون!

ربّما لأنّ العرب لم يحن دور نهوضـــهم بعد, بسبب إنشغالهم بـ(آلخرطات التسعة) و دورات (الحيض و المرحاض).

نسأله تعالى أنْ يهدي أمّتنا و القائمين على إدارة مجتمعاتنا و جامعاتنا و حوزاتنا التقليدية ألتي ظلّت طريقها بسبب علماء ألسّوء و"آلحكومات" الفاسدة ألتي تديرها الأحزاب الجاهلة و الحكومات العميلة و بإصرار و بكل الوسائل الممكنة حتى .. بآلدم و القتل و النهب و الفساد و التكفير و سرقة أموال الفقراء.

اليوم، نحن نعيش في بدايات الألفية الثالثة من القرن الواحد والعشرين الميلادي, ربما لا يمثل ذلك معنى معيّن لكثير من الناس باستثناء كونه معبراً عن تقدّم التاريخ الإنساني كآلقرون الخوالي, أو دليلا على التقدّم الكبير في العلم والتكنولوجيا, و لكن عند التّفكّر بعمق؛ يُمكن للمرء و بيسر أنْ يتبيّن أن العقد الأخير من القرن العشرين و كذا بداية القرن الواحد و العشرين تتّسم بتحولات عميقة و جذريّة هامّة للإنسانية ككل، سواء على المستوى العلميّ؛ الإجتماعيّ؛ الثقافي؛ الفلسفي!

تلك التحولات الجذريّة تجعل من المشروع لنا أن نصنّف هذه الفترة باعتبارها بداية لحقبة جديدة في تاريخ الإنسانية, و إذا كان ما يُميّز المرحلة السابقة، كما هو معروف، هو أنّها حقبة المركزية الأوروبيّة (أو الغربية) فإنّ السّمة الأساسيّة المميزة لهذه الحقبة الجديدة، التي نعيشها حاليا؛ هي التعددية الثقافية .. لذلك نحن الآن في بدايات القرن الواحد و العشرين نعيش حالة "الحداثة متعددة الثقافات" لها حدّين خطيرين!

هذه الحالة الجديدة التي تمرّ بها الإنسانيّة حاليا هي نتيجة لثلاثة حالات مرّت و لا تزال تمرّ بها الإنسانية، هي حالة "مابعد

الحداثة"، و "ما بعد الاستعمار"، و "العولمة!

في عالم اليوم، على الرغم من أنّ الحضارة الغربية لا تزال مسيطرة، إلا أن الاعتراف بالاختلاف و التنوع و ّالتفرد للثقافات الإنسانية المعاصرة هو أمرٌ مُسَلّم به, على هذا الأساس .. ألاختلافات في النظرة إلى العالم، في أساليب الحياة؛ في منظومات القيم؛ و في الاعتقادات، معترف بها على العموم.

هذا الاعتراف يفرز آثاراً عميقة على كافة جوانب الحضارة الإنسانيّة المعاصرة، بدءاً من فهمنا لطبيعة العلم و التكنولوجيا و دورهما في تقدم الإنسانيّة، مروراً بفهمنا للاختلافات في أنظمتنا الاجتماعية و السياسية، و انتهاء بفهمنا لمعنى أنْ تُمثل الإنسانيّة مجتمعاً واحداً و في نفس الوقت تتكون من عدّة ثقافات متميزة و متفردة, وهذا ما يجعلنا الإرتماء بشكل طبيعي في أتون المفاهيم التي أقرّتها الفلسفة الكونية العزيزية.

التعدد الثقافي يمكن أن يفهم سلبيا وإيجابيا في نفس الوقت, في الفهم السلبي له، الثقافات منفصلة؛ منعزلة؛ متصارعة في محاولة لإقصاء بعضها البعض, أما في الفهم الإيجابي له؛ ألثقافات المتعددة تمثل مع بعضها بيئة حافزة نحو الخصوبة الفكرية الإنسانية من خلال تنوع "نظراتها للعالم"، وفي حالة تنافس إيجابي نحو الإبداع وتقدم الإنسانية نحو آفاق جديدة.

بدون شك نحن نتبنى هذا آلموقف الإيجابيّ الثانيّ، ليس انطلاقا من أرضيّة يوتوبيّة رومانسيذة، و إنما من أرضية واقعية عقلانية. فما نفهمه من مثل هذا الموقف هو أنه يضع عبئا من النجاح في التنافس الإيجابي في إنتاج المعرفة الإنسانية على كل الثقافات الإنسانية الكبرى المعاصرة. لذا، إذا كانت الحضارة الغربية المعاصرة لا تزال مسيطرة على الفكر العلمي والفلسفي الإنساني المعاصر، فإنّ الثقافات الكبرى الأخرى كالثقافات الصينية والهندية والإفريقية، وكذلك العربية/الإسلامية، مواجهة بمهمة صعبة هي إثبات قدرتها على الوجود والمشاركة في تقدم المعرفة في عالمنا المعاصر.

فالعلماء و الفلاسفة و المتخصصون في كلّ من هذه الثقافات يتحملون مسئولية تجاه الإنسانية تتمثل في التفاعل الإيجابي والمشاركة البناءة في الفكر الإنساني المعاصر وفي بناء الحضارة الإنسانية المعاصرة, هذا التفاعل الإيجابي يفرض الانفتاح تجاه التقدم المعاصر في العلم و الفلسفة و المعرفة، كما يفرض هضم هذه المعارف، ثمّ في النهاية تقديم تصورات أصيلة جديدة تساهم في تقدّم وتطوّر هذه المعارف والحضارة العربية/الإسلامية هي بكل تأكيد واحدة من الثقافات الإنسانية الكبرى، وتتحمل بصفتها هذه المسئولية عن المشاركة الفاعلة في الفكر الإنسانيّ المعاصر خلال هذه ألسّمات الأساسيّة للمشاركة!

الإنفتاح و الاستيعاب و الإبداع:

أحد القنوات الأساسية، في عالم اليوم، للتواصل ما بين الثقافات بدون شك، فضاء المعلوماتيّة, و نحن، "آلفلاسفة" من خلال موقعنا و مؤلفاتنا و مراكزنا المنتشرة حول العالم؛ نقوم بمحاولة المشاركة في تحقيق هذه المتطلبات الضروريّة للمشاركة الإيجابيّة للفكر الكوني/الإسلامي المعاصر في عالم اليوم, فإذا كنت تؤمن بأهميّة تعدّد الثقافات و تزاوجها من خلال المشاركة الإيجابية المتبادلة عموماً؛ وبأهمية المشاركة للثقافة الكونية ـ الإسلاميّة المعاصرة التي بدونها يحصل العكس تماماً مما نتطلع إليه و كما تؤكد بحوثنا بخصوص الأبعاد (الكونيّة) في الوجود؛ فعليك أن تؤمن بأنّ التقدم التكنولوجي خصوصاً الغير الهادف و المغرض يُؤدي بقوّة إلى إحلال الشقاء و العنف و الكراهيّة و الخصام و الحرب بين البشريّة و حتى داخل المجتمعات .. بل وداخل العائلة الواحدة, فآلتكنولوجيا – العسكرية / الحربيّة معروفة نتائجها و كذا التكنولوجيا المتعلقة بوسائل الأتصال و البرامج الخاصة بها, و هكذا يكون هذا التقدم بضرر الأنسان في نهاية المطاف, فنحتاج إلى قوانين و أخلاق ضابطة للحدّ من ذلك الفساد كي لا نخرج عن القيم الكونيّة التي تحدد و تُقلّص سعادتنا بل و تعكسها إلى شقاء!

و الفلسفة الكونية هي الضامن لحلّ هذه المشكلة التي تقتل الروح الأنسانيّة و تدمّر الأخلاق و القيم و السلوك و بآلتالي المحبة, بحيث بات من الصعب بمكان اليوم الوقوف أمامها لأنها بدأت تدمّر بآلفعل ألجّيل الجديد و بآلعمق, لأنّ الأنسان ليس فقط بعدٌ جسدي – ماديّ يجب إشباعه و التحكم به؛ بل يتكون من الرّوح و العواطف و الضميرو الوجدان الذي هو الأساس المكون لوجود الأنسان, و هذا ما سعت لها كل الأديان السماوية بواسطة(ألأنبياء و الأوصياء) و كذا الأرضية بواسطة

(الفلاسفة و العرفاء).

حكمة كونيّة: [طوبي للسائرين على خطى آلذين يزعون آلمحبّة و يفتحون قلوبهم لكافة الناس].

فمن هم هؤلاء العظام .. و ما هي قصة الأنسان في هذا المجال و أية حضارات إهتمّت بهذا الموضوع ألخطير على مستقبل و مصير البشرية فتألّقت و برزت ليصبح روادها خير أمم الأرض!؟

---

(1) قبل عام أرسل لي أحد الأصدقاء ألأعزاء و هو أستاذ جامعيّ في العراق مقالاً عرض فيه مؤلفات زميله الدكتور... و بحوثه في مجال تخصصه و مَجّدَ تلك آلشخصيّة ألعلميّة و دعى آلناس لقراءة مؤلفاته التي بلغت العشرات عبر كوكل!

فكتبتُ لهُ: [و هل أتى ذلك (الأستاذ) بنظريّة أو كشف أو إختراع أو شيئ جديد لم يسبقه غيره فيه من قبل؟

و ما هي المعايير التي إتبعتها لتقيّيمك لتلك الشخصيّة .. مع جلّ إحترامنا لكَ و لهُ؟

فهل أبدع شيئاً كان له أثر في تقدم و تطور الوضع في المجال ألمدنيّ و الحضاريّ في العراق أو غيره من البلدان و العالم؟

و ختمت القول: (حين نريد أن نعرّف شخصيّة علميّة معيّنة كـ(ألبرت آينشتاين) أو (محمد باقر الصدر)؛ فأننا نشير إلى النظرية النسبية لتعريف الأوّل .. و إلى (فلسفتنا) لتعريف الثانيّ, هذا على سبيل المثال, فأرجو يا عزيزي أن تكتب لي جواب سؤآلنا الآنف و نحن بإنتظاره لنستفيد و شكراً على متابعتك لذلك], طبعا لا نذكر إشراف الجاهل المقبور صدام على رسائل الدكتوراه في العراق وهو لا يعي حتى معنى إسمه و إجرامه الذي سيبقى على مدى التأريخ عاراً على العراق و العراقيين الذين أيّدوه والعرب و الكرد إلى أبعد الحدود.

(2) حين كتب ألفيلسوف (محمد باقر الصدر) كتاب إقتصادنا ثمّ (فلسفتنا) خلال آلسّتينات من القرن الماضي؛ برز أساتذة الحوزة النّجفية التقليديّة معلنين الحرب عليه و حتى تكفيره .. و كذا أساتذة جامعة بغداد و على رأسهم رئيس "الحزب الأسلامي في العراق وهو فرع من حزب الأخوان المسلمين" ألدكتور (محسن عبد الحميد) الذي ألّف كُتيّباً بخصوص ذلك إنتقد فيه (فلسفتنا) بشكلٍ ظالم و من جُملة ما إدّعاه في إنتقاداته ألملفقة؛ أنّ (محمد باقر الصدر) كَتَبَ (فلسفتنا) و إعتمد في آرائه و تحليله على آراء ألمذهب (ألشيعي), بينما آلمؤلف(قدس) لم يذكر و لا مرّة واحدة ألمذهب الشيعي و لا حتى المذاهب الأخرى لا مِنْ بعيد و لا من قريب, لأنّ الكتاب أساساً لا يتعلّق بقضيّة المذاهب, و هكذا بقية إنتقاداته التافهة, تصوّر أخي الباحث مع هذا الوضع الهابط للعلم في بلادنا؛ هل من الممكن أنْ يتطوّر نحو الأحسن يوماً ما!؟ لقد كان من المفروض على هذا الذي سمّوه بـ"الدكتور" أن يبحث و يتوسع في مضمون (فلسفتنا), نراه يُحاول تفنيده بلا دليل للأسف بدعم من النظام السياسي الحاكم, و إلى يومنا هذا تسير "الأنظمة" بنفس السياسة و آلأحكام و بكل غباء لإبقاء الشعوب في جهلها لسرقتها و نهبها.

رُوّاد ألحضارات ألإنسانيّة لا آلمادّيّة:

رُوّاد ألحضارات ألإنسانيّة لا آلمادّيّة:

[لا خير في الحضارة الماديّة بدون الأخلاق و القيم] حكمة كونيّة.

ألتّمدن يمكن أن يقوم به البشر سواءاً كان يعيش في العصور السابقة أو في هذا العصر أو أي عصر آخر!
و هذا ما تحقق بآلفعل خلال العصور السابقة قبل آلاف السنين في عصر الفراعنة أو اليونان القديم أو العراق أو إيران أو الصين أو الهند مع وجود بعض الفوارق بين كل حضارة من الناحية الأنسانية – ألحضاريّة و هذا ما سنشير إليه, و لأجل الوقوف على الحقيقة بشكل كامل؛ يجب أن نعرف قبل الشروع في تفاصيل هذا البحث؛
الفروق الجوهريّة بين المستويات الثلاثة ؛ البشرية و الأنسانية و الآدمية.

بداية يجب أن نُفرّق بين (البشر) أي القشرة الخارجية أو الظاهرية للمخلوق و بين (الأنسان) الذي يشير إلى ما يلي البشرة و بين (الآدمي) الذي يشير للأصل و الطبيعة الخلقية لنقف بعدها على الحقيقة بوضوح و رسوخ!؟

وهل الحضارات التي وجدت على الأرض كحضارة بابل و سومر و مصر و فارس والصين و الهند و غيرها, كانت إنسانيّة و تسببت في سعادة الخلق؟

مِنْ بين جميع الحضارات التي طالعتها ؛ تُعتبر حضارة الصّين أفضل و أقدم و أرقى الحضارات الأرضيّة التي أصبحت نموذج يقتدى به العالم بما فيها عالمنا الإسلاميّ(1) لأحتوائها على الحسّ الأنساني و العواطف و المحبة فيما بينهم, بعكس التصورات السائدة في بعض الأوساط و الشعوب؛ معتقدين بكون حضارة بلاد الرافدين أو حضارة النيل مثلاً هي الرائدة في المجال الأنسانيّ, نتيجة تصور الناس السّذج و إعلام المستكبرين و الطواغيت الذين يحكمون اليوم و الذين ساروا على نفس نهج زعماء تلك الحضارات العنيفة التي بُنيت على التكبر و القوة و العنف و على جماجم الفقراء و الكادحين, لأن الفراعنة والسومريين و الأكديين أدركوا فقط بأن القوة و التسلط هي الروح التي يجب أن تحكم لعدم دركهم لمسألة الخلق و سبب الوجود و دور المحبّة كمحور لقضية الخلق, و لا يزال أهل مصر و العراق و باقي دول الإسلام يعتقدون بنفس النهج للأسف بسبب التربية الخاطئة و التعليم الفاشل و القيم الفاسدة التي تحكم مجتمعاتهم!

فما هو الفرق الجوهري بين الحضارات التي بُنيت على القيم و المبادئ الأنسانية الراقية و بين الحضارات التي بُنيت على القوة و القسوة و جماجم المستضعفين؟

تعتبر حضارة الصّين من أقدم و أرقى الحضارات على الأرض قاطبة, بعد الحضارة الإسلاميّة(2) التي لم تستمر بسبب فساد البشر و على رأسهم الحكومات و السلاطين و الملوك و المنظمات و الأحزاب التي تتشكل لأجل النهب و السلب عادّةً و كما أثبتت الوقائع للآن لإعتمادها على الغيب الذي يعتبر الطاقة المحركة لإحياء مكونات الطبيعة و على رأسها الأنسان!

ففي تأريخ الصّين ألقديم قدر كبير من الكتابات و آلنّصوص و التأملات تفوق كثيراً ما يعتقده الكثيرون, حيث إشتهرت بثنائية الوجود التي يعبرون عنها بمصطلحين شائعين, هما؛ (بين) و (يانج), ألأوّل يمثل حالة السّلب و التّلقي و ألأستيعاب, و الثاني يمثّل حالة الأيجاب و النشاط و الحركة و الأنتاج, و يكمل كل منهما الآخر بعيدا عن التضارب و التضاد, ليمثل آلتكامل البشري – الأنساني وصولاً للحالة آلآدميّة.

أما الخضوع لـ(ألتاو) فأنه خضوع مسكوني سلبيّ, لأنّ التاو حقيقيّ و أبدي, فعليك أن لا تأبه بآلزّمن حتى تصل النّهاية حيث مملكة الحبّ و آلخلود لتتّخذ بين أحضانها راحتك و سعادتك الأبديّة.

هذه النّظرية التي تتلاقى مع نظرية [الأسفار الكونيّة السبعة] التي عرضناها(3)؛ سيطرت على الصّين القديمة و ما زالت

تُدرّس في مراكزها و معابدها, حتى ظهرت الكنفوشيّة بعد آلتّاويّة التي كانت بمثابة مقدّمات لها, حيث شاركتها في الجانب الأستسلامي – ألسّكونيّ, حتى صار إسم الصّين مقترناً بكنفوشيوس(551 – 479 ق.م) ألذي رعى و أبدع مبادئه بعد أن هجر الناس إلى الغابات و الوديان و بدأ أسفاره التي أثمرت ألمبادئ الثمانية المعروفة, و بذلك رسم طريق السكون في الحياة لأركان المجتمع الآمن السعيد.

لقد إنزعج كنفوشيوس من مظاهر العنف و الحرب بين الولايات الصّينية ـ الأقطاعية ألمترامية, فأبدى رغبته في تأئيد الحاضر, و تعتبر أجزاء المختارات الأدبيّة(4) المنسوبة إليه ممثلاً لفكره الذي يقرر أن الطيبة بمعنى السلام القلبيّ هي الشيئ الأهمّ حقّاً في مجالات الحياة المختلفة و التأريخ البشري الطويل, لهذا يعتقد الكثير بأن تعليماته تمثل بحق قيم السماء, إلا ان المشكلة التي أصابت تلك التعليمات ـ كما كلّ التعليمات السّماويّة الأخرى – هي التّحريف, وحافظ الناس عليها و طوّروا ما كان منها يتعلّق بآلسّياسة و الاقتصاد و المعاش بحسب مصالح الحاكمين كآلعادة, بحيث أن ما تبقى من أفكاره يفسرها البعض إنه مفكر سياسيّ و عمليّ لا روحيّ و عرفاني و إنّ فلسفته دنيوية محظة, و هكذا تطورت (الكونفوشيوسية الحديثة التي أعاد للعقل مكانته في هذه الفلسفة, و وصف عمل العقل مضاد لعمل البدن(الشهوات) و بأنه قادر على النّفاذ.

كما لم تكن (البوذية) ألّتي ظهرت في الصّين أيضاً أول الأمر ثمّ آلهند و بقية بلدان العالم بمرور الزمن على يد بوذا أو (بودا)(483 – 563 ق.م) إلّا محاكاةً للتاويّة أو (الطاوية) ألقديمة التي تميل للعزلة و الزهد و السكون و البعد عن الماديات أيضاً.
و (الطاوية) أو (التاوية) هي تقليد ديني أو فلسفي ذو أصل صيني، تؤكد على العيش في وئام مع الطاو، (教道 :بالصينية) والطاو هي فكرة أساسية في المدارس الفلسفية الصينية و تعني (لاو سو) أي المعلم الكبير (المسنّ) حيث (لاو) تعني الرجل المسن و (سو) تعني المعلم, وفلسفتها في الطاوية هو المبدأ الذي يضم مصدر ونمط ومضمون كل شيء موجود في الحياة, لكنها رغم عدم بروز هذه الديانة أو الفلسفة بوضوح لعدم معرفة مؤسسها حتى ظن البعض أنها ديانة وهمية وعدم وضوح أفكارها بآلشكل الذي برزت الديانة أو الفلسفة البوذية التي إنتشرت في العالم بقوّة, حيث يصل (تعداد أتباعها – أي البوذيّة ـ اليوم إلى أكثر من 550 مليون نسمة, أيّ بحدود 8% من سكان العالم), و يعرف أتباعها باسم البوذيين؛ وجذر كلمة بوذيّة تأتي من كلمة البوذيّة نسبة إلى مؤسسها (غوتاما بودا), و تهدف البوذية إلى السلام و المحبة و العمل الصالح و تجنب الأذى و العنف و التركيز على التأمل الباطني و الروحي.

و قد لخّص بوذا تعاليمه التي أسماها بـ : (ألحقائق النبيلة ألأربعة) و تنحصر بأربعة نقاط هي :

ألأول : الحياة ألم منذ ولادة الإنسان حتى الموت, حيث تلاحقه الأكدار و تسيطر عليه الأحزان.
ألثاني: سبب كل الآلام هي رغبات الأنسان و شهواته الماديّة أو المعنوية التي تتجسد بآلظهور.
الثالث: إيقاف الألم عن طريق التحرر و الخلاص من الرّغبات و يمثل هذا الامر جوهر البوذية.
الرابع: طرق إيقاف الألم .. و يتألف الطريق من ثمان مراحل، و يسمى بالدَرْب الثُماني النبيل، تمتد على طول هذا الطريق ثمان فضائل عبر التسلسل التالي:

1- الطريق الذي يؤدي إلى إيقاف المعاناة
2- الفهم السوي،
3- التفكير السوي،
4- التفكير السوي،
5- الارتزاق السوي،
6- الجهد السوي،
7- الانتباه السوي,
8- وأخيرا التركيز السوي.

توزع هذه الفضائل إلى ثلاث أقسام:

الفضيلة.
الحكمة.
التأمل.

و بذلك يتم الحصول على النشوة الصحيحة و التي لا تتحقق إلّا من خلال التأمل و التفكير العميق للوصول إلى الأستشراق ألرّوحي الذي يحقق الإتصال بآلله و الذوبان فيه تعالى, ليصبح الأنسان حرّاً من كل القيود و العواطف المجازية التي ترتبط بآلحياة و تُكبّل الأنسان, و بذلك يصل إلى حالة السّكينة .. سكينة (النيرفانا) و السلام, و كما أشرنا لذلك سابقاً.

في خضم تلك الأفكار و الرؤى ظهرت الرسالة الموسوية, حيث بعثه الله رسولاً مع أخيه هارون لقومه, و جرت ماجرت من أحداث, و بعد مرور 500 عام تقريباً, أرسل الله تعالى عيسى (ع) برسالته يبشر الناس الذين ظلوا الطريق لتركهم رسالات أنبياء الأرض و كذا ألرّسالات التي بعثها الله تعالى, و إستمرت الأوضاع التي صاحبت الحروب و المآسي و الجهل و عبادة الأوثان حتى بعث الله رسولنا الكريم ألرّؤوف ألرّحيم الخاتم برسالته ألعرفانية الخالدة إلى يوم الدين, تلك الرسالة التي هي الأخرى إنحرفت إلى مذاهب و طوائف بلغت أكثر من سبعين مذهباً و ديناً كلها تدعي الأسلام و بكون الحق معها, بينما جميعها تسير بعكس الهدف المطلوب الذي حدده الباري في كتابه الخاتم الخالد, بقوله عن الرّسول(ص): [إنّما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق]!

و الأدب و التواضع و المحبة كما تُؤكد الفلسفة الكونيّة؛ هي آلمُحددات التي تبيّن سموّ و مكارم الأخلاق لدى أمة أو قوم أو شعب أو عائلة أو حتى آلفرد الواحد, و الحال أننا نرى أنّ هذه الصّفات اليوم مفقودة في جميع بلاد العالم تقريباً خصوصاً في بلاد المسلمين بسبب إهانة الحُكّام لكرامة الأنسان التي تأثرت سلباً بآلطبقيّة و الفوارق الحقوقية و المعاشية بشكل طبيعيّ, حيث حلّت الفوارق الطبقيّة و الحقوقيّة و المعاشية بشكلٍ كبيرٍ و فضيعٍ فرافقه آلأرهاب و العنف و الهجوم و الغيبة و النفاق و السرقة و الكذب و النهب كنتاج لذلك للأسف الشديد لردّ إعتبار المهضومين و حقوقهم المنهوبة من قبل الحُكّام, لذلك لا تستطيع كل جيوش العالم القضاء على الأرهاب إلا العدالة التي تتحقق بعمل الخير و معرفة الجّمال و وعي آلعلم و العرفان!

و سنبحث ماهيّة و دور العرفان لعلاج عذابات الرّوح التي أصبحت موضع إهتمام العالم بإسره نتيجة الضغوط المانعة لأيّ تقدم أو حتى تفكير سليم و العون من الله تعالى .

---

(1) قال خاتم الأنبياء والمرسلين: [خذ العلم ولو كان في الصّين], وحتى الآن تعتبر الصين دولة عظمى و أكثر إنسانيّة من الدّول الغربية و حتى الأسلاميّة كآلعراق, رغم إنّ عدد سكانها أكثر من ملياري نسمة.
(2) للمزيد من التفاصيل : (ahewar.org) عزيز الخزرجي - ألحضارة الأسلامية أكبر حضارة عرفتها البشرية.
أو عبر الرّابط التالي : (kitabat.info) كتابات في الميزان / ألحضارة آلأسلامية أكبر حضارة عرفتها البشرية.
(3) للتفاصيل راجع : (noor-book.com) مكتبة نور - pdf تحميل كتاب ألأسفار الكونيّة ألسّبعة.
Anolects. (4)

لماذا لا بديل للطبابة ألكونيّة؟

لماذا لا بديل للطبابة ألكونيّة في هذا العصر؟

من أصعب العلوم هو الطب النفسي و يبشر بآلغيب و المحافظة على الرّوح, لأن جميع وسائل و أدوية الشركات و عمليات الجراحة لا يمكنها تحقيق الشفاء .. من هنا يبرز دور العرفان لعلاج عذابات الرّوح أصبح موضع إهتمام علماء آلنّفس و السّايكلوجيا, و أوّل مَنْ أشار له هم الأنبياء و الفلاسفة, و في مقدمتهم الرّسول الكريم(ص) و الأئمة الأوصياء من بعده, و حديثاً – أي خلال القرن الماضي – أشار إليه بعض الفلاسفة و المفكرين كـ (يونك)(1) ألعالم السويسري المختص بأمراض الروح و النفس و الذي أعلن لأوّل مرّة بأن إنسان القرن العشرين أصبح عقلانياً أكثر من اللازم, داعياً الأتكاء على الضمير آلعام(الظاهر) و أهمل في الجانب المقابل بقية القوى الروحية و الطاقات الفاعلة و أهمها الضمير الخفي(الباطن) حتى أصبح شيئاً ثانوياً لا فاعلية له في الحياة بل و إنساقت تلك القيم الروحية تحت تأثيرات الهيمنة المادية و الجسمية!

كما ظهر علماء آخرين كـ (دايل كار نيجي) الأمريكي الذي لهُ مؤلفات عديدة في مجال الطب النفسيّ و علاج الأمراض ألروحية و الاجتماعية, و هكذا شهد القرن الماضي محاولات خجولة بجانب ذلك لحين ظهور فلسفتنا الكونيّة التي أسست لقوانين عامة بشأن الحضارة المطلوبة و المجتمع السعيد و الأنسان الهادف المحب الساعي في طريق الخير وصولاً للمعشوق الأزلي الذي بوصاله تنتهي كل المحن.

ألأنسان و منذ القرون الأخيرة و بآلأخصّ منذ القرن الثامن عشر و بتأثير القوانين الأرسطوية التي أعتمدها الفلاسفة الثلاث؛ (ديفيد هيوم) و (رينيه ديكارت) و (إيمانوئيل كانت) أعمدة ألنّهضة الغربيّة ألحديثة ألتي بدأت منذ آلقرون الوسطى عبر ثلاثة مراحل؛ النهضة ؛ الثورة ؛ التطور(2) حيث بان الأفراط في الأعتماد على العقل الظاهر و بآلمقابل إهمال العقل الباطن أو الضمير أو الوجدان, و هذا بسبب إعتماد الرّواد و العلماء على الحضارات القديمة كآلبابلية و الفرعونية و الفارسية و غيرها, حيث حققوا تقدماً واسعاً في مجال العلوم الطبيعية و التكنولوجية, ممّا أدى إلى حدوث تغييرات كبيرة و ثورات صناعية عملاقة خلال القرن الماضي متأملين تحقيق سعادة البشر, لكن نتائج كل تلك الثورات و التقدم التكنولوجي آل إلى وضع غريب و جديد .. حيث ليس فقط لم يتحقق ذلك إلا بقيمة كلّفت البشرية فقدان الطاقات الأنسانية الأخرى و تجميد عواطفها و الأبعاد الروحية فيها و مسخ وجدانها و خسارة موقعهم كخليفة لله تعالى في الأرض, و تضعيف الأبعاد و القوانين الألهية التي بشرّت بها الأديان السماوية والأرضية التي تحدّثنا عنها آنفاً, و بآلتالي أدّى إلى ضياع و تيه الأنسان الصناعي – الربوتي – الجديد!

في العالم الصّناعي – الغربيّ – يطلق كلمة العاقل على الذي ينظوي و يطبق القوانين الموضوعة له من قبل (المنظمة الأقتصادية العالمية) تحت إشراف الأحزاب المعروف في كل دولة و التي تعمل على تطبيقها ليبرالياً و ديمقراطياً بلا قيد أو شرط, لهذا يجب على الذي يريد أن يعيش أن يتلون بلونها و ينضبط تحت أصولها و قوالبها عبر النظام القائم و قبول كل ما هو خارج المدى الديني و النفسي و الروحي, بحيث لو تخطى الحدود كقطعة أو برغي داخل ماكنة ما فيؤدي إلى إيقافها و سيكون بمثابة الشّاذ في المجتمع, و الذي يحتاج لتأهليه من جديد؛ إلى التربية و التعليم ليعود إلى الطريق السوي بنظرهم!
و قد صوَّر الشاعر ألإيرانيّ (ملك الشعراء بهار/غزل92) بدقة هذا الوضع ببيت شعر إختصر الموضوع أعلاه, بقوله:

[عاقلانش باز زنجيرى دكَر بر پا نهند روزي أر زنجير أز هم بكَسلند ديوانه اى].
مؤكداً على أهمّية العرفان و ضعف القدرات العقلية لحلّ المشاكل المعقدة في عصرنا.

و لو أن أحداً تجاسر و وضع قدمه خارج المنظومة السائدة التي أقرّتها الأكثرية بحسب الظاهر عبر الديمقراطية المستهدفة التي تستخدم - لذرّ الرّماد في عيون الناس – سيكون خاطئاً و مردوداً و مطروداً و يجب إرجاعه إلى وضعه الأصلي, لتسير الماكنة بشكل طبيعي لتحقيق أهداف المنظمة الأقتصادية العالمية التي تملك البنوك و الشركات و الطاقة و الأرض.

فآلقانون الحاكم في العالم الصناعي هو حاصل ضرب 2 في 2 = 4 حسب المنطق الأرسطوي, فآلحاكم هو المشاهدة و

التجربة و التحقيق الميداني , و هذا بحدّ ذاته كان مفيداً في محلّه و مكانه و لكنه لم يكن كافياً.

مشكلة ألحضارة آلمعاصرة:

مشكلة ألحضارة آلمُعاصرة:

المشكلة الكبرى للحضارة المعاصرة هي أنّ المنظمة العالمية المسيطرة على إقتصاد و مال و منابع الطاقة في العالم و التي تُسيّر حكومات الأرض عن طريق (الديمقارطية) المستهدفة, هي نفسها – أي المنظمة- تتحكم بتصويب القوانين و إعمالها في الواقع لتحقيق أهدافها الكبرى عن طريق الأحزاب و الحكومات و الأحلاف التي تنفذ تعاليمها بدقة لاجل منافع محدودة!

من هنا فأن جميع دساتير العالم تقريباً ربما - بإستثناء دولة أو دولتين – خاضعة للقوى العظمى التي تتحكم حتى بتفاصيل القرارات و ترتيبها بنحو تحقق غاياتها.

لهذا لا نرى أي دستور من دساتير الدول ترعى حقوق الأنسان و المواطنة و العدالة, فجميع الأنظمة تنتهي بآلطبقية و الفوارق الحقوقية .. و كما نشهدها عملياً حيث تتجه يوما بعد آخر إلى إزدياد الهوة بين الطبقات الاجتماعية بدل أن تتجه نحو المساواة و العدالة ليعم الأمن و السلام وتتحقق السعادة!

و السبب الأساسي في كل ذلك هو لهوث المعنيين و معهم الناس نحو المادة و (الدولار) و إعتبارها المنقذ من الهلاك و الفقر و الجوع, مما تسبب في زيادة جشع و طمع الناس و الأبتعاد بشكل طبيعي عن قضايا الوجدان و الروح و العرفان التي هي الدواء الحقيقي و الجذري لجميع المحن التي تهدد البشرية بما فيها (الموت) القاصم و القاهر للمستكبرين و أذيالهم, حيث بيّنت الأحصاآت التي أجرتها الجّهات المختصّة في أمريكا بأنّ الناس يخافون من مسألتين هما: علاج الأسنان و الموت بآلدرجة الأولى.

و لتلك الأسباب نرى تزايد القوانين التي من شأنها التحكم بآلبشر و تحديد حركتهم و حريتهم و مجالات الحياة الأخرى للسيطرة عليهم و بآلتالي التحكم لنهب حقوقهم.

لهذا ترى حتى المحاكم القضائية لا تحكم بآلعدل بين المواطنين ؛ بل تحاكمهم بحسب طبقتهم و وضعهم .. و هناك قوانين خطيرة للغاية قصمت ظهر البشرية و منها قانون إصالة الفرد و المجتمع .. و هل الأصالة يجب أن تعود للفرد أم المجتمع, و هذا ما سنناقشه في الموضوع القادم إن شاء الله.

أخطر قانون دمّر الأنسان ألمُعاصر:
حلول ألعقل ألجّمعيّ محلّ ألعقل ألفرديّ.

أخطر قانون دمّر الأنسان ألمُعاصر:
حلول ألعقل ألجّمعيّ محلّ ألعقل ألفرديّ.

إنتبه الفيلسوف (هيجل) الألماني في القرن الثامن عشر و (جان جاك روسو) الألماني أيضاً .. إلى نوع من (الغربة الذاتيّة) في الأنسان و أعلنوا أنّ العقل الجّمعيّ حلّ محل ألعقل الفرديّ, بمعنى [حلول إصالة المجتمع محلّ إصالة ألفرد], و هذا يعني مسخ كرامة الأنسان و تمييعه ضمن الأهداف الأجتماعية الكلية التي أشرنا لها آنفاً لصالح طبقة الـ 1%, و فيما بعد طالع (كارل ماركس) هذه المقولة بنظرة أكثر محدوديّة مركّزاً على الجانب الأقتصاديّ فقط كما بيّنها في كتابه (رأس المال), لكن (أريك فروم) ألعالم النّفسيّ و الأجتماعي المعاصر, ذهب أكثر من غيره لبحث الموضوع, حيث أشار إلى أهمّية فلسفة الشرق - أي الفلسفة المبنية على الغيب - و مكانه الخالي في هيكلية المجتمع الغربيّ المتجّه لمصير خطير, مؤكّداً على ضرورة إدخاله في المجتمع الغربيّ, و معلناً بصراحة إلى مسألة إستهزاء و عبثية النظام الغربيّ للأنسان كفرد, و ما مقولة الفضائل الغربيّة و آلآداب و الأخلاق في العالم الصناعيّ إلّا وسيلة لإبعاد الأنسان عن نفسه و تغرّبه عن ذاته.

و قد وصف (عمر ألخيّام) هذا الوضع رغم الفاصلة الزمنيّة و كأنه كان يرى الحقيقة بوضوح, بقوله في رباعيته برقم 54:

آنانكه محيط فضل و آداب شدند .. در جمع كمال شمع أصحاب شدند
ره زين شب تاريك نبردند برون .. كَفتند فسانه أى و در خواب شدند

مؤكداً بوضوح على أهميّة ألألتزام بآلفضائل والأداب التي وحدها تسعد البشرية وما التكنولوجيا و الآلات إلا عوامل مساعدة.

ثمّ أدركه – أيّ ألخيّام - بعد ثمانية قرون الفيلسوف (آبراهام ماسلو) الأمريكي الجنسية – الروسي الأصل و صاحب مثلث الحقوق و الخبير النفسي الطبيّ بقوله :
[ألأنسان السويّ السليم هو ذلك الذي أسهم مع المحيط الذي حوله, و أدرج معايير معينة لتشخيص الأصحّاء و المرضى و أشار إلى التجربة العرفانية كأهم عامل في هذا الوسط].

و لفهم دقيق لهذه التجربة يرجى الأنتباه إلى ما يلي :
- رضا الخاطر و التسامح و المغفرة و آلرّحمة الخالية من الشوائب و التوقعات.
- ألأرتياح و الأنتعاش من الكرم المادي و غيره بدون أي إحتمال لردّ ذلك.
- التلذذ و الحيرة من عجائب الدنيا و مخلوقاته, و التفكر في أسرار و رموز هذا النظام العجيب و هذه الكائنات و بآلتالي الحكمة و الكمال و الجمال المخفي فيها.
-تجربة السكوت ذا الدلالة و المعنى, المكنون مع الحكمة, و العبر مما يحيط بنا و كذلك العبرة من القبور, و كذلك الغاية من هدف العيش عند القيام على المقابر لتجديد الذكرى.
- كسب رضا الخواطر عبر المشاركة في همومهم و أفراحهم و إزاحة الهموم من على تلك الوجوه و تبديل الدموع إلى ضحكات على الشفاه.

و حقاً ما كتبه المفكر الأمريكي ألدكتور (كينث) من وصايا جوهرية تحث على حبّ الناس و مسامحتهم .. ليتحقق الوئام و السّلام ليس فقط بين العائلة بل حتى المجتمع, وهذا هو أهم أصل في الرّسالات السّماوية خصوصا الأسلام الذي يعتبر بغض الناس من أسوء الأمور و لها مخاطر جسيمة ..

إنّها الوصايا ألسَّماوية ألعشرة للكاتب الأمريكي (كينت كيث) (3) دوّنها سنة 1968م, و طُبِع ككتاب سمّاهُ : عام2002م.
أعتقد بأنّه إستّقاها و نظّماها متأثراً بالكُتب السّماويّة الخالدة.
(على أيّة حال). Anyway

و رغم الصفاء الرّوحي الذي ميّزه عن الآخرين و علمه الواسع و إعتباره أفضل أساتذة جامعة (هارفارد) التي تخرّج منها و هي الجامعة الأولى في العالم و لا يدخلها إلّا أبناء المسؤوليين و الرّؤساء و الأغنياء؛ و رغم أنهُ ترأس تسع جامعات أمريكية أخرى؛ إلّا أنّهُ كان متواضعاً للغاية و لم يكتب سوى خمس مؤلفات مفيدة و غنية و دالة و عظيمة فقط (4) تُرجمت إلى لغات عدّة, خصوصاً, كتاب (الوصايا العشرة) التي سمّاها بـ (على أيّة حال) و التي لَفَتَتْ أنظار العالم و المثقفين الكبار، و تحوّلت إلى بوسترات و نشرات و مُلصقات جداريّة تُعلّق على الحيطان و الأبواب و المحلّات, و أصبَحَ كتابهُ المشهور (الوصايا العشرة) من أكثر الكتب مبيعاً في أمريكا و إنكلترا و قتها, و كأنّ نبيّاً مرسلاً أو إماماً معصوماً قد كتباها.

و الوصايا الخالدة هي:

1- ألنّاس غير منطقيين ولا تهمّهم إلّا مصلحتهم؛ أحِبهم على أيّةِ حال.
2- إذا فعلت الخير سيتّهمك الناس بأنّ لك دوافع أنانيّة خفيّة؛ إفعل ألخير على أيّةِ حال.
3- إذا حقّقتَ النّجاح سوفَ تكسبُ أصدقاءاً مُزيّفين و أعداء حقيقيّن؛ إنْجح على أيّةِ حال.
4- ألخير الذي تفعلهُ اليوم سوفَ يُنسى غداً؛ إفعل ألخير على أيّة حال.
5- إنّ آلصّدق و آلصّراحة يجعلانَكَ عرضةً للإنتقاد؛ كُنْ صادقاً و صريحاً على أيّةِ حال.
6- إنّ أعظم آلرّجال و آلنّساء ألّذين يحملون أعظم الأفكار يُمكن أنْ يُوقفهم أصغر الرّجال و النساء الذين يملكون أصغر العقول؛ إحْمِل أفكاراً عظيمة على أيّةِ حال.
7- ألنّاس يُحبّون آلمُستضعفينَ, لكنّهم يتْبَعونَ المُستكبرينَ؛ جاهد من أجل آلمُستضعفين على أيّة حال.
8- ما تُنْفِقَهُ في بنائِهِ سنوات, قد ينهار بين عشيّة و ضُحاها؛ إبني على أيّةِ حال.
9- ألنّاسُ في أمَسّ ألحاجَة إلى المساعدة, لكنّهم قد يُهاجمونكَ إذا ساعَدْتَهُم؛ ساعدهم على أيّة حال.
10- إذا أعْطَيْتَ آلناس أفْضَلَ ما لَدَيكَ, سيَردُّ عليكَ آلبعض بالإساءة؛ أعطِ النّاسَ أفضلَ ما لديك على أيّة حال.

أما نحن فنعتقد أيضا بعمل الخير دون إنتظار الشكر لكونه أحد الأركان الثلاثة(5) الواجبة معرفتها و أدائها .. لأداء رسالتنا الكونيّه التي وجدنا لأجلها و هي أفضل بشرى لاهل القلوب, هذا بعد أنْ لم يَعُد هناك من أهل القلوب في دُنيانا – دُنيا المصالح و الماديات و عبادة (الدّولار) عمليّاً إلى جانب عبادة الله شكليّاً - سوى القليل ألنادر و بعدد الأصابع و الذين لا يتجاوزون ألـ 300 آدميّ, بحيث لو صادفك منهم أحداً .. يستوجب عليكَ أداء صلاة الشكر و تقديم النذور!
على كل حال .. إليكم يا أهل الوجدان تلك البشرى .. للتخفيف من مُعاناتكم وغربتكم في هذه الدُّنيا وسط التزوير و الكذب و النفاق و الغيبة التي هي أسوء من آلقتل و السرقات المختلفة بدءاً بآلمال (النقد) ثمّ (المحبّة) و إنتهاءاً بسرقة ألأفكار و آلحِكَم و جعلها بأسمائهم لتنشرح نفوسهم المريضة المضغوطة و يُطفأ غيظهم للحظات, و لو سألت هذا آلسارق لأفكارك مثلا عن معنى و فلسفة (الحكم المسروقة) وعن آثارها التدميرية حتى لو كان قد نظمها شعراً؛ لفسرها بحسب هوى نفسه بغير مراد قائلها .. و بعكس الحقيقة الكونيّة تماماً و الذي سيسبب و يُعمّق الفساد و الفوضى في الأمة و كما حدث في العراق و غيرها من البلدان, لذلك لا بُدّ من المعرفة المقترنة بآلتقوى لتحقيق ألشفاء و من ثمّ الغاية من الوجود بحسب الوارد في الوصية التاليّة:
سُئل آلعارف الحكيم:
كيفَ آلسّبيلُ إلى السَّلامةِ من النَّاسِ؟
فأجاب : تعطيهم و لا تأخذ منهم؛
و يؤذُونكَ ولا تُؤذِهم؛
و تقضِي مصالحهُم .. و لا تكلّفهم بقضاءِ مصالحك؛
و علّمهم الحِكم و المواعظ ولا تنتظر الشكر منهم!
قيل له : إنَّها صعبةُ للغاية .. أيّها آلعارف الحكيم؟
قال : و ليتكَ تَسلم!
و لا تسلم .. إلّا بعد (نكاحِكَ)!
و لهذا كان (كورونا) و حرب الفايروسات و الأرهاب و الزلازل و الفيضانات و شيوع العنف و الكذب و غيرها حقّاً وناتجاً

طبيعيّاً إبتلي بها البشر, و هي آية عظيمة و تحذير لمن ألقى السمع و هو بصير .. و لا تنتهي إلاّ بتحقّق العدالة التي تسبقها التوبة و ردّ المظالم و تشكيل حكومة – حكومات - كيفما كان و مثل السابق على الأقل تسعى للعدالة النسبية بقيادة ألنّخبة الصالحة التي لا تملك المفاتيح (المال) لحلّ مشاكل الناس و إيجاد المخارج للخلاص و التمهيد للظهور الكبير!

بعد تلك المقدمات الغنيّة الكونيّة التي كشفت عن حقائق كثيرة يحتاجها كل إنسان سواءاً كان أستاذا أو مختصّاً مهنياً أو سياسياً أو إقتصادياً أو إدارياً أو غير ذلك؛ نقدّم لكم تفاصيل بيانات مجرّبة عن ذلك النّسق لتوجيهكم و وضعكم على الطريق ألصّحيح المؤدّيّ إلى تحقيق الغاية من الوجود و الخلق عبر الفصول القادمة إن شاء الله فتابعوا ذلك بدقة و وعي.

Jung. (1)

(2) للتفاصيل راجع : فلسفة الفلسفة الكونية – الحلقة الثالثة, عبر الرابط التالي:

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=592068

Kent M. Keith, is an American writer and leader in higher education. (3)
Raised in Nebraska, California, Virginia, Rhode Island and Hawaii, where he graduated from secondary school, Keith entered Harvard College to study government.
Born: 1949, Brooklyn, New York City, New York, United States
Education: Harvard University
Books; (4)
Anyway: The Paradoxi...
2001
The Case for Servant Leadership
2008
Do It Anyway: Finding P...
2003
Have Faith Anyway: The Visio...
2008

(5) الأركان الثلاثة هي: معرفة قوانين و قواعد الجمال؛ ألعلم ؛ عمل الخير.

ألفصل الأول و هو آلأصل الأوّل:

الفصل الأوّل و هو آلأصل الأوّل:
كيف نُنمّي (ألبصيرة)؟

و هي بناء البصيرة التي وحدها تذلّل الصعوبات أمام السّالك لأنّ التكنولوجيا وكل العلوم و ناطحات السحاب لا تستطيع ذلكّ!

إنّ مجرّد تلفّظ كلمة (ألخبز) لا تُشبع جوع الأنسان و كذلك كلمة (الماء) لا تُروي ظمأ الأنسان, و هكذا رؤية صورة خلاعية لا تفي بآلغرض ..

و إن الرّمز H2O لا تُسيّر المراكب و آلسّحاب, و هكذا كلمة المطر لا تبلل الأنسان بل يجب أن نجرّب الخبر والماء وآلمطر. حتى يتحقق معناه و مفعوله عملياً, فآلكلمات و النّظريات وحدها قد تبعدنا عن الواقع, لذلك يجب ألتوافق و الأنسجام بين النظرية و العمل, و متابعة المتغييرات التي قد تطرأ لإعادة صياغة النظرية بآلشكل الذي يحقق المطلوب الذي نبغيه.

إن الصفحات الآتية من هذا الكتاب هي الأخرى جاءت على هذا النسق و الأساس, هي كلمات و حِكَم و مبادئ لتوجيهكم من أجل تجربتها آلعمليّة المباشرة, لأنها – الكلمات و الحكم و الأمثال – تُعبّر عن أحاسيس و وقائع معيّنة تمّت تجربتها و معايشتها من قبل مَنْ سبقونا فبات تُراثاً و دروساً لحياتنا المستقبلية.

و لو أنّ موضوعات هذا الكتاب دخل قلوبكم و بات صداه معروفاً لأسماعكم و محتواه متناغماً مع أرواحكم ؛ عندها يكون من المؤكد إيمانكم به و الإلتزام بمبادئه .. لتبدء أسفاركم و رحلتكم التجريبية على أرض الواقع.

أنا أوّمن بهذه الأصول لأنها خدمت حياتي و أنجحت مشاريعي و كانت لها مردودات إيجابيّة في الأحداث التي واجهتها, لهذا إريد أن أنقل لكم هذا الأحساس و تلك التجارب الغنيّة مع بيان كيفيّتها و تأثيراتها و مردوداتها لسهولة تطبيقها من قبلكم.

و الوقائع في حياتنا هي إنعكاس لتفكيرنا, لذلك فأنت تلاقي ما تفكر به عادّةً و ما رأيتموه و عايشتموه و إعتقدتم به, فلو أنكم كنتم على الدّوام تفكّرون بآلقليل و الدّنيئ و تقنعون بما قُسّم لكم, بحيث صار هذا النّمط محوراً و أساساً لتفكيركم و بات لسان حالك على الدّوام؛ فتيقّنوا بأنكم ستواجهون الكثير من النّواقص في حياتكم, و لو كنتم على عكس ذلك تعتقدون بحسن الحظ و تفكرون فقط بآلسّعادة و النعم و البركات و تُحدّثون أنفسكم و الآخرين بذلك على الدّوام و تخططون على أساس ذلك؛ فسوف تشرفون على أعتاب ذلك و تنالون هذا الحظ السعيد و كل ما إعتقدتم به و ستحصلون حتماً عليه.

لقد قال ألمفكر (أوليفر و ندل هولمز)(1) قال :
[كلّما نال إنسان ما عقيدة جديدة, فإنّه لن يعود لعقائده القديمة].

إن الأصول و المبادئ التي أكّد عليها هذا الكتاب يمكن أن تفتح أمامكم آفاقا جيدة و خطوة في عالم جديد .. لو إعتقدتم بصحة و حقيقة ما أقول و جعلتموه أساساً و منهجاً أمامكم في الطريق, و سوف لن ترجعوا إلى مواضعكم القديمة التي أكثرها كانت مبعثاً للقهر و عدم الأستقرار القلبي, لهذا كنت مضطرباً على طول الخط و غير مستقر البال.

الذي يحدث هو إن إفكاركم سوف يطرأ عليها التغيير, و إن رؤية جديدة ستستقرّ أمامكم, و لن ترجعو إلى مواضعكم القديمة التي أكثرها كانت مبعثاً للقهر و الفقر و عدم الاستقرار.

إن كلمة (هناك) أو (ذلك) أو (تلك) أو (هذه) هي أسماء إشارة للشيئ الذي يلي الجّسم و العالم المادي, و إن إسم (الإشارة) أتت من حيث أننا نعلم حدّ اليقين بقلوبنا من أن الإنسان هو شيئ أبعد من هذا الوجود الماديّ العرضيّ, إنّه (الجوهر) الأنسانيّ المتمثل بآلفكر و الأحساس و الوجدان و المتصل بمنبع الفيض الإلهيّ عن طريق (الروح) التي هي سرّ آخر من أسرار هذا الوجود الوسيع الغامض .. أنها حالة اليقظة العالية و الضمير الباطن (البصيرة) التي وحدها تستطيع الأحاطة المعرفية بكل الوجود, و هذا هو الوجود الأنسانيّ الحقيقيّ الذي يجب توظيفه لأداء مهمته الكونيّة على أفضل وجه, و من

الخسارة العظمى أن نسخره و طاقاته لنيل هدف محدود أو عشق مجازي يتمثل بمقدار من المال أو بإمرأة أو بمنصب!؟

و الأنسان الذي يمتلك (ألبصيرة) يستطيع أن يتحسس العالم الغير المرئيّ ليستمد منه العطاء و القوة و العون ليحدّد مساره الفكري و العقلي بنفسه و بإقتدار, و عندها يستكشف حقيقة هامّة مفادها أن القسم الأعظم و أأساس من الموجود المسمى بآلأنسان هي آلجانب الفكريّ – الرّوحي الذي أشرنا لها لا غير و حتى أساس الوجود المادي – الجسمي قد تشكل من اللّامادة, هذا بحسب البحوث العلميّة التي ترجع إلى قضية الذّرة التي لو تعمّقنا في مكوناتها فأننا نرى بأن المادة تنتهي شيئا فشيئاً بعد ما تتحول إلى موجودات غير ماديّة أو مرئية كآلنيوترونات و الأليكترونات و غيرها!

كما إنّ الأنسانيّة التي هي أهم محور لتشخيص الأنسان عن باقي المخلوقات؛ لا يمثله الجانب الماديّ الطيني (الترابي) من وجوده, بل يمثله القسم الذي يتجلّى فيه الإله و الروح و المعنى و الذي يُعبّر عنه بـ (الوجدان) الذي يتحرّك و يظهر بفعل القوى التي تُحرّك الأنسان و تقوده في الحياة, لهذا فإن صوت الله يتجلّى في الوجدان بحسب تقريرات الفلسفة الكونيّة.

إن محور بحثنا هذا يتشكل من حيث أنّك (نفسٌ) مُكوّن من إندماج ألرّوحٌ مع آلجسم .. لا إندماج آلجسد مع آلرّوح, فالأصل يرجع للرّوح التي تحرّك الجسم و تجعله حيّاً.

أو بتعبير آخر:
أنّك موجودٌ روحانيّ ذو تجربةٍ إنسانيّة.
و لستَ إنساناً ذو تجربة روحانيّة.

لقد بيّنت حقيقة الرّوح من خلال عدّة أمثلة حقيقية كجانب من سيرتي الرّوحية الشخصيّة في هذا الوجود و الذي يأتي بعد هذا العالم الماديّ – ألجسميّ, و إنها كانت بمثابة سياحة روحية في العالم ما فوق المادة, حيث إن طرقها هي بمثابة الأصول التي تحيط بذهنك و مشاعرك, و هي أصول عامّة فاعلة حتى هذه اللحظة في هذا العالم المتحرك .. الفعال .. الرّحب .. اللّامحدود الذي يعمل بنسق واحد و منها قرائتك لهذه السطور في هذه اللحظة, و هي أصول مستقلة عن أعتقاداتكم و إنها تعمل بكل دقة و عمق و إتقان , بآلضبط مثل الجهاز الهضمي و الدورة الدموية و غيرها من الأجهزة المادية الفاعلة بحسب قوانين دقيقة للغاية, و بدون تدخلكم فيها و بإستمرار لا إنقطاع له إلا بإنقطاع الروح عنها سواءاً إعتقدتم بعملها أو لم تعتقدوا فأن تلك الأنظمة مستمرة بعملها و لو صممت تحقيق إتصال معها لتُسايرها – أي الأجهزة - في العمل فإنك ستحصل على معارف عالية في ذلك, و لو صممت بإرادتك الحصول على مرتبة أعلى فأنك ستنالها, و سترى آفاقاً واسعة و رحبة أمامك لم تشهدها من قبل و ستعيش في النور و اليقظة و تنال السعادة و اللذة للأبد!

أمّا لو قاومت هذا المنحى الفكري و وقفت بوجهه و عملت طبق الشعار القديم؛ (لو رأيت ذلك لصدّقت) فأنك ستحكم على نفسك بآلتقوقع في مجال ضيق و حصر وجودك ضمن أبعاد المادة المحدودة, و بآلتالي لن تحصل على الخير إلا قليلاً جداً.

و لو تمكّنت على جمع كل أموال الدّنيا و ألحانها و أدوات اللهو و ألألعاب المختلفة في العالم و حرصت أكثر على التحكم في الناس عن طريق السلطة؛ ليحلّ محلّ العيش تحت ظل المثل و الأخلاق و القيم و حققت عيشةً راضيّة بظل تلك النعم الدّنيوية طبقا للقواعد و القوانين الحياتية لحفظ الظاهر و تحقيق الشكل الكامل كبديل عن المحتوى الداخلي و القيم الرّوحيّة؛ فأن كل ذلك لا يمكن أن تحقق الحياة الهانئة و السعيدة المستقرة .. لأنك مع كل تلك المظاهر و المادّيات شتبقى تعرج و تعرج و تتلوّى و تتردّد و تتزلزل و تعثر بطريقك لأنك تتحرّك بإتجاه شيئ بعيد عن الحقيقة, و حينها ستبقى تتراوح في مكانك إلى أن تنكسر مقاومتك و يضعف قواك أمام الحقائق الكونيّة الكبرى.

و هكذا نبدأ و نستمر بحركتنا و إن كانت مبدئياً تتعثّر و تتباطئ في المسير, بسبب عدم وضوح الرؤية – و هذا حال أكثر الناس للأسف – لكن مع إنّ وجهة السّير و التحرك ما دام بآلأتجاه الذي يحاول معه الناس عبور المادة و السير في طريق اليقظة و ا لوضوح ؛ فهنا لا يوجد طريقاً إلى العودة و ستحصل في النهاية على معرفةٍ تتعجّب منها و معها؛ و تتأسف كثيراً على الأيام و السنين الخوالي التي قضيتها و أنت تعيش بدونها.

ألحياة في الضوء و اليقظة و الوضوح تكون مثل خيمة السّعادة فوق رؤوسكم, و سوف تتيقن قلبيّاً؛ بأنك على الطريق ا لصحيح إلى الحدذ الذي تكون معه غير سامعاً لأصوات الذين إتخذوا غير هذا الطريق سبيلاً لهم.

لم أكن أتصوّر خلال عقود إنصرمت ؛ أنيّ كنت بحاجة إلى التحول , و لم أكن أملك برنامجاً للتغيير من الأوضاع القديمة السائدة بآلتخلص من المبادئ الفاسدة إلى وضع أفصل .. كانت حياتي مستمرة كما أردتها و تطبعت عليها, و كنت معتمداً فيها على ثقتي بنفسي حيث كنت أسعى لتطهير النفس بآلعبادات و الرياضات المختلفة حتى تنفيذ الوصايا الكونية البوذية أو الزردشتية أو الكنفوشوسية أو الهنديّة .. فآلتخلص من أمراض النفس و تطهيرها هي المقدمة اللازمة لتحليتها بآلفضائل الكونيّة لتحقيق العرفان و الهدف المنشود, و أهم صفة يجب التخلص منها هي الحسد و الضغينة و المرارة بآلصّفح عن آلمسيئيين و المخطئين, لأنها العقبة الكأداء أمام الطبابة الكونيّة التي نحن بصدد بيانها بوضوح.

ما آلسّبب في عدم قدرتك على تجاوز ألمشاعر ألسّلبية عندما يخطئ الآخرون بحقك!؟

هل شعرت يوماً أنك تجد صعوبة في التسامح و العفو عن الآخرين عندما يخطئون خصوصا لو كانت زوجتك/زوجك؟
أو هل أساء إليك أحدهم و سبّب لكَ جرحاً لم تتمكن من تجاوزه؟
من المحتمل أنّ هناك سبباً وجيهاً وراء ذلك، وقد لا يكون هو ما تعتقده.

ما هو آلتّسامح و العفو؟

بادئ ذي بدء، من المهمّ أن تفهم أن قدرتك على الصفح عن أحدهم لا تتعلق في أغلب الأحيان بهذا الشخص أو ما فعله.
و يُعرّف قاموس ميريام ويبستر الأمريكي كلمة الصفح؛
بأنها "التوقف عن الشعور بالاستياء ممن سبب الأذى" أو "التوقف عن الشعور بالاستياء إزاء الإساءة "Forgiveness" أو المطالبة بتعويض".
و إذا أردت أن تفهم السبب وراء صعوبة صفحك عن الناس، فعليك أن تنظر داخلك أولاً, إنها حالة داخلية و لا تتعلق بأيّ شخص غيرك.

هل تجد صعوبة في آلصّفح عن أحدهم؟
ربّما تكون أنتَ آلسّبب:

عندما يتعلق الأمر بالتسامح بين الناس وغفران الأخطاء، غالباً ما نجد نوعين لا ثالث لهما:
فهناك أناس من أنصار "عدم الصفح عن أي شخص وإضمار الضغينة إلى الأبد"، بينما نجد أناساً يتبنون عبارة: "التسامح ليس ضعفاً، سامح الجميع".
وفي أغلب الأحيان، هناك مواقف نعتقد فيها أننا سامحنا أحدهم ولكننا لم نفعل حقاً، ويعاودنا الشعور بالضيق والاستياء في كثير من الأحيان.
لكن، قلما نجد مَن يدرك أهمية مسامحة نفسه في المقام الأول قبل اتخاذ مواقف من الآخرين.
أغلبنا اعتاد على أن يطلق على نفسه الأحكام القاسية.
فحتى لو لم نكن من أولئك الذين ينشدون الكمال، لكن قد يستقر داخلنا صوت ناقد حاد وقاسٍ.
ويحدث كثيراً أن نسترجع مراراً اللحظات المحرجة التي مررنا بها وجعلتنا نتمنى أن تبتلعنا الأرض ابتلاعاً.
يحدث أيضاً أننا نشعر في بعض الأحيان بأننا لسنا جيدين بما يكفي، بغض النظر عن إنجازاتنا الخارجية.
هذا يجعلنا نطلق الأحكام على أنفسنا، ونصبح باللاشعور غير قادرين على التصالح مع ذواتنا، وغير قادرين على مسامحة أنفسنا عندما نرتكب الأخطاء.
فإذا كنا ننظر هذه النظرة القاسية لأنفسنا، كيف سنتمكن من تفهم مواقف الآخرين وتقبلهم ومسامحتهم عندما يخطئون؟

سامح نفسك أولاً

يظهر البحث الذي أجرته برين براون، الباحثة في مجال الشعور بالخجل والضعف، أن هناك علاقة بين القدرة على قبول المساعدة والقدرة على إظهار التعاطف مع الآخرين ومسامحتهم.
عندما لا يمكننا قبول المساعدة أو الدعم من الآخرين بسبب الأحكام التي نطلقها على أنفسنا (أي أننا لا نستحق المساعدة أو

أن قبول المساعدة يعبر عن "ضعفنا" بصورة أو بأخرى)، فإننا بذلك ننشئ رابطاً إدراكياً بين القدرة على العفو وحكمنا على ذواتنا.
لذا، عندما نكون في موقف نُظهر فيه تعاطفنا مع شخص آخر ونستطيع الصفح عنه، فهناك رابط خفي بين هذا الشعور وحكمنا على أنفسنا، رابط لا يمكننا حتى إدراكه.
وإذا لم نتمكّن من الفصل بين قبول المساعدة والحكم على أنفسنا ولم ننجح في محاولتنا للشعور بالتعاطف مع أنفسنا، فعندئذ يصعب علينا أن نعفو ونسامح.
بمعنى آخر، ينبع عجزك عن تقبل أخطاء الآخرين ومنحهم فرصاً ثانية من أحكامك القاسية على ذاتك.
عندما لا يكون بإمكانك أن تسامح نفسك وتتعاطف معها، فإنك تعامل الأشخاص الآخرين استناداً إلى المعايير نفسها، وتظل عالقاً.
إننا بحاجة إلى الشعور بالتعاطف مع أنفسنا قبل أن يصبح بإمكاننا التعاطف مع الآخرين، والعفو عنهم.

عدم مسامحة ألآخرين .. بمثابة قتل بطيء للنفس!

الصفح هبة وفن في الوقت نفسه؛ إذ إنه التوازن بين الحركة الدقيقة التي تشملك أنت وأناساً آخرين وتصورك عن نفسك وتصورك عن الآخرين.
عندما يتعلق الأمر بمسامحة النفس، فأنت ترى نفسك من خلال عدستين؛ عدسة شخص ارتكب "خطأً"، وعدسة شخص تسبب تصرف ما في إيذائه.
ونقيض الصفح معقد أيضاً؛ إذ إنه مزيج من الغضب والاكتئاب واللوم.
لكن الأهم من ذلك كله أن نقيض الصفح هو الجمود.
أن تصبح أسيراً لمشاعر مرتبطة بحادث معين، فهذا يعني أنك لن تستطيع الاستمتاع باللحظات الراهنة من حياتك ولن تستطيع المضي قدماً، ستأسر نفسك في سجن مظلم اسمه الماضي.

فالتأثير الأكبر للصفح (أو غيابه) يقع على شخص واحد فقط، هو أنت، عدم صفحك عن شخص معين قد لا يؤثر عليه أبداً، لكنه سيعكر صفو حياتك أنت؛ إذ سيبقى صدرك ضيقاً بمشاعر الضغينة السلبية.
هناك عبارة شائعة تقول كما بيّنا آنفاً: بأنّ (عدم مسامحة الآخرين بمثابة قتل بطيء للنفس).
وعندما نأخذ ذلك في الاعتبار عند الحديث عن مسامحة النفس، فنحن الجاني و الضحية في الوقت نفسه.
من كلا المنظورين، فإننا نصنع حالة نلحق فيها الضرر بأنفسنا.

كيف نتقبل الآخرين و نعفوا عنهم؟

هل تريد ألا تتسـرع في الحكم على الآخرين؟
عليك أولاً أن تقضي بعض الوقت في التعرف على الطرق التي تحكم بها على نفسك.
على سبيل المثال، عندما نركز على "أخطائنا"، فإننا نواجه الماضي (الذي انتهى ولم يعد بإمكاننا تغييره).
وعندما نركز على ما "قد" يحدث، فإننا نواجه المستقبل (الذي لم يحدث بعد ولا يمكننا التدخل فيه).
لذا لابد لك بدلاً من ذلك، من التركيز على الحاضر.
اضبط نفسك عندما تجدها غارقة في دوامة من انتقاد النفس والشعور بالقلق.
وفيما نشغل أنفسنا بالوقت الحاضر، يمكننا أن نتعلم من هذا الموقف.

وإليك الخطوات العملية التي يمكنك اتباعها لتصبح قادراً على الصفح في الوقت الحالي:

تحدث عن ألمك بوضوح.
اتخذ قراراً بتجاوزه.
تقبل الموقف.
ونفسك وتعاطف معهما.
لا تطلق أحكاماً.

تنفس بعمق بضع مرات، ويُمكننا أيضاً التدرب على التعاطف مع أنفسنا من خلال التواصل مع الآخرين وتحرير أفكارنا وعواطفنا.

ويمكننا دمج ما نتعلمه أثناء تدربنا على التعاطف مع ذواتنا في تعاملاتنا مع الآخرين لنتمكن من الصفح عنهم.وعلينا أن نلجأ إلى أفضل الطرق لنصل إلى قرار يجنبنا تراكم الأحزان والضغائن والأحكام تجاه الآخرين ففي النهاية هذا لن يفيد أحداً.
وتذكر أننا نستحق الحب والرعاية والتعاطف، من أنفسنا ومن الآخرين، وتجاه أنفسنا وتجاه الآخرين فقط لأننا بشر.
فكلنا بشر، وكلنا لسنا بكاملين، وكلنا نستحق الحب والاهتمام, وحتى لو جرحك أحدهم لدرجة يصعب عليك نسيانها، فاتخذ من هذا الجرح درساً يعلمك كيفية التعامل مع هذه المواقف في المستقبل ..
لكن لا تحمل الضغينة في قلبك؛ لأنك وحدك من سيتأذى.

ألصّفح : ألتخلي عن الشعور بالضغينة و المرارة:

عندما يؤذيك شخص ما تهتم لأمره، يمكنك أن تغضب وتستاء وتفكر في الانتقام, أو تصفح و تمضي قدمًا.

من منا لم يتأثر بتصرفات أو كلمات الآخرين؟ ربما ينتقد أحد الوالدين باستمرار زيادة وزنك، أو يخرب لك أحد الزملاء مشروعًا أو يكون لشريكك علاقة غرامية, أو ربما تكون لديك تجربة صادمة، مثل التعرض للإيذاء الجسدي أو العاطفي من قبل شخص قريب منك.

قد تخلِّف تلك الجروح في داخلك مشاعر دائمة بالغضب أو المرارة — أو حتى الانتقام.

و إن لم تُسامح الآخرين، فقد تدفع ثمنًا غاليًا, و يمكنك بانتهاج مبدأ المسامحة أن تحظى بالسّلام و الأمل و الامتنان و البهجة.

فكر في .. كيف يمكن للمسامحة أن تقودك إلى الراحة البدنية و العاطفيّة والرّوحيّة و النفسيّة.

ماذا يعني ألتّسامح؟

يختلف معني التسامح عند مختلف الأشخاص. وبرغم ذلك، عادةً ما يشمل معنى التسامح اتخاذ قرار بالتغاضي عن الشعور بالاستياء والتخلي عن الأفكار الانتقامية.

إن الفعل الذي سبب لك الشعور بالجرح أو الإهانة ربما يرافقك طوال الوقت، ولكن التسامح من الممكن أن يقلل من سيطرة ذلك الشعور على نفسك ويساعدك على التحرر من القيود النفسية التي يفرضها الشخص الذي أساء إليك. إن التسامح من الممكن أن يؤدي حقًا للشعور بتفهم موقف من تسبب في جرح مشاعرك، واستيعاب مشاعره والتعاطف معه.

وليس من التسامح أن تنسى الضرر الذي تعرضت له أو تتجاوز عنه أو أن تسعى لإصلاح ما فسد في علاقتك مع من تسبب في جرح مشاعرك، بل إن التسامح يجلب لك الشعور بالراحة التي تساعدك على الاستمرار في الحياة.

ما فوائد مسامحة شخص ما؟

يمكن للتخلي عن الأحقاد والقسوة أن يفسح الطريق لتحسين الصحة وتحقيق راحة البال. قد تؤدّي المسامحة إلى ما يلي:

علاقات صحية
تحسين الصحة العقلية
تحسين الصحة الجسدية, لأن العقل السليم في الجسم السليم و الجسم السليم في العقل السليم
تقليل القلق والتوتر والعدائية
خفض ضغط الدم
خفض أعراض الاكتئاب

تقوية جهاز المناعة
تحسين صحة القلب
تحسين تقدير الذات.

لماذا من السهل جدًا حمل الضغينة؟

يمكن أن يتسبب إيذاؤك من شخص ما، لا سيما شخص تحبه وتثق به، في الشعور بالغضب والحزن والارتباك. إذا كنت تسهب في الحديث عن الأحداث أو المواقف المؤذية، فإن الضغائن المليئة بالاستياء والانتقام والعداء يمكن أن تتجذر. وإذا سمحت للمشاعر السلبية بالسيطرة على المشاعر الإيجابية، فقد تجد نفسك تشعر بالاستياء أو الظلم من أم رأسك حتى أخمص قدميك.

بعض الأشخاص يكونون أكثر تسامحًا بطبيعة الحال من غيرهم. لكن حتى لو كنت حامل ضغينة، يمكن لأي شخص تقريبًا أن يتعلم كيف يكون أكثر تسامحًا.

ما هي آثار الشعور بالضغينة؟

إذا كنت لا تغفر، فقد تسبب:
جلب الغضب والمرارة في كلّ علاقة و تجربة جديدة.
تصبح مقتنعاً عن طريق الخطأ بأنه لا يمكنك التمتع بالحاضر.
تصبح مكتئباً أو قلقاً
تشعر بأن حياتك تفتقر إلى المعنى أو الغرض، أو أنك على خلاف مع معتقداتك الروحية
تخسر علاقات ترابط قيمة وثرية مع الآخرين

كيف يمكنني تحقيق حالة المسامحة؟

المسامحة هي التزام بإجراء تغيير شخصي. للانتقال من المعاناة إلى المسامحة، يمكنك:
التعرف على قيمة المسامحة وكيف يمكنها تحسين حياتك
تحديد ما يحتاج إلى المعالجة ومن يحتاج إلى مسامحته ولماذا
فكر في الانضمام إلى إحدى مجموعات الدعم أو رؤية أحد الاستشاريين
الاعتراف بمشاعرك حول الضرر اللاحق بك وكيف تؤثر على سلوكك، والعمل على تحريرها

إختيار مسامحة ألشّخص ألّذي أساءَ إليك:

ابتعد عن العيش في دور الضحية وتخلص من سيطرة وسلطة هذا الشخص المسيء و الموقف على حياتك.

فإذا تخلصت من الضغائن، فلن تعد ترى حياتك بمنظور مقدار الأذى الذي تعرضت له, حتى إنه قد تشعر بحالة من التعاطف والتفاهم.
ماذا يحدث إن لم أسامح شخص ما؟

يمكن أن تكون المسامحة صعبة، خاصةً إذا كان الشخص الذي يؤذيك لا يعترف بالخطأ. إذا وجدت نفسك متعصبًا:

مارس التعاطف, جرب أن تنظر للموقف من وجهة نظر الشخص الآخر.
اسأل نفسك لماذا يتصرف بمثل هذه الطريقة. فلربما تصرفت بنفس الطريقة إذا تعرضت لنفس الموقف.
فكر في المرات التي أسأت فيها للآخرين وفي أولئك الذين قد سامحوك.

دوّن ما حدث في دفتر يوميات أو اتجه في صلاتك إلى الدعاء أو استعن بالتأمل الموجه, أو تحدث مع شخص تعرف عنه الحكمة والطيبة، مثل رجل دين أو مقدم خدمات الصحة العقلية أو شخص مقرب لديك محايد أو صديق.

إعلم أنّ المسامحة هي إجراء وأنه حتى المساوئ الصغيرة قد تحتاج إلى إعادة نظر ومسامحه مرارًا وتكرارًا.

هل يضمن ألغفران ألتّسامح؟

إذا كان الحدث المؤلم يتضمن شخصًا تقدر العلاقة التي تجمعكما معًا، فحينها يمكن أن يؤدي الغفران إلى التسامح. إلا أن هذا ليس هو الحال دائمًا.

فقد يكون التسامح مستحيلاً إذا كان الشخص المؤذي ميتًا أو غير راغب في التواصل معك. وفي حالات أخرى، قد لا يكون التسامح مناسبًا. ولكن يظل الغفران ممكنًاً و إن تعذر آلتّسامح.

ماذا لو لم يتغير الشخص الذي أسامحه؟

ليس الغرض من الصفح جعل شخص آخر يغير من تصرفاته أو سلوكه أو كلماته.
عليك أن تعلم أن الصفح قد يكون سببًا لتغيير حياتك فهو يجلب السلام النفسي والسعادة الروحية والعاطفية.
قد ينهي الصفح قدرة الطرف الآخر للسيطرة علي حياتك.

ماذا لو كنت أنا آلشّخص الذي يحتاج للصّفح؟

تتمثَّل الخطوة الأولى في تقييم الأخطاء التي ارتكبتها والاعتراف بها بصراحة وكيف كان تأثيرها على الأشخاص الآخرين.

تجنَّب الحكم على نفسك بقسوة:

إذا كنت تشعر بالفعل بالأسف بسبب تصرف أو قول بدر منك، ففكِّر في الاعتراف به لمن ألحقت بهم الضرر. عبِّر عن شعورك بخالص الأسى أو الندم، واطلب الصفح, دون إختلاق الأعذار.

و لكن تذكَّر، لا يمكنك إجبار أحد على مسامحتك, يحتاج الأشخاص الآخرون إلى اتخاذ قرار الصفح في وقتهم المناسب. مهما حدث، التزم بمعاملة الآخرين برحمة وتعاطف واحترام.

و الآن يجب القول و آلأعتراف .. بأنّ تحقيق ألصّفح و التسامح خصوصاً في بعض الحالات التي تتعلق بآلكرامة ليس سهلاً, لذا علينا معرفة ما هو الأهمّ ممّا عرضنا آنفاً كأساس لتحقيق الصّفح و التسامح و بآلتالي الهدف الذي بيّناه في المقدمة أعلاه!

و آلأهم الذي يجب معرفته هو قيمة و كرامة الأنسان في الوجود و إقترانه مع عزّة النفس التي يجب وعيها للتسامح!؟

قيمة ألأنسان في آلوجود؛
بآلقياس مع ألمادة التي تلعب دوراَ رئيسيّاً في تحديد ألأمور و آلتّسامح:

قيمة ألأنسان في آلوجود؛
بآلقياس مع ألمادة التي تلعب دوراَ رئيسيّاً في تحديد ألأمور و آلتّسامح:

للأسف الشديد .. لم يعد في عصرنا هذا مع بدء الألفية الثالثة مَنْ يعبد الله حقّ عبادته, بل يعبده الناس شكلياً و في الظاهر, بينما يعبدون الدّولار عمليّاً و بدقة متناهية .. لهذا لم يعد للإنسان قيمة, بعد أن تمّ تقطيع تلك الكرامة بتقسيم الناس لطبقات!

ألعديد من أمراء الخليج و العرب و حُكّام الدول على الأرض و آلأثرياء المعروفين في العالم بمن فيهم أعضاء المنظمة الأقتصادية ألعالميّة التي مركزها (دافوس), يعتبرون الأنسان مُجرّد وسيلة(ماكنة) لتحقيق مآربهم و خدمة مشاريعهم و حماية أنظمتهم يعملون كآلعبيد و كما أشرنا في الهمسة آلكونيّة رقم (160)(2)؛ مُعتقدين أنّ لكلّ إنسانٍ أو حزبٍ و حكومةٍ قيمةٌ مُعيّنة يُمكن تحديدها و شرائها بآلمال, و لذلك عرضوا عليَّ الملايين – و كم حاولوا شراء قلميّ ألمقاتل, بل في الحقيقة شراء فكري الكونيّ الذي يُمثّلني - و رفضتُ و لم أساوم رغم إن عروضهم وصلت لاكثر من 12 مليون دولار و كان يمكن أن تصل لعشرات الملايين لو كنت أبدي لهم بصيص من الضوء الأخضر حول ذلك ..

و رغم إحتياجي ألشّديد لجزء قليل جدّاً من تلك الأموال الكثيرة لمشاريعي الخاصّة – العامة – المُعطلة مذ شرعت الجهاد ضد الظالمين و منها؛ طبع مؤلفاتي و مقالاتي الكونيّة التي وصلت آلآلاف على الأقل و لبعض الحاجات الضروريّة و الملحة؛ لكنّي و الله رفضتُها و صبرت, حتى أحسستُ أنّ كرامتي تحقّقت بل و عظمت لإعتزاري بآلحقّ الذي حملته بكلّ أمانة و ثقة و عبرت الجبال و الصحاري و البلاد و القارات, معلناً لهم بثقةٍ كونيّة عالية؛

[أيها الظالمون؛ ليست فقط ملايينكم .. و لا كلّ أموال البنك العالميّ و معها بنوك الدُّنيا ألعملاقة .. بل كلّ ما موجود في خزائن الدنيا و الكون لا يُعادل ثمن أفكاريّ و محبّتي النابعة من القلب و التي تمثل وجودي الذي تُريدون شرائهُ .. و لا أتّقيكم و كما فعل و يفعل غيري من الجبناء لأجل راتب و مال و منصب .. إبحثو عن غيري فأنا لا أملك سوى هذا الجسد النحيل العليل و قد نذرته للمعشوق منذ القرن الماضي و لا زلت أجوب البلاد حتى يحين شهادتي], لأن آلناس كلّهم و بسبب فقدان الفكر و الكرامة في وجودهم بما فيهم حكومات الأرض والأحزابو العشائر و الإئتلافات و الأحلاف؛ كلها جاهزة لقبول عروضكم بإشارة صغيرة, لأنها باتت لا تعرف للكرامة قيمة؛ و للفكر الأنساني معنىً, لذلك عرضوا كل شيئ للبيع فيسهل شرائهم و بيعهم بثمن بخس و كما فعلتم مع الكثيرين منهم عرباً و هنوداً و أفغان و باكستانيين و صوماليين و عراقيين ووغيرهم.

بآلمناسبة سبق أمراء آلخليج؛ تاجرٌ و ربما كان مسؤولاً أردنيّاً أيضاً أرادَ مساومتي أثناء مروري بمركز عَمّان عاصمة الاردن, و أنا بطريقي للعراق بعد سقوط الصّنم عام 2003م بعد غربة إمتدّتْ لثلاثين عاماً, حيث قال لي بآلحرف الواحد:
[إمّا أن تشترينا أو نشتريك]
فأجبتهُ على الفور و أنا مُتَعَجّبٌ و مستغرب من عرضه الجَّسور الذي لم أعلم أهدافه و لا مقدماته و لا غايته, و هل إنه كان يعرفني .. أجبته بآلقول:
[أمّا أنا يا أخي ألعربيّ "الأنسان"؛ فلا أشتري .. و كيف يُمكنني شراء آلأنسان الذي أكرمه الله بروح منه .. و هو مثلي بآلضبط, لذا أعتقدُ بعدم وجود حدٍّ لقيمتة التي لا يمكن أنْ تُقدّر بثمن, لأنها تعادل قيمة هذا الوجود بأكمله, لذا لا يمكن حتى لكلّ رؤوساء و ملوك و أباطرة و أغنياء العَالم من شرائه و بآلتالي شراء هذا الكون الذي ملكوته و أسراره بيد خالق قدير عليم وحده, وهكذا أنت لا يمكنك أن تشتريني إطلاقاً!؟
فتعجّب لمنطقي و ذهل, و ما كان منه إلّا أن دعاني لوليمة ملكية على الفور .. فتأملت الموقف و هاجس الخوف تملكني قليلاً فربما كان يخطط لإغتيالي و الله الأعلم .. خصوصا وإني قد نوّرت قلوب أهل الفندق الذي كنت أقيم فيه و كذلك السائق الذي رافقني طوال إقامتي في عمان .. و حتى صاحب المطعم الذي كنت أتناول وجبات طعامي عنده!؟

من هنا لا يمكن أن يُقدر هذا الأنسان بثمن .. لعدم محدوديّة قيمتة الحقيقية - الكونية .. رغم كونِه – أيّ الأنسان - (ظلوماً جهولاً)؛ لأنه يحمل الرّوح الألهيّة المقدسة – و التي لا تُقَدّر بثمنٍ!

فالله تعالى كرّمهُ بتسخير كلّ هذا الوجود .. بأفلاكه و مجرّاته و أقماره و شموسه و نجومه و ما فيها من الهواء و الماء و التراب و النار لأجله لأداء رسالته, و هذا يعني بأنهُ (تاج هذا الوجود و سيّده) و العلّة الغائية فيه لأنّهُ يحمل سرّ الخلق و الأمانة الألهية لتحقيق الغاية من خلقه و خلق هذا الوجود!

لذلك فإنّ ثمنه و إعتباره عندي عظيم و كبير جداً لهذا السبب .. و ليس لطول قامته أو لا لجماله الظاهري أو لمنصبه و لا لنسبه و لا حتى لعلمه و ماله؛ بل لمكانة و قيمة تلك آلرّوح ألألهية – التي تعادل قيمة هذا الوجود كله بآلنسبة لي.

و ختمت الحديث مع ذلك الأردنيّ بآلقول: [أمّا أنتَ يا أخي التاجر .. فمن الطبيعي أنّك لن تقدر على شرائي أو شراء أيّ إنسان مثلي يحترم كرامته و روحه, إن كنتَ تدرك و لو قليلاً أبعاد ما بيّنت في القياسات الكونيّة؟

فكيف الحال مع مَنْ هو مثلي و يعرف تماماً قيمة الكرامة و أسرار الروح و هذا الوجود و يحمل ثقل السّموات و الأرض, بحمله للأمانة الألهية الكونيّة بعد ما أودعها الله في وجودنا و وجود كل من هو مثلي .. إن وجد على هذه الأرض المملوءة بأنواع الكائنات البشرية و الخَلقية .. إلّا الحاملين لتلك آلأمانة التي كلّفنا الله بحملها نيابة عنه في هذه الأرض!

عندها حَنَى ذلك الرَّجل(ألأنسان) رأسهُ لي بإحترامٍ لم أكن أتوقعهُ من أردنيّ محكوم بملك عاهر ككل رؤوساء وحكومات العالم, قائلاً لي: [كلامك كلام ثقيل و عظيم لم أسمعه من قبل .. بآلله عليك؛ قل لي؛ من أنت أيها آلمسافر (العزيز)]؟

قلت لهُ؛ أنا (آلعزيز) الغريب بآلفعل , تحمّلت الكثير .. و ما زلت أحمل الكثير خصوصا من الذين أرادوا شراء فكري, و لا زلت متغرباً و متشرقاً بسبب ذلك, يُعَرّفَني فكري الكونيّ الذي يضمُّ كل هذا الوجود, الذي صيّرنيّ إنساناً كونيّاً .. و ليس من السّهل عليكَ و على مفكريّ الأردن و العالم معرفتي بسهولة, لأنها تحتاج إلى مسيرة عمر كامل؛ مسيرة مضمخة بكل الأخطار و الأفكار و الرسالات التي نزلت بجانب مصاحبتي إن قبلت .. كي تعرفني!؟

و ستعلم بعدها .. بأنّك مع تلك المعرفة الكونيّة للأنسان و الوجود ستختلف عمّا أنت عليه الآن و ما تحمل من أفكار تدور حول الدّولار, بل و ستعيش كبيراً, لأنك (لو عرفت إنساناً واحداً .. عرفت الناس جميعاً) بل و لعرفت الله حقاً.

قال لي: [أنا لا أفهم هذه اللغة الكونيّة الفلسفيّة العميقة و المعقدة رغم إن القلب و الرّوح قد إستأنس بحديثك و تعلّق بكَ أيضاً من دون إرادة و إختيار, فإعذرني أيها العزيز على عدم إستيعابي لها بشكلٍ كامل, فشكرتهُ على صدقه و إعترافه و نزاهته في الكلام وسعيه لمعرفة الحقيقة كاملةً, ثمّ ودعته في الختام رافضاً دعوته لتناول الغذاء معه لأسباب نفسية ولكوني كنت على موعد آخر حدّدته مع صديق فارقته من سنوات كان قد وصل حديثاً لعمان ممثلاً عن الوكالة الخبرية للجمهورية ...., و آخر كلمة قلتها لمحدثيّ و أنا أودعه؛ (لا تنس أيها الأنسان: بأنك قادرٌ إن أردتَ معرفة سرّ هذا الوجود من خلال النوافذ التي فتحتها لك)].

و من المحزن .. و المأساة أنّ هذا الأنسان الذي سخّر الله تعالى لهُ السموات والأرض؛ يُباع اليوم و يُشترى بكل سهولة و بثمن بخس من قبل الحاكمين كآلعبيد أو حتى من قِبل بعضهم لبعض, و كما فعل صدام الجاهل حين إشترى العراقيّ و الكثير من العرب لإستعباده نصف قرن, ثم خلّفه المتحاصصون على النهج, و السبب الرئيس في هذا الحيف الذي لحق و يلحق بآلأنسان هو عدم وجود الأوليات و البرامج الكونيّة و ترتيب الأولويات في حياته و التي وحدها تحصّن الأنسان و تُقوّيه أمام العواصف و المظالم و بآلتالي تُحقق أهدافه الستراتيجية, فما هي تلك الأولويات و كيف يتم ترتيبها في الحياة؟

Oliver Wendel Holmes. (1)
(2) راجع الجزء الثاني, من (همساتٌ فكريّة كونيّة), همسة رقم 161.

كيفيّة ترتيب ألأولويات لإدامة ألسّتراتيجيّات ؟

كيفيّة ترتيب ألأولويّات لإدامَة ألستّراتيجيّات ؟

إن تقوى الله تعالى و تنظيم أمرنا كما يقول المولى الأعلى من شأنه توفير الوقت و المال و الجّهد و ترتيب أوضاعنا و إستقرارنا, و الأهم من ذلك؛ هو الحفاظ على توازن و نظم الحياة و بآلتالي تحقّق راحة و سلامة الروح و الجسد و الضمير, إلى جانب التسامح و العفو لأدامة الحياة و العلاقات خصوصا العائلية!

و لتحقيق الحياة الهادئة ؛ لا بُدّ من وجود برنامج منظم و مدروس لشؤوننا, و يتطلب عليك القيام بتنظيمها و تحديد الأهداف و المراحل المطلوبة لتحقيقها ثم السعي و الجهاد لتنفيذها على الوجة الأكمل, كي يتحقّق مرادك و سعيك في الحياة بسلام و أمان.

و يتطلب قبل كلّ شيئ أن تعلم أيّها الأنسان الكادح سبب وجودك على قيد الحياة, و آلبحث للحصول على جواب السؤآل ألمحوري ألأول الذي طرحتها (الفلسفة الكونيّة ألعزيزيّة) كبداية لتحقيق رسالة الوجود .. إن كانت هناك رسالة و هي: [لماذا خلقك الله و لِمَ أنت على قيد ألحياة] ثمّ تتبعها مجموعة تساؤولات أخرى؟

لأنّ الله في علمه الأزليّ أرادَ أنْ يستخلفك لتكون من عالم الإنس – من آلموٴآنسة - لتقوم بالمهمة التي وكلها لك خالقك بعد (المحنة الشيطانيّة) التي ألمّت و أحاطت بأبينا آدم(ع) المسكين, ثمّ قضيّة الأستخلاف الألهي الذي يتحقق بالعبادة وعمّارة الأرض و المحبة لقوله تعالى: [و ما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون .. أيّ ليعرفون و بآلتالي ليعملون بعد علمهم و معرفتهم لقوانين الوجود و الجّمال و عمل الخي], فالحياة نعمة من نعم الله تعالى علينا و الهدف الاسمى منها هو اختبارنا في الدّنيا للعودة ثانيّةً الى موطن أبينا آدم على نبيّنا وعليه السلام وهو الجنة!؟

إن أجمل ما في الحياة؛ هو عشق الله و الشوق لتحقيق رضاه و النظر الى وجهه الكريم لأنه هو الرحمن الرحيم الذي لا يخون.

والذي يحببنا في الحياة مناجاة ربنا في الليل والنهار وصحبة الخلان, وان يجون للانسان بصمة وان يعيش لغيره لا لذاته بحيث يكسب اضعاف عمره.

بداية و لأجل حياة متوازنة و مستقرّة و طيّبة؛ لا بُدّ لكلّ إنسان حتى آلبسيط ألأميّ و العامل و الفلاح و ربّة البيت أن يكون له برنامج – بل برامج في حياته بقدر ما يستطيع و ما يستوعب لتحقيق ما يبغي تحقيقه كأهداف كبيرة ممكنة عبر مراحل حياته بحسب الأولويات .. و يُفضل أن تكون على ثلاث مسـتويات :

البرامج القصيرة المدى : و هي ما بين يوم و أيام و أسابيع.
البرامج المتوسطة المدى : و هي على مدى شهر أو شهور حتى سنة,
البرامج البعيدة المدى : أو ما يسمى بـ (الستراتيجيّة) : و تحتاج لأمكانيات أكبر و تخطيط و علم أدقّ و زمن أطول و همّم أكبر.

معظم الناس عندهم مشكلة التسويف و قلة الإنتاجيّة، فلا ينجزون المهام الواجبة عليهم بحسب أولوياتهم، ممّا يسبب للإنسان ضغطا عصبيا كبيرا، هو شعوره بأنه غير قادر على الإنجاز وترتيب الأولويات، ولذلك السبب، يلزم للشخص أن يعمل على تنظيم حياته عن طريق نظام يعتمده ويرتاح له ويساعده على الإنجاز، فكل شيء نحصل عليه في حياتنا، هو نتيجة لأفعالنا ولعاداتنا حتى نحصل في النهاية على النتائج التي نرغبها في كافة مجال حياتنا.

جميعنا علينا واجبات ولدينا أولويات، إلا أنه قد يختلط علينا الأمر في بعض الأحيان، فلا نعود نركز في الأمور الأكثر أهمية

من غيرها، لذلك ومع تسارع الحياة اليومية، علينا أن نتوجه إلى فكرة إعادة ترتيب أولوياتنا في الحياة، والتي تعتمد أساسا على خمس مبادئ أو خطوات أو مراحل مهمة هي:

الحصر؛ التوضيح؛ الترتيب؛ المراجعة؛ و أخيراً ألتطبيق.

وسنُفسّر هذه المراحل و المبادئ الخمسة بشكل مبسط و مختصر، حتى تتمكن من إعادة تنظيم و ترتيب أولوياتنا كلما لزم الأمر للتوافق و الأنسجام مع تطور الحياة و تقدم الأنسان و آلعقل البشري:

أولا: الحصر

إنّ جوهر العقل الباطن في الإنسان تفوق قدرته عن العقل البشري الظاهر, حيث يمتلك قدرات كبيرة جداً، وهذه القدرات غالباً ما تكون في مجال التخطيط والتنظيم والتفكير والتحليل، إلا أنه للأسف الشديد، يفتقر القدرة على تذكر كل المعلومات بما فيها من آلتفاصيل ألكثيرة, و لعل هذا الأمر من الجانب الآخر إيجابي من حيث أن الحياة فيها القبيح و الحسن, و لو فرضنا عدم وجود حالة النسيان فأن الأنسان سيتذكر كل شيئ بآلتفصيل بما فيها المواقف و الأحداث السيئة مما يغص عليه معيشته و حياته, لذلك فأن النسيان ضروري في حياة الأنسان و سعادته.

ولذلك فإنك في المرحلة الأولى من مراحل إعادة ترتيب أولوياتك، تحاول أن تحصر جميع المعلومات التي حصلت عليها، عن طريق محاولة الاحتفاظ بها في مكان معين، وكأنك تقوم بنقلها من دماغك الذي تلقى هذه المعلومة، إلى مكان آخر، لتتمكن من استخدامها في وقت لاحق، وذلك في سبيل تنظيم حياتك وأولوياتك بشكل أفضل.

على سبيل المثال، يتعرض عقلك يوميا، لكمية كبيرة جدا من المعلومات المختلفة، منها ما هو رسائل نصية، ومكالمات هاتفية، أو مواد تقوم بدراستها أو قراءتها، أو خواطر تأتيك خلال اليوم.
كمية كبيرة جدا من المعلومات تتعرض لها كل يوم، وتحتاج لوضعها وحفظها في مكان معين، حتى لا تجهد عقلك في أن يفكر بها بشكل مستمر. ولذلك، عليك أن تستخدم إحدى الطريقتين التاليتين:
الطريقة الأولى هي أن تحاول أن تدون ورقيا جميع الأمور التي تمر بها، عن طريق كتابتها في دفتر خاص.
الطريقة الثانية هي أن تستخدم التدوين الرقمي أو الإلكتروني، أي أن تستعمل جهاز الموبايل أو الهاتف الذكي، وتقوم بتدوين ما لديك من معلومات على إحدى التطبيقات المعروفة، مثل:
Notion . أو Evernote

ثانيا: التوضيح

إن مشكلة التسويف وقلة الإنتاجية، هي في الحقيقة مشكلة عدم وضوح، فأنت تشعر كأنك لا تعرف ما عليك فعله على وجه التحديد، وليست لديك خطة واضحة للأمور التي تود الوصول إليها، ولذلك فإن خطوة التوضيح هي خطوة مهمة جدا، ويقصد بها توضح الأهداف أو الأمور التي تود الوصول إليها.
في هذه الخطوة، أريدك أن تأخذ أفكارك، وتقوم بتقسيمها إلى نوعين:

النوع الأول هو الأفكار القابلة للتنفيذ: وهي الأمور التي يمكنك القيام بها عن طريق وضع خطة لتنفيذها خلال مدة زمنية معينة، ومنها ما يمكن تنفيذه فورا ويجب إنجازه في الوقت الحالي، ومنها ما يمكن إنجازه في وقت لاحق.

النوع الثاني هو الأفكار الغير قابلة للتنفيذ: وهي التي لا تستلزم القيام بأمر جديد لتنفيذها، فيمكنك تدوين المعلومة في مكان ما لتتمكن من الرجوع إليها في وقت لاحق. فعلى سبيل المثال، يمكنك أن تسجل ملاحظة بأنك قمت بدفع فاتورتك المستحقة للكهرباء، ولا يلزمك القيام بأي شيء بعدها، وبناء على ذلك لا يلزمك التخطيط للمستقبل فيما يخص هذا الأمر.

ثالثا: الترتيب

بعد قيامك بكتابة أفكارك وأولوياتك، وبعد تقسيمها إلى أمور قابلة للتنفيذ وأمور غير قابلة للتنفيذ، قم بأخذ الأمور القابلة للتنفيذ المختلفة، وابدأ بترتيبها بحسب المشروع والوقت والسياق.

عندما تقسمها بحسب المشروع، فإنك تحدد الأمور المهمة في حياتك، فلو كنت مثلا تدرس مادة معينة، أو تحضر نفسك لاختبار ما، فإنك ترى جميع المشاريع الهامة بالنسبة لك في حياتك، وتحاول أن تقوم بتقسيمها، لترى الوقت الذي يمكنك أن تخطط فيه لتنفيذ هذه المشاريع.

عندما تقوم بالتقسيم بحسب الوقت، فهي تساعدك على تذكر التواريخ الهامة التي من الممكن أن تنساها سهوا، فبعض الأشخاص مثلا ينسون تاريخ عيد زواجهم، أو ينسون موعدهم مع الطبيب، أو موعد اجتماع عمل معين مع شخص مسؤول. لذا تقوم بترتيب التقويم الزمني بطريقة تمكنك من تذكر كل المواعيد الهامة بالنسبة لك.

أما تقسيم المهمات بحسب السياق، فمن الممكن استخدام هذه الطريقة، لتجميع الأولويات المتشابهة، وتقوم بتقسيمها وتجميعها، بحيث يصبح ترتيبها بشكل أفضل.

على سبيل المثال، يمكنك تقسيم جميع المكالمات الهاتفية التي تستوجب أو تقوم بها مسبقا، ووضع مواعيد معينة للاتصال، وتحاول أن تتبع هذا النمط أو الجدول الذي يساعدك على أن تنهي جميع المكالمات الهامة.

كل ما سبق عبارة عن طرق تساعدك على أن تعيد ترتيب أفكارك وأولوياتك والمهام التي تريد إنجازها، وهي عبارة عن مقترحات، ولكن في نهاية الأمر، أنت الشخص الوحيد الذي يعرف الطريقة الأنسب لترتيب أفكاره، فأنت تعرف نفسك أكثر من غيرك، وتعلم ما هي احتياجاتك وتعرف ما هي الأمور التي تستلزم منك جهدا ووقتا أكثر من غيرها.

رابعا: المراجعة

بعد أن تكون قد انتهيت من مرحلة الكتابة والحصر ووضحت الأفكار والمسؤوليات والأولويات التي عندك، وبعد ما أن قمت بترتيبها، تبدأ في المرحلة قبل النهائية، وهي مرحلة المراجعة.

في هذه المرحلة تقوم بمراجعة جميع الأمور والأولويات على نحو مستمر، أسبوعيا وشهريا وكل ستة ست شهور، وذلك للقيام بأي تعديلات لازمة.

كما أنك في هذه المرحلة تقوم بتدقيق الأفكار الغير قابلة للتنفيذ، لتدرس إن كنت فعلا تحتاج استخدامها أم لا. ثم تطلع على الأمور القابلة للتنفيذ، لترا إن كنت قادر على التعديل عليها.

خامسا: مرحلة التطبيق

بعد تطبيق المراحل الأربعة ألسّابقة، تكون الآن قادر على التنفيذ، فأنت تمتلك جدولاً واضحاً، وتقويم زمني محدّد يساعدك على تنفيذ كل أولوياتك، ولو استجد عليك أمرا، ولزم أن توليه أهمية، أو أن تقوم بتعديل ما، فيمكنك الرجوع إلى الخطوة الرابعة الخاصة بالمراجعة لتقوم بتعديل جميع الأمور والتواريخ التي تود تعديلها.

إن الطريقة التي ذكرناها لك، طريقة واضحة و بسيطة، إلّا أنّها في بداية الأمر تحتاج وقتاً و مجهوداً، فلو أنّك قمت باستثمار هذا الوقت و المجهود؛ فإنك ستتمكن فعلا من تحقيق هدفك و الوصول إلى مدينة العشق الأبدية التي تريدها للخلود.

تجربة أحساس لذة العفو

تجربة أحساس لذّة ألعفو:

الآن و بعد رحلة طويلة توصلت إلى نتيجة تلك التجربة إلى جانب تجارب الآخرين؛ تجربة إحساس لذّة العفو و التسامح, التي بدأت معها لحظة تفريغ كلّ العقد و الشحنات السّلبيّة من داخلي؛ أحسست أنّ آلتّجربة قد أثرت إيجابياً بمردوداتها بعد إحساسيّ بخلو الذات من كل ما هو سلبيّ و شرّ .. و عندئذٍ بدأت رحلة الإرتقاء و السّمو إلى ما هو أبعد من الوجود آلمادي – ألجسميّ, و من كل العالم المرئي أمامي.

تلك كانت المرّة الأولى التي إستطاع خلالها آلرّوح, بآلتوافق مع آلقوّة ألذّهنية(الظاهرية) للتحليق في فضاآت المعرفة اللامتناهية عبر الأسفار الكونية للوصول إلى مدينة السلام وآلأمان .. و إلى ما هو أبعد من الحدود المادية المحدودة و هذا آلجسم الترابيّ!

إنّ عليّ بن أبي طالب(ع) لم يكن ليتوصل إلى تلك الحالة التي ذكرها المؤرخون أثناء الصلاة, عندما كانوا يريدون نزع السّهام و بقايا السيوف أثناء الحرب من جسده, لولا إنفصاله عن ذلك الجسد الماديّ, لأنه كان يتألم كما الآخرون يتألمون, و حتى أصحاب الحسين(ع) المعدودين ما كانوا يتوصلون إلى تلك آلحالة النادرة من التضحية و الفداء و هم يواجهون جيشاً جراراً ؛ لولا أنهم تمكنّوا من عبور حدود هذا الجسد المعروف إلى فضاء الكون كله ليتحقق إتصالهم بمنبع الفيض الألهي و عالم الصفاء و الهناء و السعادة , و لذا عندما كانت أجسادهم تُقطع بآلسيوف إرباً إرباً كانوا يبتسمون .. بل كانوا يحرصون كلما تعمّقت جراحاهم على أن يكونوا أوفياء للحقّ الذي مثله إمامهم في تلك الواقعة التأريخية العظيمة, بل و أكثر من ذلك أنهم كانوا بذاك الحال يترحمون على جيش العدو الذي سيدخل النار بعد قتلهم للحسين و اهل بيته لأنه من بيت النبوة, حتى بكى الأمام عليهم صبيحة يوم عاشوراء .. و عندما سأله إبنه عليّ الأكبر (ع) ؛ لم تبكي يا أبتاه؟ أ لسنا على الحقّ؟

قال الأمام (ع): إيّ و الله يا بُني لكني أبكي على قوم سيدخلون النار بعد قتلي. فأجابهُ إبنه عليّ الأكبر(ع): إذن لا نُبالي أ وَقَعَ الموت علينا أم وقعنا عليه!

بيكاسو .. ذلك الفنان الكبير و رائد المدرسة التكعيبيّة , يقول:
[أنا كآلمسلمين عندما يتركون أحذيتهم خارج المسجد للدخول إلى صالته, أنا أيضاً عندما أبدأ عملي أترك جسدي خارج غرفة العمل].

و كذلك أنا نفسي عندما شرعت بكتابة هذا الكتاب بعد جمع المقدمات الضرورية و ضعت جسدي خارجاً .. و تركت كل ما يتعلق بهذا الجسد و ما إبتلي به من آلالام و أوجاع و محن و كل ما من شأنه أن يزاحمني أو يُؤثر على أفكاري و أحساسي من الخارج الماديّ, و هذا الوضع أتاح لي ذهناً حرّاً و خالصاً و خيالاً خصباً للقيام برسم الستراتيجيات و الأولويات في حياتنا, و في خدمة القلم و فن الكتابة الكونيّة التي أقسم بها الله تعالى لأهميتها القصوى و معجزتها الكبرى.. لندخل عالماً ليس فيه سوى الصّفاء و كاتباً محضاً غارقاً في الفكر المطلق الذي لا يوجد فيه أحد أو نهاية .. أيّ بلا حدود للتّصوّر و الخيال و آلأشراق .. فآلقسم الذي هو جزء من فكري يمثل طاقة خالصة و صافية بحيث يترك أفكاري و تصوراتي و خيالي حرّاً, ليتآلف و ينسجم في ذهني و روحي و قلبي ليحصل الإتحاد الكامل مع أصل الوجود و منشئه .. ثمّ يترتب و ينتظم و بعدها يخرج عن طريق أجهزة الطباعة على شكل حروف مرتبة ذات دلالات و مغزى على ورق ضمن كتاب للدّخول في العالم الماديّ ليتحقق وجودها على أرض الواقع مع باقي الموجودات للطبابة الكونيّة.

و هكذا و بدون أيّ عذرٍ أو تبريرٍ؛ و بدون تعب أو مشقّة؛ بدون خوف أو طمع؛ أو إضطراب, و بقلب خالٍ من التردد و الهمّ, ينساب تياراً من الشحنات الأيجابيّة السيالة و بطريق خاص من وجودي إليكم .. أنا أنطلق إليكم بلا أي قيد أو شرط و حينها عندما أبعث تلك الكلمات و الأفكار و آلمحبة؛ أعلم يقيناً أنا لست مالكاً لها و ألأمر لا يتعلق بيّ, إنما أنا فقط مُسيّر للعبور عندما أنفتح عليها بكل وجودي الغير الماديّ و بعيداً عن أقذار الدنيا المادية و متعلّقاتها العديدة الملونة و المزركشة و أكون كبيكاسو و بابلو و مايكل أنجلو تاركا جسدي خارج غرفة العمل, لتجري الحقائق من قلبي عبر قلمي بعد أن أكون قد تبدلت إلى إنسان سوي في مسير الخلق و نغم الوجود و الأبداع الناشئ من اليقظة و الوعي في الحياة .. لأن الحياة مع الوعي و اليقظة تصحبه ثمرة التحول النفسي – الروحيّ الغير المرئي و الأنتقال إلى ما هو أبعد من هذا الوجود المادي الجسميّ والذي يطيب الخواطر و يُنعش القلب و يشفي البدن و الروح من جميع الأسقام ...
و هذا هو أصل و محور موضوع هذا الكتاب.

لأجل الوصول إلى حالة الوعي و اليقظة و العرفان؛ لا بدّ و أن نتعرّف على الحقائق المتضادّة بحسب الظاهر, و التعرف عليها و مسايرتها و الأستئناس بها فأنت تعيش وسط المتناقضات و تحيط بك مجموعة من الأضداد , و أنت نفسك موجود متضاد ؛ متحرك ؛ تتغيير ؛ تمشي ؛ تتكلم ؛ تتنفس ؛ لك حالات مختلفة ؛ الزمان نسبي ؛ المكان نسبي ؛ المواقف نسبيّة, و هذا هو ناموس الحياة و الخلق.

لقد أكّد العلم ذلك .. كما أشار عرفاء عديدون أشاروا لهذا الأمر الكوني .. بل إن الله تعالى المطلق نفسه يتغيير شأنه .. لأنه كل يوم في شان و هكذا باقي الموجودات بخلاف المنطق الأرسطوي .. فقد إستنتجوا عدم إستحالة جمع الأضداد, و إستندوا على طريقة الديالكتيك لأستنباط هذه المقولة, و التي مفادها؛ (إنّ آلحقيقة تظهر بسبب ألأخذ و الرّد و التنازع بين الأضداد, لهذا فإن أساس الخلق و الوجود قائمٌ بسبب وجود قطبين دائماً, و هذه الثنوية تصدق و تظهر في كل ظاهرة كونيّة ؛ كآلأرض و السماء ؛ الليل و النهار ؛ ألماء و النار ؛ و النّور و الظلام و غيرها, حتى الوصول إلى المثال الأوضح المتمثل في واقع المادة و الطاقة, كآلجسم و آلرّوح؛ القطب الشمالي و القطب الجنوبي في المغناطيس ؛ القوة الطاردة المركزية ؛ ألذكر و الأنثى.

و إن الأُنس ألحقيقي إن لم يتحقق بين تلك الأضداد مع إستشعار الراحة و الأنسجام بينها و قبول كل جهة و طرف للأخرى كحقائق لا يمكن تجاوزها بل و إستشعار اللذة فيما بينها؛ فأننا سنبقى مضطربين؛ مشتتي الأفكار و في دوامة لا نهاية لها, و ربما الضياع الابدي.

علينا أن ندرك جيداً أننا عبارة عن جسم يتصف بخصوصيات و قوانين عديدة متعلقة بها و في نفس الوقت تتداخل تلك المكونات ألمتضادة مع الرّوح المختلفة مع الجسم, بل إن إتحادها – أي الروح – مع الجسد تتولد النفس التي تكون عادة ما أمارة بآلسوء بسبب تلك التناقضات الغير المتوازنة.

نحن محجوبون .. و تحتوينا أسرار عديدة متناقضة؛ فنحن في الوقت الذي نتكاسل ترانا ننشط و نتصف بآلفعالية أيضاً, و قد نحصل على أعلى نسبة من التقدير وآلأحسان في ظرف لم نكن نتوقع ذلك أبداً, فكلّما عصرت الماء بين كفيك كان الباقي منه أقل بين كفيك!

ألعيوب التي نراها في الآخرين و ننبذها و نرفضها؛ هي عين الصفات التي يجب أن نتعلم منها, و كما يقول المثل الإيراني: [من قليلي الأدب تعلّمت الأدب], و العكس صحيح!

أنه من المستحيل أن نحصل على مغناطيس فيه قطب واحد و كلما قمنا بتقطيعه فأننا نحصل على نفس النتيجة (قطب إيجابي و قطب سلبي), كما لا يمكن أن نعرف الإيجاب من دون وجود السلب, و الحسن و القبيح, و الضوء بدون الظلام و هكذا, و هذه هي حالة الثنوية التي تتصف بها الوجود, من هذا يستحيل أن نرى حياة صافية خالية من الأكدار و الصعوبات و المشاكل, لهذا فإن الحالة الثنوية و القطبية موجودة على الدّوام ما دامت الحياة مستمرة مع الخلق و في كل مكان.

إن رفض جانب مفهوم معيّن في جانب من عقولنا؛ تأكّد أن قسماً آخر من الدّماغ سوف يقبل ذلك المفهوم .. المرفوض, فقد يرفض القسم الأيسر من الدّماغ(و هو القسم الخاص بآلرّياضيات و الأعداد) و بشكل منطقي عقلاني و لكن القسم الكرويّ الآخر من الدّماغ الواقع إلى جانب اليمين من الرأس و (المختصّ بعالم الكشف و الشهود و جمع الأضداد)(1) بحسب تحقيقات (رام داس)؛ فأنه تتبيّن الحقيقة و كأنها متضادّة, حيث يضيف: [إن الحقيقة المتناقضة تكمن في أنك لو تركت شيئا فأنك سوف تنال منه أكثر, و كلما قلّ إعتناؤك به زاد نصيبك أكثر للنيل منه, و كلما كثر همّك و وسواسك لنيل الرئاسة و القدرة سيكون نصيبك القليل منها, و لكنك في اللحظة التي ترفضها ستكون مقتدراً أكثر بحيث يفوق تصورك بشكل لا تشهده حتى في المنام.

و ما لم تنال هذا المفهوم بصفائك الداخلي حتى درجة الألفة و كذلك درك مفهومه و أبعاده بحيث يطمئن معه قلبك .. و ما لم يتحقق لك من أنك موجود جسماني و روحاني؛ و مادي و غير مادي, بحيث يكون عنوانك العام – فأنك ستكون في حالة هجوم و حرب مع الحقيقة المتناقضة و في حيرة و تردد.

إنني مطمئن من شيئ واحد و هو : أني من خلال معايشتي و لمسي و كلامي و سمعي مع هذه الأصول الكونية و قوانيها العقدة المتناقضة, و عن طريق الكتابة حولها بعد ملامستها و معايشتي لها في حياتي العملية الواقعية؛ قد تبدّلت إلى إنسان جيد ؛ إنسان ذو حظ كبير و سعيد و ذو هدف و فعّال بشكل لم أكن أصدّق أنني كنت سأراه يوماً حتى في المنام و أملي هو أن أكون قادراً لتوضيح هذا الأمر في هذا الكتاب أمام أعينكم, معرضا من خلاله طاقاتي و نشاطي لأساعدكم لدفعكم إلى حياة أكثر إيجابيّة و فاعليّة و عزّة, هذا مع تقديمي لكم حزمة من أشعة العشق المنبعثة من قلبي المنوّر.

(1) حسب تصنيف العالم (رام داس).

ألثّقة بآلنفس نقطة الإنطلاق

ألثّقة بآلنفس نقطة الإنطلاق:

نستطيع تصوّر الوجود الأنسانيّ بقلعة محصّنة له باب و سور , و حين الخروج منها ؛ فأنه يستحيل العودة لها ثانية, و هذا هو تشبيهي عن العالم الماديّ و العالم ما وراء المادة, و يمكننا التعبير عن ذلك بآلترانسفورمر(المحولة), حيث نرى أن الطاقة الكهربائية الداخلة للمحولة من الشبكة يخرج من الجهة الأخرى الثانية حسب تصحيحه و كفائته و قدرته, و لا يمكن أن يعود لها ثانيّة بحسب القوانين الكهربائية الثابتة.

ألأنسان يحتوي على جسد يتكون من مجموعة من العظام و اللحم و العروق و الشرايين و القلب و الرئة و البد و الكلى وآلمثانة و العيون و المخ و الأظافر و غيرها بشكل مجموعة يتكامل بعضها مع البعض الآخر لأنجاز مهامها لأبقاء الجسم حيّاً لأداء أعماله, و هذا هو التكوين البشري الذي يُماثله الكثير من المخلوقات الأخرى كآلحيوانات و الحشرات و الموجودات الأخرى كآلكلب و الخنزير و الحضان و الفيل و غيرها, لكن البعد الأنسانيّ ألمُتمثّل بوجودنا و الذي يمثّل 99% من وجودنا هو غير مرئي, لأنه لا رائحة ولا لون و لا طعم ولا ملمس, لأن القسم الأكبر من وجودنا يتمحور في ما بعد الوجود ألجّسمانيّ و ليست له ماهيّة ماديّة.

حتى في اللغة الأنكليزية نرى إن معنى (ألترانسفورميشن) تعني الأنتقال إلى ما بعد المادة – إلى ما بعد الجسد, و هذه الكتاب سيساعدك لترى وجودك بعد الجسم, و المتمثل بآلرّوح التي تشكل الأنوار الألهية المكنونة فيه.

جسمنا تابع للقوانين المادية ما دام يتحرك على سطح هذه الحياة , و يصادفك عدة مرات تغيير الشكل و الهيئة بحسب سني العمر و مراحل الحياة التي نمر بها, فكل خلية في الجسم تتغيير كل سبعة سنوات , أما النفس فهي ثابتة لا تتغيير , لقد كنت مولوداً صغيراً ثمّ صرت طفلاً ثمّ صبياً ثم شاباً , و الآن أصبحت موجوداً آخر يرتبط بسنّك(عمرك) ثم بعدها سوف تتبدل إلى موجود آخر و هذه التغييرات جارية و مستمرة , لكن النفس ثابتة لا تتغيير و عندما تدرك هذا المفهوم عندها ستكون على أعتاب العبور من باب القلعة التي حصّنت نفسك فيها كما أسلفنا آنفاً.

كل إنتاج أو عمل أو صنعة يقوم بها الأنسان تبدأ بفكرة أو حالة من التصور و التفكر أو التخيّل أو الوهم .. يستحضره ذهن الأنسان , و بعدها تبدأ أو تجري ورائه عملية أخرى , و هكذا , و في هذه اللحظة التي أكتب فيها هذا الكتاب أكون قد أعددته إلى الطبع و النشر عبر شبكة الأنترنيت, ليتحوّل إلى كتاب يقرأه طلبة العلم و الباحثين و أصحاب الشأن العلمي و الفكريّ.

كل إنسان يمرّ في حياته بهذه المراحل آلاف المرات و بشكل يوميّ, و في النهاية يتحول إلى موجود يعبر أفق المادة و الجسم و كل الحدود المادية الأخرى ليتحرّر من قيود المادة و قفص الجسد و أسر الشهوات و الماديات و هموم التدرج للوصول إلى بعض الآمال(1).

فحين نبقى نراواح داخل قالب الجسم, فإننا نعيش ضمن حدود و مطالب المادة فقط, و يستدعي هذا الوضع العيش ضمن مطالب الجسم الماديّ.

يجب علينا أن نُميّز ألفرق بين الجسم و الجسد - أيّ (البدن)؛ و هو إن الجسد أو البدن: يتميّز بالضخامة، أما الجّسم: فيتميّز بالحياة والرّوح والجّمال و النشاط.
و الجّسد(البدن): يتميّز بالخلو من الرّوح بآلنسبة للجسم, لهذا قال تعالى عن آلبدن : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً), حين غرق جُند فرعون و نجى بدن فرعون فقط - لا روحه - و تركه على الساحل لتكون آية لمن كان يعتقد بألوهيته.
ويقول سبحانه: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ).
وعن الجسم قال تعالى عن طالوت: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) أي هيكل كبير و ضخم.
أما عن الجّسد فقال سبحانه: (وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا) بعد ما صنع السّامري تمثالاً فيه ثقب كان يصدر صوتاً أثناء مرور الهواء بداخله.

و قال تعالى أيضاً: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ).
فعندما نحصر وجودنا داخل الجسد المادي فأننا نعيش ضمن حدود الدائرة المادية فقط, و يستدعي هذا ألعيش ضمن مطالب و حاجات الجسم المادي و دوافعه المحدودة و متعلقاته المعروفة, و هكذا يرسم لنا حدود التحرك و الأنتقال بحيث لا نستطيع أن نتحرك أبعد من ذلك .. بآلضبط كمحدودية حمل الجسم الأنسانيّ للأثقال الممكنة, أو الركض ضمن معدل قياسيّ معيّن, حيث لا تستطيع تجاوز المقادير و المسافات المشخّصة لنا, و تلك كلّها محدوديات ذا بعد ماديّ فقط.

و الآن تصور أقسامٌ من وجودك لا تحدّها الحدود و الضوابط و آلأفكار, حيث ليست لها محدودية, كقوّة التفكر و الخيال و التصور .. حيث بإمكانك أن تتصوّر أيّ عمل كان!
و بإمكانك أن تُحقق بأفكارك علاقات مع الطرف الآخر, و تستطيع تجربة ذلك في أيّ زمان و مكان و بلا حدود و أسوار!

إنني أستطيع أن أؤكد لكم و أبرهن أيضاً بأنكم تستطيعون أنْ تُسيّروا القسم الأعظم من حياتكم في عالم أعلى و أرقى من هذا الجسم الماديّ, بعد الخروج من العالم الماديّ, كما إنّك بإمكانك تحقيق حاجاتك البدنية – الماديّة – طبق الضوابط الشرعية المحددة من قبل الله الذي هندس الأبدان و خلقها على أحسن و أتمّ وجه, عليك بقبول الجسم و البدن و حاجاته الماديّة, بل و أدائها بكل عشق و رحابة بحيث تكون بإتجاه خدمة أهداف الروح التي تأقلمت مع هذا الجسد فكوّنت النفس التي علينا تسويتها و هدايتها نحو الحقّ .. لا الباطل.

في العالم الغربيّ يتمّ آلتأكيد على الجسد المادي و الغرائز .. أي التأكيد على البعد ألخارجي(الجسدي) و المظاهر المتعلقة بذلك بإدارة العقل الظاهر .. تاركين الدّاخل (النفس) المكونة من إندماج الجسد مع الروح التي يتولد منها الضمير و الوجدان الذي ينمو و يتألّق بعد إيجاد البصيرة عبر العقل الباطن.

إن وجودنا الحقيقي هي المحتوى الداخلي – أي الرّوح و الضمير و الوجدان الذي يُعبّر عنه بآلقلب – و الجسم (البدن) هي الحاوية لذلك المحتوى لا أكثر .. بل البعض يعتبره بمثابة الزنزانة و القفص الذي سجن فيه الروح, لذا علينا التحرك و العمل لأحياء الداخل و خلاصه من ذلك السّجن, و هذا ما يؤكده جميع الفلاسفة و العرفاء الحكماء.

يقول (بأول) في كتابه (رومان): [لا تتعلق أبداً بهذا العالم الترابي, فمع إحياء القلب و تجرّده عن الجسم المادي ؛ يتحقق خروجه منها, ثمّ إعرضوها على الخير و نوّروها لتُبصر ألكمال المطلق أي الرّبوبيّة].

تلك هي مرحلة العروج و الأرتقاء في العالم الغير المادي .. في الفضاء الكونيّ اللامحدود, و هي مرحلة لا تعيش فيها مع المعاجز فقط, بل تكون صانعاً للمعجزات.

أنت تستطيع أن تصل هذه المراتب الكونيّة من دون الحضور لأخذ دروس الميتافيزيقيا أي ما وراء المادة, و بدون وجود المعلم أو المرشد ألمختصّ بإمكانك الأرتقاء إلى سطوح عالية في آلحياة, و هذا الأمر يتحقق عن طريق الأعتقاد و آلأيمان بأنك أساساً موجود حيّ بآلرّوح, و على أساس هذا الأعتقاد يمكنك أن تخلق حياة بدون حدود لوجودك و ستشاهد المعجزات في حياتك واحداً تلو الآخر لسبب واحد هو أنك ستكون منتظراً تحقيق ذلك .. بل الحقيقة هو أنك سوف تتبدّل إلى إنسان تخلق المعاجز.

و يمكنك ملاحظة تحقيق ذلك عن طريق الشفاء من الأمراض الجسميّة التي تعاني منها؛ ألعادات السّيئة التي تعوّدت عليها؛ كممارسة الجنس بكثرة؛ أو إلتهام الغذاء فوق طاقة الشبع؛ أو النفاق لاجل الحصول على منصب, و بآلمقابل .. عدم ترك الرياضة و تحقيق ذلك يتمّ حتى من دون وجود برنامج منظم لها, لما له من دور في الحفاظ على رشاقة الجسد و صحته.

هذا الوضع الطبيعي حين يتحقق؛ فأنّ آلأرتياح و شكر الله على النعم سوف يتحقق لك, و كذلك قبول النفس كما هي و بآلشكل الذي أنت عليه , و الأعتقاد بكون الجسم قادراً على شفاء نفسه بنفسه و التأثير إيجابيّاً على وجود الرّوح التي سيعتبر البدن بمثابة معبد مقدس لهذه الروح المتحررة و سيبدأ الأهتمام بها على أحسن وجه.

و عي مسالة ألنّفس ؛ ألفكر, و أحياء المعنى في وجودنا؛ يمحي آلخوف من الموت, و أعلم بأن الأفكار و النفس لا يموتان و إن محتوى الكائنات تشكلها الطاقة ولو إعتقدت بوجودك لهذا الأمر؛ فإنك أبداً ليس فقط لن تخاف الموت .. بل و تفرح به كما

فرح العليّ الأعلى حين ضربه عبد الرحمن بن ملجم في محرابه, منادياً بأعلى صوته: [فزتُ و ربّ الكعبة]!
كتبتُ مجموعة مقالات نشرت على شبكة الأنترنيت خلال الأعوام الماضية بعد الألفية الثّالثة يمكن أجمال ما ورد فيها بآلتالي:

1- التوجه للفكر و السلوك المعتدل الأصيل؛ المبدع, بدل الفكر و السّلوك المبني على أساس الخوف و التجارب السابقة.
2- ألتّلذذ الكامل بدون نقص أو خلل لتحقيق السعادة و إنشراح النفس في كل لحظة من لحظات الحياة.
3- ترك ألتّوجه و الأهتمام بتحديد قيمة ألآخرين و إصدار الأحكام عليهم.
4- ترك التّوجه لتفسير و تحليل سلوك الآخرين و مراقبتهم.
5- الأبتعاد عن المشاجرات و الهجوم و المجادلة خصوصاً مع العائلة و المقرّبين.
6- الأبتعاد عن القلق و تشويش الذهب بمسائل ربما أكثرها وهميّة بسبب إبتعادنا عن الأيمان بآلغيب و قدرة الله.
7- الرّضا و الشكر (فمن لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق) و تقدير و قائع الحياة و آلأحداث.
8- تحسس الرّضا في العلاقة مع الله و مع الآخرين و مع الطبيعة و ما يحيط بنا خصوصا العائلة.
9- التبسم الدائم للحياة و للجميع خصوصا الذين نصادفهم بوجه منشرح باسم لكل العالم و على الدوام.
10- ألإستعداد الدّائم و المتزايد لإحتصان العشق و المحبة من آلآخرين و الميل إلى توسيع ذلك بلا .. كيف و متى و لماذا؟

و أعلم أخي القارئ بأن كل تلك المحاور التي تُطيّب الحياة و تزينها هي عبارة عن ودائع أودعها الله بداخلك, لو آمنت بها و طبقتها؛ فإنّ حياتك ستتبدل إلى سفرة مليئة بآلمفاجآت السّارة و اللذات المتواصلة و الأفراح الكبيرة, و في نفس الوقت تضيف لحياتنا الهيبة و العظمة و الأبهة.

إن ذلك القسم العظيم من وجودك اللامرئي قد سحبته و سجنته لمدة طويلة داخل جسمك الترابي .. لذلك حمّلته بشكل قهريّ الكثير من الضغوط و فرضت عليه الكثير من المحدوديات و الآلام, و بمجرّد تحرره من ذلك السجن و العذاب؛ فإنّه سيفتح أمام عينيك آفاقاً جديدة رحبة لم تكن قد ألفتها أو عرفتها من قبل,و ستُسهّل أمامك مسائل و مصائب الحياة الكثيرة و المختلفة, و ستنبسط الأمور و ستعيش ا لأمن و السلام و الأطمئنان مع نفسك و خارج النفس مع الآخرين, و سوف يتعاظم و يجلّل ذلك الصّفاء و السّلام الذي تواجهه في طريقك, و ستَتَيقّن بداخلك أنّك لست مستهدفاً من قبل الآخرين أو مهدّداً من الخارج .. و ستتلقى السّعادة و الفرح و اللذة أكثر فأكثر من الحياة, لأن ذلك أساساً قد إنبعث منك لجهلك بفنّ الحياة و التعامل مع الأحداث و الظروف و الإمكانات.

قبول الآخرين مع وجود الأختلاف في آلآراء و وجهات النظر؛ يكون أسهل كثيراً ممّا كنت عليه في السابق لعدم محاولتك تغيير نفسك طول الزمن الماضي طبيعة بشرية نتيجة حالة العنف المترسخة في الذات .. خصوصا الغير المهذبة ..

لأنك بعد قيامك بعمليات التهذيب و حصولك على سعة من المعارف ستشعر أنّ كرامتك و شخصيتك و ماء وجهك هو في يدك أنت و ليست في يد غيرك, كما إن الراحة الآتية بسبب عفوك و تسامحك مع المسيئين و أبعادك لكل العقد و الأحقاد و النفور و آلآلام من داخل قلبك سيكون كبيراً و عظيماً, و سوف لا تحتاج لعدها لئن تعظّم نفسك أو تُحاول إثبات كفائتك من خلال مصانعة الوجوه و الأخذ و الرّد و المداراة مع الناس؛ تكون مهيّئاً لإستثمار القوة الخارقة للعادة و المخزونة في العقل الباطن و ليس العقل الظاهر(2) و ذلك بآلأتكاء على حالة الهدوء و الأطمئنان و السّكينة و الصلح و الصفاء الداخلي .. مع إحتمال أن يكون ذهن الآخرين حول شخصيتكم غير واضحة و مشوّشة , فسيتبدل إلى قوّة كبيرة ذهنية مخزونة و راكدة, و في حالة سكوت مطبق و ستبرز طاقتك و ستكشف أشياءاً عن نفسك لم تكن تعرفها من قبل, و ستتصل بآلعقل الكليّ للكائنات و بآلله تعالى, و بفضاء المعاجز و ستنال الرامات التي تتجسد على كل صعيد!

أعتقد جازماً أن قدرة الله تعالى هي وراء كل هذه الأمور, أو حسب تعبير بعض الفلاسفة غير الإسلاميين (العقل المتعالي) أو بحسب تعبير بعض الحكماء بـ (الطاقة ا لحياتية) أو بحسب تسمية العرفاء الحكماء بـ (روح القدس ألألهي) كما يسمونه.

هنا (ألتّسمية) أو (العنوان) غير مهمّ و أي كانت التسمية فلا يهم ؛ المهم هو وجود تلك القوة و الطاقة العظيمة , كما قال (يونك)(3) عندما سأله شخص شخص في يوم من الأيام: [هل تعتقد بوجود الله؟], فكان الجواب الأبتدائي الذي صدر عنه: كان بآلنّفي, يعني أنكر وجود الله!
و لكن تبعه بعد لحظات قائلاً: [أنا أعتقد بوجود إله للكون]!
تأمّل شجرة من الأشجار, و تأمل لحظة العقل الخلاق الذي تحويه في وجودك و تصنع سير نموه و حركته المنظمة ..

فأوراق الشجرة تتفتح في فصل معيّن, ثمّ يكتمل نموها و نضجها و لونها ثمّ يخرج ثمرها و ينعه, و الشجرة كما نعلم لا تتعدى أن تكون مجرّد مادة خام على الظاهر, إلّا أن طاقة الحياة التي تحويها – أو كما يقول العرفاء الحكماء ملكوت الله - التي تضمن لها حياتها و نموها و مراحلها التي تتكرّر بنفس المنوال كل سنة بحسب المواسم.

المسألة التي يجب أن ننتبه لها : هي أننا لا نرى تلك الطاقة – كما لا يمكننا أن نرى الكهرباء – أو المغناطيس أو مكونات الذرة لأنها ليست ماديّة, و لكنها حقيقية و موجودة بآلفعل كأساس لحياة المخلوقات جميعاً.

يلاحظ الأنسان حين يمتد به العمر حدوث تغييرات كثيرة و كبيرة في مظهره و تفاصيل جسده نتيجة عوامل فيزيائية طبيعية تطرأ على كل مخلوق .. فأنا شخصياً أرى في أيامي هذه بعد ما بلغت من العمر عتيّاً .. أرى تغيير لون بشرتي و حالتها الطبيعية ففي السابق كان طرياً و حسّاساً و يتأثر سريعاً بضربة أو وخزة لكن سرعان ما يطيب .. لكني الآن بمجرد حدوث وخزة صغيرة في جسدي تحتاج لأيام و أسابيع كي تعود لحالتها الأولى, إلى جانب ذلك أرى شعر رأسي قد إبْيَضَّ و بدأ يخفّ في رأسي و بصيلاتها فقدت الخلايا المسؤولة عن إنتاج اللون الأسود فبدأ شعري يميل للبياض, و في نفس الوقت بدأ يظهر في أماكن أخرى كالأذنين و تحت العينيين و غيرها, و هكذا تزايد ضعف النظر في العينيين أيضا و تقلّص عضلاتي التي بدأت هي الأخرى تصغر و تضعف بمرور الزمن و لا ترجع لوضعها الأوّلى عندما كنت أيام شبابي, و هكذا تزايد تجاعيد بشرتي مع الوجه و ما يُحيط بآلعينيين و الوجه الذي إمتلأ بـ(آلفتحات و الضمات و الكسرات) التي لم تكن موجودة في السابق .. لكنها ظهرت و كثرت بوضوح و كأنها تريد أخباري بقرب الرّحيل بعد إنقضاء ربيع العمر و كلّها لا تبعث فيَّ شعوراً جيّداً, خصوصاً و أنا أشهد تغييرات كثيرة في جسمي و قوايّ و أعضاء بدنيّ .. فلو يكن إعتقادي أنني هو هذا الجسم فقط لا غير؛ فبدون شكٍّ سيعترينيّ بسبب تلك التغييرات ألجسميّة الظاهرية .. الحزن و الكآبة و التّيه!؟

لكنني على يقين بأنّ حقيقتي تكمن في ما وراء هذا الجسم و أسمى كثيراً من هذا الوجود المادي المتزلزل المُـغيير الغير الثابت, و أعلم أن روحاً شفافة ذو ماهيّة خارقة الطبع تسكن هذا الجسد, و وجودي الحقيقي هو ذلك الذي يطلق عليه الفلاسفة و العرافاء بآلجّوهر ألأنسانيّ و الجسد المادي بـ (العرض) أي ما معروض أمام عيوننا سواءاً ألمادّة أو ما ينبعث من المادة في حدود المادّة, لهذا فآلتأكيد يجب أن يكون على دور و حركة الجوهر في الموجود لأنه الاصل . لا على حركة العرض الذي هو وعاء لا اكثر, و بمجرد خروج الروح منه يتفسخ و يذرى في التراب و كأن شيئا لم يكن!

الفرق الكبير بين (أنا) اليوم و (أنا) قبل عدّة سنوات, هو:
و عيتُ أني لست جسماً فقط؛ بل إنّ روحاً عظيمة و واعية و داركة و ذو قوى خارقة إندمجت معه.
يقول: باك منستر فولر (4) : [99% من وجودنا الحقيقيّ هو غير مرئي و غير قابل للّمس], و يضيف: [إن الذي يحدّد حياتنا و مصيرنا هو مدى قدرتنا على العبور إلى ما بعد هذا الجسد المادي و كشف ما هو مكنون فيه]!
و بذلك يلتقي (منستر فولر) بآلأية القرآنية المدعمة بآلكثير من الأحاديث و التي تقول: [لا يغيير الله ما بقوم حتى يغييروا ما بأنفسهم ...]!

و يقول .... : [أستطيع القول إنّ أكبر خطوة خطوتها في مسيرة حياتي ؛ هي أنني ملكتُ قوّة الفكر و الأحساس, و ها أنا أجرّب و أتحسّس ذلك بكلّ وجودي و كياني].

لقد أدّيت خلال حياتي عروضاً كثيرة و تحقيقات ميدانية في عدّة مجالات و كنت رسّاماً قديراً, و إعتقدّتُ بأنّ تلك آلوقائع و الأحداث تمثل كياني الواقعيّ و ما عملته كان معبراً عن ذاتي و جوهري, و جسمي كان يشهد تلك آلتجربة, و ما عملته و أحاول أن أعمله يُعبّر عن ذاتي و جوهري, و جسمي كان يشهد تلك التجربة التي كنت بنفسي أخطط لها و أبرمجها و أنتخبها و في نفس الوقت أستطيع أن أرى أحياناً أثناء أنفصالي عن جسدي أعمال و حركات جسدي نفسه و هو يؤدي وظائفه الترابيّة المادية , كأداء الأعمال اليومية و أبرازي للعشق مع زوجتي, أو مشيتي على ساحل البحر ؛ السعي لكسب المال؛ أو دفع فواتير الكهرباء أو قسط البيت أو الهاتف و غيرها, أو عند إحتضان أبنائي و تقبيلهم و تعليمهم, أو إنتخابي لبعض الأعمال المسليّة.

عندما يتطابق حركة الجوهر و المعنى في داخلي و يحصل التناغم بينهما و بين الأعمال التي أنجزها بإتجاه واحد و سلوكي نابعا من داخلي بإرادتي بشكل طبيعي لا بتأثير الآخرين ؛ فأن نتائج تلك الأعمال و جودتها و تأثيرها سيكون سحرياً و قوياً و فعالاً إلى أبعد الحدود.

عندما يكون (ألانا) أو (ضميري) من الداخل الغير المرئي داعماً و سنداً لأعمالي ؛ و عندما أتَأكّد من أنني لست فقط جسماً مادياً, عندها يحصل الاتحاد بين الروح و قوى النفس و تتضاعف قدرة الحواس الظاهرية و تتضاعف قوة الأعمال البدنية, بسبب ذلك الاتحاد الروحي الجسدي, و عندها يتحقق التعادل و التطبيق مع السنخية لأداء الأعمالبوجه أفضل , و عندها أكون وجوداً متعادلاً و متحداً وأوّدي تجربة كونيّة بكل معنى الكلام.

إن المقدرة على العيش في حياة معنوية و فكرية هي بحدّ ذاتها معجزة واقعية و عملية متطورة تجعلك قادراً من الأنسجام مع حركة الوجود و نغمة الحياة مع باقي الموجودات.

لا أحد يستطيع أن يحلّ بدلي ليرى ما يدور في داخلي و أعماقي أو يدخل عقلي و ضميري ليرى سير الأفكار و الأوراد .. يعني لا أحد يستطيع أن يعيش الواقع الذي أعيشه أو يتحسس ما أشعر به, و كذلك نفسي لا أستطيع أن أدخل جسداً آخر لأرى ما يدور فيه و أكون بدلاً عنه, لكني أستطيع أن أكون حرّاً و مستقلاً بعيداً بدون الجسد – أي أكون روحاً خالصاً مع الجسد, بأداء رياضات و أدعية و أفكار خاصة.

أنا أعيش اليوم بشكل صار معه العقل ألكلي أو (الله) تعالى الذي توحّدت معه بحيث صارت مشيئتي مشيئته في وجودي كما في وجوده .. بحيث أصبح وجود الله جوهري .. مع ذاتي و واقعي .. أعيش معه و فيه.

إن يقيني جعلني لا أخاف من الموت اليوم, ذلك أنني بتُ أعلم أنني لست جسماً مادياً فقط , و لم أكن مادياً بآلاساس, و دائما في تحرك مستمر من حالة لاخرى, على الرغم مما يبدو للعيان بكون أجسادنا المادية تموت .. لكن أفكارنا و نفوسنا لن تموت أبداً.

إن أكبر تحوّل طرأ في سلوكي و أخلاقي هو يقظتي و أحساسي بآلام الآخرين و مواساتي للآخرين, حيث نمت و ترعرت كثيراً بعد ما إزداد وعي و أحاطتي بهذا الوجود خصوصا نفسي التي بين جنبيّ, لأنك لو عرفت النفس عرفت كل شيئ و تحسست كل شيئ خصوصاً تلك المتعلقة بآلأنسان.

في الماضي كنت فقط أعيش في عالمي الخاص, و كنت غير مكترث بآلآخرين .. بتعبير آخر ؛ كنت أرى كل شيئ بطاقتي الداخلية, ففي الماضي عندما كنت أسافر للبلدان .. كنت أسعى للحثول على مكان أفضل و نيل ما هو الأفضل بدون إعطاء أية أهمية للآخرين و كأنهم غير موجودين, و كنت أفكر بنفسي و بمستقبلي و عاقبتي لوحدي و نسيت أن الله تعالى قد أوجب في سورة هود : [و إستقم كما أمرت و من تاب معك], بمعنى ليس الفلاح في نجاة نفسك فقط يا رسول .. إنما أنت مسؤول عن الباقين الذين معك .. و كذلك قول الرسول(ص) ؛ [كلّكم راع و كلّكم مسؤول عن رعيته], و غيرها من الآيات و آلأحاديث.

إذن نحن مكبليين بقوانين كونية لا يمكن الحياد عنها لكي نسعد .. من حيث لا (يسعد مجتمع فيه شقي واحد, فكيف الحال لو كان المجتمع كله يشكو؟].

لذا فإن مساعدة الآخرين و التعاون معهم و طبابة آلامهم و أمراضهم, بينما في السابق كنت غير ذلك أتصارع معهم يميناً و شمالاً, لكني الآن أختلف, و أشعر بإحساس جديد, و أحبّ هذا الأحساس لأنه ينعشني و يسعدني, بعدما فتحت أمامي آفاقاً جديدة و رحبة, و تسبب في إدلائي لتحقيق أمور أكبر, و في نفس الوقت برز بآلمقابل في الآخرين محبة و عشقا لي .. و هذا الأحساس المتبادل هو الذي يحقق الوحدة و التآلف و السعادة كهدف أساسي للفوز بآلخلد.

بجانب ذلك كله ؛ بدأت أحس بولادة حالة فكرية جديدة بداخلي, بحيث أشتاق لإدراك الأمور و المطالب التي كانت في السابق مبهمة و غامضة و غير مألوفة لي, كذلك بدأت أحب مطالعة الأمور المتعلقة بآلنسبيّة و الميتافيزيقيا و عالم الروح الذي كنت أظّنه شيئا مبهماً و ثقيلاً و مخيفاً و غير قابل للأدراك و الفهم و المعرفة .. و أكثر من ذلك حين أزور المكتبات أنجذب للكتب العرفانية و الروحية و قضايا الغيب بقوة و أشتاق لقصص العرفاء العظيمة و الخارقة, و أتحسر معها لعدم وجود الوقت الكافي لمطالعتها و دركها و تطبيقها أيضا, بآلأضافة إلى تفاعلي الذهني و الروحي مع تلك الموضوعات, و صرت أندفع و أشتاق لمعرفة كل ما يتم كشفه و إختراعه في هذا العالم, و باتت بعضها كرموز و أسرار تحتاج الكثير من البحث و السعي لفهمها و إداركها, و هذا بمثابة وعي جديد أضفته لوجودي, و بت أحترم هذا الأمر و أعظمه في نفسي لأنه حقا أبهرني و

أبهتني لانه إنعطاف جديد.

أحياناً أطالع كتباً – بمعدل كتاب في اليوم - مع موضوعات تهزني من الأعماق, ولا أدري بآلضبط هل ذلك بسبب كثرة مطالعاتي و إنفتاحي الفكري و العقلي الذي أدى إلى قبولي لتلك الأفكار الجديدة ؛ أم بسبب الوعي و اليقظة الزائدة و التي أتت هي الأخرى بآلمطالعة و التفكر!؟

إن التعليم ليس ذلك الذي يأتي بسبب ألدّورات و الدّراسات ألطويلة, أو تفاصيل المطالعات و البحوث أو التحقيقات؛ بل هو بكل بساطة و وضوح؛ إيجاد التّغيير و التحول في أنفسنا بأنفسنا, و من هنا المنطلق نحو وعي الوجود و درك سبب خلقنا و الأسئلة الستة التي عرضناها سابقا, لتحقيق حالة جديدة و ولادة ميمونة لنفس جديد مفعم بآلمحبة و الأحسان و الشعور بآلحيرة من الأجواء المعاجزية المتولدة فيه.

ألنقطة الأيجابية العظيمة الثانية التي وصلتها بسبب الوعي و مطالعة الكتب(القراءة), هو:
أنخفاض مستوى الحرص في وجودي للحصول على الماديات و كذلك عقدة التملك, و صرت لا أعرف نفسي من خلال ما حققت في آلماضي و من سوابقي, بل إن وجودي بآلضبط ليس له حد أو حدود , و لم أعدّ جدّياً و حدّياً لتعريف و توصيف نفسي.

أتحسس .. أنني أستطيع أن انفصل عن جسدي و أجعل نفسي حرّاً طليقاً خارج أسوار الجسد لأكون مَنْ أُريد من دون الحاجة إلى تعريف نفسي من خلال السلوك أو المدح أو الأطراء على نفسي!

أَنَا أُعْرَفْ من خلال العلم ألّذي أعرفه و أحمله و من خلال ذاتي و كياني, و هذه لا تحتاج إلى الوصف .. للتغطية على العقد الخارجية.

و لم يعد مهماً لي أن أصل إلى أية إنجازات , ذلك أنني أحسّ بعلاقتي مع البشرية و مع الله تعالى, و لم أعد محتاجاً إلى الملصقات و العناوين الشخصية الأخرى.

إن الحقائق التي سردتها أعلاه ؛ لا تعني أنني لست محتاجاً إلى المزيد من السلوك و الأدب و الحياء و الإستقامة و التعامل الأنساني مع الآخرين؛ بل إنّ سلوكي و أدبي و تعاملي سيتحدد من خلال أفعالي و مواقفي العملية و ليس عن طريق الكلام!

يقول ألأمام السّجاد (ع): [كونوا لنا دعاةً صامتين بغير ألسنتكم], و في حديث آخر: [كونوا لنا دعاةً صامتين بأفعالكم].

و هكذا كلّما قلّ إهتمامي بندآآت الجسم و أثرها الخارجي, و إعارتي لها – لمتطلبات الجسد - أهمية أقل, لأنها محدودة؛ أكون بذلك قد قلّلت المحدودية لنفسي و كسرت ذلك القفص الصغير الذي سجن فيها روحي و فتحت آفاقاً و مديات أوسع أمامي.

و ما دمتُ قد ملكت الوجدان و أستمتع لصوت الضمير المنبعث من القلب – يعني وجودي الداخلي – فإنني أتحسس القدرة و اللياقة و التسلط في كل مجال و فضاء .. و كل مَنْ حاول أن يتدخّل أو يتسلّط أو يقضي أو يُصَدِّرَ أحكاماً على شخصيتي؛ فليس له أيّ مكان في إحساسي و في قلبيّ.

أنا – و أعوذ بآلله من الأنا – و بعد ما توصلت إلى معرفة نفسي و كيفية التعامل معها؛ لم أعد أحتاج اليوم إلى إبراز و إثبات قدرتي و لياقتي للآخرين .. كما لا أحتاج حتى للدفاع عن معتقداتي, أو حتى ميلاً لأقناع الآخرين بصحة إستقراآتي .. أو حتى مواجهة ملاحظات الآخرين ..

على كل حال .. فقد حدث تغيير عظيم و تحوّل كبير حوى و ضمّ جميع الحالات الآنفة التي ذكرتها أعلاه, مع إحساس مفعم بآلصّفاء و السّلام و آلصّلح و المحبة على أساس .. (إنيّ هذا الذي أمامك), دأبي هو إحترام حقوق الناس كأصل في حياتي و إنطلاقتي, خصوصاً و إن الإسلام قد أكّدَ [حُبّ لأخيك ما تُحبّ لنفسك].

بعد ما غيّرتُ نفسي ؛ لمستُ تحسّناً كبيراً في علاقاتي مع الآخرين, و كان يتجذّر أكثر فأكثر مع مرور الأيام, خصوصاً مع

المقرّبيين كآلزّوجة و الأبناء و الأقرباء و آلأصدقاء, و آلآخرين في المقابل قلّلوا من أهمّيتهم لي!
و لا زلت للآن أتحسس اللذة من حضور مجالس العرفاء و الفلاسفة والمفكريين وعلاقاتي معهم على كل صعيد, و لا أحتاج إلى المشاركة أو الأرتباط بآلمنظمات و الجمعيات, و لا أبحث عن هويّتي فيها, بينما كان وضعي في الماضي يختلف و بخلاف الآن, حيث كنت في السابق أعير أهمية كبرى لتلك المجالس و المحافل, و كنت أحرص لأكون فيها عضواً أو مشاركاً و كان له أثراً كبيراً في حياتي و إنطلاقتي و كذلك في التأثير على الناس و هدايتهم.

من بين كل تلك العلاقات؛ كانت علاقتي مع أبنائي و زوجتي مقدمة و فوق كل تلك العلاقات و المحافل, لأعتقادي بأن سعادة الأنسان لا تتحقق إلا من خلال بعدين : وجود عائلة طيبة منسجمة مُتحابّة فيما بينها, أو : إمتلاكك لأيمان كبير بآلله تعالى تغنيك عن كل العلاقات.

في هذا العصر .. و نتيجة إنتشار لقمة الحرام و فقدان المبادئ و الوجدان و إنتشار الغيبة و الكذب و النفاق و التّفنّن لإظهار مساوئ الآخرين و عيوبهم و التشهير بهم, و عبادة الناس للدّولار عملياً و جهرهم نظرياً بآلأيمان بالله تعالى؛ لذلك فأنني فضلت تقليص علاقاتي مع أكثرهم, لأنهم باتوا في مدار الشيطان يتحركون و لخططه ينفّذون بدعوى الأيمان الظاهري وهذا هو النفاق الحقيقي الذي خصص الله تعالى لأصحابه ألدرك الأسفل من النار!

مع كل هذا الوضع؛ فأنني مسامح كريم وسخيٌّ .. بل أتلذّذ من مساعدتي للآخرين أكثر من أي شيئ آخر, و هذه ظاهرة ملفتة للنظر و تبعث للنشوة و اللّذة لأن يكون الأنسان تابعاً لمجريات و وقائع حياته بذاته , و في نفس الوقت بدون إصدار الأحكام الشخصيّة على الآخرين طبقاً لمعتقدي الخاص و إن كانوا يختلفون عني في مسيرتهم , و بهذا يكون من السهل أن أعيش مع إعتقاداتي و أصولي في الحياة جنباً إلى جنب مع الآخرين من دون إصراري لجعلهم على نفس الطريق الذي أؤمن به, و هنا يكون الحائط الذي بيني و بين الآخرين قد رُفع, و أستطيع أن أرى تحركاتهم بكل حريّة في رحاب الحياة الخاصة بهم, بل و أحبهم كما هم!

عندما يُحاول ألآخرون تحميلي معتقداتهم التي تصبّ في مصالحهم – بآلضبط كما كنتأحاول أن أفعل أنا – أتحذّر جدّاً من مردودات ذلك بأن يخلّ في توازني, لذلك تبدلّت إلى إنسان متعقّل ذو نظر معتدل و سلوك سويّ مع نفسي و مع تلك التي هي حقائق و مسلمات في نظر الآخرين.

النتيجة المرضية التي توصلت إليها, هي: أنّ نفسي المستعدة التي روّضتها طويلاً و الأفكار التي حملتها و أحاسيسي الداخلية التي أعيشها لم تعد في حالة الدّفاع و آلأنذار و القلق ألمستمر, بل و مع أستغنائي عن الناس و عدم إحتياجي لأحد سوى الله تعالى؛ بإمكاني نفيها – أيّ ما يصدر من الآخرين ضدّي - و السيطرة عليها!

كحياتي ستبقى بعد ما عبرت الكثير من الأسفار الكونية؛ كزجاجة شفافة و مضيئة, و هذه نعمةٌ جديدة توصّلت إليها, بحيث أعطتني قوّة للتعايش في داخلي و خارج جسمي المادي , و هذا الحال من شأنه خلق و إيجاد جوٍّ من الصّفاء و التصالح و الصّميمية وآلأبداع في وجودي.

لم أعد أعتبر أن للآخرين دورٌ في حياتي لتحديد مسيري أو تقرير مصيري, ولا ألومهم بسبب النواقص التي عندي, و لم أعد أؤمن بكلمة (سوء الحظ) أو (سوء الطالع) وحتى سوء الأقدر لبعض الحدود و كذا (الأحداث السيئة), هو أنا بآلذات الذي أحدد عالم حياتي و شرائط معيشتي, و عند المصائب لا أقول من آلآن و صاعداً: [لماذا نزل علي هذا الباء, بل الحقيقة و واقع الأمر هو: [لماذا خلقتُ(أنا) مثل هذا الوضع لنفسي؟], و تعمّق هذا الوعي في وجودي, بحيث إنساق إلى داخلي و صار صماماً لتقبّل مسؤولية الوقائع و آلأحداث بآلكامل .. نعم هناك أقدار مرسومة من الأصل ؛ مذ خلقنا و لا بدّ أن نمرّ بها, لكن لا تنسى بأن بداية نشأة تلك الأقدار هي أيضا بسببنا .. خلاصة القول ما كان خيراً فهو من الله و ما كان سوءاً و منكراً فهو من البشر نفسه, و هذا الوعي يمثل حقيقتي التي إنساق لداخلي وجودي, وصار صمّاماً لتقبل مسؤولية الوقائع و لاأحداث بآلتمام و الكمال.

عندما أحاول التسلط على بعض جوانب الحياة الخاصة بي والتي في السابق لم أكن قادراً عليها؛ فإن هذا اللغز المحبب لي يتحوّل إلى صراع إيجابي و جذاب و أحسّ أنني مسلّطٌ عليها و أستطيع توجيهها!

أنا الآن أعلم أن كل الذي عندي و كل ما أحتاج إليه هو من صنع نفسي, و لو كنت منضبطاً من الداخل و متوازناً ؛ فأنه بإمكاني أن أوجّه فكري لخلق العالم أو الجو الذي أريده بشكل إعجازي يفوق التصور.

أعلم أن ظروف حياتي لم تكن هي السبب في ما أنا فيه , بل هو من صنع يداي و نفسي أنا و بإرادتي و بمستوى العلم والوعي الذي إكتسبته.

و كلّما تمكّنت من تهدئة ذهني و قواي العقلية فأنني بقدر ذلك الهدوء أكون قادراً لتشخيص و تطبيق ذلك الذي في فكري و ذلك الذي أتحسسه أكثر فأكثر , أي تجسيم ذلك الواقع بشكل أدق و أفضل, و كلّما كان هدوئي الفكري أفضل تنخفض الحالة السلبية في داخلي و وجودي و يقلّ عندي حالة القضاء و إصدار الأحكام و إنتقاد الآخرين.

إن الهدوء الفكري يجلب لي حياة ملئها السلام و الصفاء و التسامح , بل و يؤثر إيجابياً حتى على الذين يحيطون بي بشكل مؤثر و غير مباشر, و هذه كلّها بسبب طريقة التفكير.

إنّ الآيات والرّوايات الدّينيّة تؤكد أن صاحب العصر و السيد المسيح عليهما السلام و معهم المصلحين المخلصين يظهرون و يهبطون على قرىً ليؤثروا على الناس لتغيير العالم و خلاصه من الفساد الذي عمّ فيه بسبب الحكومات و الأحزاب الفاسدة التي تعمل كبيادق لتنفيذ مشاريع (المنظمة الأقتصادية العالمية) التي تمتلك زمام الأقتصاد العالمي و منابع القدرة و الزراعة.

في السّابق كنتُ أحسّ بخجل شديد عندما أقف أمام الناس لأحاضر عليهم, لكن اليوم و بعد إحاطتي بأمر الوجود و الكون و معرفة رسالتي التي خلقت لاجلها بآلكامل؛ قد طرأت علي تغييرات كثيرة أوجدت تحولاً واسعاً في داخلي, و تلك التحولات باتت كبقية أعضاء الجسم كآلرئة و القلب و الكبد تعمل ضمن نظام معيّن و صارت جزءاً من حياتي و شبيه تلك التحولات .. أحدثت تحولات مشابهة في جسمي و فكري تُحدّد طريقة وجودي في العالم الماديّ.

أنا في كل يوم أمارس رياضة الركض لقطع مسافة أكثر من 10 كيلومترات إلى جانب التمارين السويدية, و منذ ممارستي للرياضة لم أرتكه يوماً و صار جزءاً من وجودي و أصبحت هامة جدا لأدامة حياتي الطبيعية, لأنها تسبب لي راحة الجسد و الفكر بعد الأنتهاء.

في الماضي كنت أعرف جيّداً الفوائد و اللذات الجسميّة, و تلك آلمميّزات ما زالت كما هي باقية و سارية في جسمي .. لكني أضفت لها مميّزات نفسية من داخلي , و الآن أثناء الركض أحسّ أنني فاقد للجسم ولا أتحسس وجودي المادي .. بل و أحسّ بخفة في الجسم.

مقدار الطاقة التي أتحسسها بداخلي أكثر من أي وقت مضى , و تلك بسبب الصحة الجسمية و السلامة البدنية و الروحية بسبب الوعي العالي المقتدر و الكمال الرّوحي.

برنامجي الغذائي حذفت منه أكل اللحوم – خصوصا الحمراء – و عدم إستخدام الملح في طعامي و قللت إلى حد كبير نسبة السكر و الكافائين في وجباتي الغذائية, بينما في السابق على سبيل المثال كنت أضيف الملح حتى قبل تذوق الأكل – ربما بسبب توصية غبيّة في رسالة مرجعي التقليدي – بإعتبار تذوق الملح قبل الشروع في الطعام لها منفعة عظيمة, و الحال أن العلم و الواقع أثبت عكس ذلك, و هناك الكثير من المسائل الفقهية الخاطئة التي ليس فقط أثرت سلبيا على المؤمنين ؛ بل حتى على المجتمع ككل.

أعتمد اليوم في إتخاذ القرارات بآلدرجة الأساس على قوة الضمير أو العقل الباطن(البصيرة) و كذلك المشورة مع نفسي أكثر من كل المعايير و المقايس الأخرى والعادات الرائجة في المجتمع و كل العادات التي تعلّمتها في الطفولة لأن التربية و التعليم و حتى الدّين في العراق للأسف ليست علميّة ولا شرعية ولا إنسانيّة و أكثرها تخالف أسس الحياة التي قرّرها الخالق البارئ تعالة لنا.

إنّ الرّجيم الغذائي الذي إتخذته بدل الطبخات الدسمة التي تعودنا عليها سابقاً جعل وجودي متوازناً, حيث بدأت أحسّ في داخلي بآلتعادل و التوازن و هذا بمجموعه أدى إلى توجهي إلى رجيم غذائي خاص و رياضة متوازنة و سليمة و دائمة.

أليوم و بعد تلك الأسفار التي إمتدّت لسنوات بجانب الدراسات و البحوث و المقالات؛ لا أهتمّ للزمن و لما يؤشر له عقارب ساعتي اليدوية أو الموجودة على الآيفون .. لم أعد أهتمّ بآلزّمن كثيرا و لم أعد أعطي أهمية قصوى للمواعيد و ا لفواتح الكثيرة و كذلك لا أعتني لقصاء عمري بسرعة , حيث توصلت لذلك تلقائيا و بدون سعي, كل الذي فعلته هو غض النظر عن الساعة و الزمن.

لقد تعجّبت كيف إن إهمالي للزمن و الكميات و بآلمقابل أعتنائي بآلكيفيات قد أدى لأكون أكثر توازناً و معتدلاً في تصرفاتي .. بعيداً عن التعصب و الثورة و العضبولم أعد أهتم لو كنت ضمن طابور إنتظار في متجر أو للحصول على بطاقة سفر أو للحصول على بضاعة من محل بيع المواد الغذائية .. في السابق كنت أثور و أتعصب, و أريد أن ينقضي الزمن بسرعة لكي أصل إلى هدفي و أطوي أيامي و زمني خلف رأسي!

كما لم أعد حسّاساً بآلنسبة للشخص الذي يقف أمامي في الصف(الدور), ولم أعد أتدافع مع الذي يقف أمامي .. بمعنى لم أعد أسيراً للزمن و الوقت الذي كان يُحرّكني و يؤثّر في تحديد تصرفاتي, و لم أعد مهتمّاً لترك المحل دقائق أسرع بعد إنقضاء حاجتي, بينما في المقابل رأيت الآخرين بلا قرار يهيؤن نقودهم أو بطاقة الدفع لأنهاء عملية الشراء بسرعة, بينما الموجات الإيجابيّة التي كنت أصدرها من عقلي؛ كانت هي المسؤولة عن دفعهم للتهدئة مع إبتسامة على الشفاه, و هكذا كانت دائماً و في كل المحافل ذا أثر و ثمر.

إن أعلى مراحل اللذة تكمن في عمليّة المقاربة (شهوة الجنس) و (عملية الإنزال) و لا تتعدى زمنها ثوانٍ معدودة و تنتهي! لكن قمّة ألغليان العاطفي يرتبط بآلأحساس المُنبعث من آلدّاخل و المسمى بآلعشق و هو الوجه الأكمل و آلأجمل من التجربة الجنسيّة - أقصد آلّلذة – عبر العلاقة الشرعيّة التي قد تنمّ عن مولد مبارك .. و ليست اللذة التي تأتي – سواءاً بآلحلال أو الحرام – لكونها وظيفة إجبارية ضمن حكم شرعي صارم .. أو عملية بغاء لقضاء حاجة .. بل يجب أن تصحب تلك العملية ألعشق الكامل و الأرتباط الروحي الممتد .. بدل الإرتباط المادي الطارئ الذي لا يدوم ثوانٍ.

إن آلتّقارب ألجنسيّ بين زوجين هو تجليّ العشق الدّاخلي من الأعماق – من آلقلب و الرّوح – برضى كلا الطرفين المتعادلين, و هذا يدلل على العشق الذي يمتد حتى للأطفال و باقي أفراد العائلة ..

الحياة يجب أن تدار مع علاقات المحبة و الأحترام والتوازن .. لا بتلك الطريقة القسرية الصعبة .. طريقة 2+2 =4, بل يجب أن يطغى المعنى و القيم على الحياة العائلية التي يجب أن تملأ دائماً بآلحب و الوئام و بذلك تسير الأمور بإنتظام و لا يمكن لأية قوة أن تَحطم تلك العلاقة, و النتائج ستكون حتماً إيجابيّة على كل صعيد؛ على صعيد سعادة العائلة ؛ الرّقي الأقتصادي ؛ الأنسجام العائلي ؛ الأنتاج العلمي, و كسب إحترام الناس و المقربيين الذين تأثروا بتلك العلاقات.

إن معرفتي لجوانب هامّة من نفسيّ جعلتني أن أقلّل من حرصي و ميلي إلى التقدم للوصول إلى الأعلى و الحصول على الأمتيازات كآلمنصب و المال و الأمتيازات و هذا الأمر أدى إلى أحساسي بآلأمان و الراحة النفسية و الأستقرار في حياتي .. بل و تطورت أكثر من السابق و تقدمت في مجال أعمالي خصوصا عندما تقترب بعض المواجهات وجهاً لوجه و تصل مرحلة التحدي!
ففي السابق كنت حريصاً كي أغلب المقابل و أخرجه من الساحة لكي أثبت لياقتي و قدرتي , و لكني في السنوات الأخيرة فقدت هذا الميل و حب النزاع و الخصام مع الآخرين – خصوصاً عندما تيقّنت بأنّ وجدان البشر قد تمّ مسخه و تبديله إلى عنصر حيواني بل و أقل من ذلك بحيث أدى به لئن يكون منافقا و دجّالاً و كاذباً يزور الحقائق كآلحرباء لاجل رضا نفسه المريضة!

ما زلت أحبّ كرة القدم و لعبة البليارد و كذلك كرة المنضدة و الشطرنج بحيث غلبت حتى الكومبيوتر مرة واحدة و ذلك من آلمستحيل تقريباً غلبة الكومبيوتر لأنه مبرمج بحسب جميع الحركات التي تقترب من اللانهاية, و على الرغم من كل ذلك أودّ لخصمي الأنتصار كما لنفسيّ, و هكذا لأبناء الآخرين ممن هم من جيلي, بينما في السابق كنت أودّ غلبة أبنائي على أبناء الآخرين, مرّة كنت أدرّس في مدرسة و كان إبني من ضمن التلاميذ في الشعبة, قلت له بصراحة: يا بُني أحب في أعماقي أن تكون صاحب الدرجة العالية و الأول على شعبتك لكن بآلعدالة و الأستحقاق .. ولا أستطيع أن أفضلك على غيرك من التلاميذ بلا حقّ .. لأنّ فلسفتي الكونيّة و معرفتي لا تسمح لي بذلك فإعذرني لو كنت تتصوّر بأني أظلمك أو لا أحبك .. لأني أحبّك مثل

روحي لكني أحب الحق أكثر و أتمنى لك التوفيق دائماً في كل أمر.
لم أعد أنانيّاً و أود للجميع الخير و التوازن في كل شيئ بين البشر .. خصوصاً بعد ما عرفت نفسي و ربي و أنمتي و سبب وجودي في الحياة, ثمّ إنني أكون بذلك التفكير و الأماني الكونيّة قد رفعت مستوى اللعب و القيم و الحياة أكثر فأكثر .. و بشكل لا يُصدّق, و هذه هي القيم التي تسمو معها الروح و تعطي للحياة معنى و للسعادة رونقاً كونيّاً.

في مثل ذلك العالم الهادئ و المنصف و المتوازن؛ حلّ آلتّعاون و السلام محل المنافسة و الأفضلية و على كل المستويات, و تلمسّت نتائجه ألأيجابية عليَّ و على المقرّبين و كل الذين أصادفهم, و آمنت أخيراً بهذا الشّعار:
[في عالم الأنسانيّة(5) لا مكان لمفهوم أو معنى التسابق و المقايسة], الأحداث الخارجية حلوها و مرّها لا ترتبط بي .. إلا بآلحدود المؤثرة في تنظيم العالم أو عدمه, و ما يرتبط بمصير هذا البشر المسكين الذي ما زال يدور في بشريته . .أي في غلافه الخارجي – العرضي – و لا يسعى لكشف جوهره.

أنا أُراقب كلّ أعمالي و نتاجي العلمي و آلأدبي .. فلو رأيت أنها متناغمة و مفيدة لي و للآخرين أحسبه إيجابيّاً و مفيداً و أسعى لتطويره و توسيعه لتعميم تلك الفائدة, و لو كانت ضارّة و تسبب الفوضى و الخراب و الفرقة بين الناس؛ أسعى لأنهائه و تصحيحه لأنتاج الأفضل الذي فيه رضا الله و الناس.

رسالتي في آلحياة تحدّدت في مساعدة الآخرين بإتجاه رفع مستوى الوعي و الفهم و اليقظة بآلشكل الذي يوحّدهم و يُنظّم شأنهم و حياتهم, و هذا بمثابة إدراك و حسّ و وعي يحلّ في هذا الوجود المادي – الترابيّ – أي بمثابة الرّوح التي تحلّ في الجسد!

كما أتجنّب أي عمل يكون سبباً في ضرب أو تخريب الحياة أو التفريق بين إثنين أو جماعتين .. بل العكس أتوكل على الله و على و قوّة النفس الأيجابيّة لخلق جوّ إيجابيّ و موزون و متناغم مع الحياة, و كلّما إستطعنا تحقيق المزيد بهذا الأتجاه نكون أقدر لخلق صورة أجمل للحياة و بذلك يكون الجميع في سعي دائم في طريق الكمال و رقيّ العالم و المشاركة فيه بفاعلية.

أنا في تعليمي لأبنائي ألمحبة و العشق ليكونوا مع بعضهم متحابّيين و هكذا مع الناس و بعلاقتي مع آلحياة الممتلئة بآلمحبة و آلصّدق أتلذّذ كثيراً , أنا فقط أعلّمهم طريق المحبة و هي مكلفة خصوصا إذا كان المحيطين بك لا يعرفون الحب و هذا هو حال العالم كله اليوم للأسف.

أنا و من يحيط بي من أبنائي و زوجتي تعلّمنا كي نبعث أنوارنا الداخلية إلى الخارج و نحب بعصنا بعضاً, ليمكننا أن نعكس ذلك آلنّور على العالم المحيط بنا, لا يوجد بيننا القضاء (لأصدار الأحكام)(ألعتب)(سوء الظن), بآلطبع يوجد بيننا إختلاف في الأنتخاب و الذوق و والوسائل و بعض الأعتقادات, لكن لا يوجد الفرقة و عدم آلأنسجام أو مشكلة لا يمكن أن تُحلّ.

لقد تغييرت اليوم و ما زلت مسؤولاً عن نفسي لمحو الرواسب ألسّلبيّة و السيئة و الشريرة المتبقية فيها و في حياتي .. لأنها النفس(و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها قد أفلح مَنْ زكّاها و قد خاب مَنْ دسّاها), و ليس عن طريق التملق أو المماشاة على الخطأ , بل الذي يصادفني هي تجربة حية لي في ا لحياة و أنا واعي لتفاصيله و موقعي منه ولا توجد قوةتوفقني من نيل ذلك, و إني أتطلع لكل ما أحبّ و أعشق و قد حصلت على هذه المرتبة عندما تحولت من ذلك الشخص الذي كان مستبداً بآرائه و ذو قوانين مطلقة و أحكام سابقة لا مجال لتغييرها, و قرارات ثابتة لا توجد فيها مساحة للتغيير إلى شخص علم أن كل تجربة إنسانية هي فرصة للتركيز على ذلك الموقع الذي نحن فيه و على الموقع ألغير المنظور ألذي لسنا فيه أو لم نصله, و هذا يحتاج إلى أن نتجاوز و نترك بعض المعايير الفكرية القديمة و البالية؛ يعني يجب الألتفاف إلى حالة الوعي التي يجب أن نتملّكه عندما نتعامل على طرق مختلفة و غير متناغمة, و يجب الأنتباه إلى الزمن الذي أعيشه و ما يدور فيه من اللوابس و دوري فيه و كذلك إلى الزّمن آلذي لست فيه الآن.. أي يجب تحريك الفكر عبر كل المواقع والأزمان و إلى أبعد ما يمكن .. لتقرير الصورة الأنسب للحكم أو القرار الذي يجب إتّخاذه.

مثال عام ..
هذا المثال الذي سأعرضه قد يمرّ به جميع أولياء الأمور (الآباء و الأمهات و المربيين), و يتلخص:
[قالت زوجتي إنني فرحة لأن بنتنا إستطاعت أن تحصل على شهادة عالية و تتوظف في الحكومة الفدرالية الكندية و كل هذا النجاح بسبب عنايتي و تربيتي لها]...

فلو كُنت قبل سنوات أسمع هذا الكلام .. لكنتُ أقول لها و على الفور و ربما بلهجة غاضبة: على مهلك؛ إن سبب نجاحها هو بسبب تربيتي أنا و سعي لدعمها على كل صعيد و لستِ أنتِ].
لكن جوابي الحالي – أي بعد الوعي و المعرفة – هو:
[أنا فرحٌ بحصول إبنتنا المُكافحة على هذه النتيجة و هذا بسبب تعاليمك أنتِ], و لكنني في داخل إحساسي و يقيني مؤمن بأنني أنا أيضاً لي دور في هذا, و لكنني لا أعلنه لسببين؛
ألأوّل: كي لا أغدش فرحتها و غرورها و شعورها الآني.
ألثّاني: لأنني لست بحاجة إلى تأئيد أحد لي من الخارج.

إلى جانب ذلك .. أنني أعلم يقيناً و من خلال التجربة؛ أن سبب توفيق و نجاح إبنتنا هو بسبب تظافر جهودنا نحن الإثنان معاً و جهودها هي أيضاً و تضحياتها الكبيرة, إلى جانب عوامل أخرى خارج هذه الدائرة!

إن سعادتي هي لنيل إبنتي المكافحة على درجة النجاح و التعيين الراقي الممتاز .. و ليس للحصول على نقطة لصالحي نفسي, أو لسلب نقطة إمتياز لزوجتي.

لقد تغييرت في داخلي روح آلتّنافس و الضجر و الأضطراب .. إلى حالة من الأمن و الهدوء و السلام و التناغم و هذا عشق غير مقيّد .. بلا قيدٍ أو شرط, و الذي يبدأ من الأنسان نفسه.

و عندما تنفرد في خلوتك مع الصلح و الصفاء و الهدوء ؛ فأنك سوف تصل إلى بُعد رابع ينفتح أمام أفقك – لكن قبل ما تتمكن من الوصول إلى هذا المقام – ربما تبدي شيئا من الركون و المقاومة مقابل تحقق هذا الهدف الجديد و هذا الفضاء الواسع الرحب , أي العبور إلى فضاء أرحب خارج هذا الجسم المحدود أو ما بعده.

---

(1) لقد صوّر الشّاعر صائب التبريزي في أحدى غزلياته برقم 539, خير تصوير لهذه الحقيقة معبّراً بآلقول:
ياد أيّامم كه در تن جان ما منزل نداشت .. موجه مطلق عنان ما غم ساحل نداشت
پرده بيگانگي در بحر وحدت محو بود .. رشته مو از حباب اين عقده مشكل نداشت
روز و شب در پرده هاي شرم خود مي كرد سير .. ليلي صحرايي ما خانه و محمل نداشت
خوش نشين باغ و بستان بود چون آزادگان .. سرو ما از تنگناي جسم، پا در گل نداشت
خرده هاي جان ما از شوق چون ريگ روان .. فكر دوري و غم نزديكي منزل نداشت
برگ عيش ما ز احسان بهار آماده بود .. سرو ما از بي بري بار جهان بر دل نداشت
در بهارستان بي رنگي، گل بي خار ما .. خار در پيراهن از انديشه باطل نداشت
نه غم ابري و نه پرواي برقي داشتيم .. هيچ كس از خانه ما چشم بر حاصل نداشت
بود در دارالامان خامشي آسوده دل .. شمع ما انديشه فانوس يا محفل نداشت
بود در دارالامان خامشي آسوده دل .. شمع ما انديشه فانوس يا محفل نداشت
كار بر ما چون حباب از خودنمايي تنگ شد .. ورنه تنگي ره در آن درياي بي ساحل نداشت
نوبهار بي خزان معرفت در هيچ عهد .. بلبلي آتش نفس چون صائب بيدل نداشت.
(2) لمعرفة الفرق ؛ بين العقل الظاهر و العقل الباطن؛ راجع بحوثنا في كتاب الفلسفة الكونية و كذلك : [أسفارٌ في أسرار
(3) هو العالم السويسري المعروف Carl Jung الذي عاش في القرن العشرين. الوجود].
(4) Buck Minster Fuller.
(5) الفلسفة الكونيّة حدّدت مدار البشرية بآلمرحلة الأولى التي يجب تجاوزه للدخول في العالم الروحي, ثمّ السّعي للأنتقال إلى المرحلة الأخرى و هي (الأنسانيّة) بعد تحلية النفس و الروح بآلفضائل و القيم, هذا تمهيداً لدخول مدار (الآدمية) و هي المرحلة المطلوبة لتكون خليفة الله في الأرض – للتفاصيل راجع فلسفتنا الكونية, كتاب:
أسفار في أسرار الوجود – الجزء الثالث.

لماذا كل تلك المقاومة أمام الأصل؟

لماذا كل تلك المقاومة أمام الأصل؟

طالما سألت نفسي و ناقشت الكثير و كتبت مئات المقالات أيضا بخصوص رفض الأنسان التغيير .. بل والمقاومة للبقاء على معتقداته القديمة التي توارثها من الآباء و الأجداد و التي كانت ربما رائجة في وقتها!؟

لماذا يقاوم البشر أمام ه1ه الحالة الحياتية الحية و المطلوبة لكل من يريد معرفة الحياة و الوجود و الوصول إلى العلا في نهاية المطاف عبر الأسفار الكونيّة!؟

معظم الناس – إن لم نقل كل الناس – ربما يعتقدون بآلغيب .. لكن إعتقادهم شكلي و ظاهري ليس فيه عمق و لا معرفة, و قد يؤدي لأجل ربّه المزعوم الصلاة و الصوم و العبادات و يتهجّد بإلهه المزعوم و ربما يدعي لذلك الرب الخيالي .. لكنه عمليّاً و سلوكياً لا يؤمن إلا بنفسه!

بصراحة و قبل كل شيئ : يجب عليك أيها الطالب معرفة حقيقة هامّة هي؛ أنك ما دمت تُؤمن بأنّ وجودك هو هذا الجسم فقط؛ فإنك لا و لن يمكنك دخول ذلك العالم (الأصل) الواسع و الرّحب الذي إنقطعت عنه و أنت في غفلة منه, ولا يمكك حتى معرفة مقدماته و أحواله و طبيعته, و ماهيته!

لذا عليكم التأمل عميقاً في هذا الموضع الذي يُحدّد سعادتك في حال دركها و معرفتها أو شقائك في حال عدمها!

و إعلم و أنت في بداية الطريق أن جميع العوامل التي تمنع تحقيق هذا الأمر ينحصر في الجسم الماديّ و ملحقاته, ففي هذا المدى المادي – الجسمي – ألترابي يمكنك أن تتصور أن جميع الناس هم أسعد منك , بل هم ولدوا مع مزايا و إمكانات قد حُرمتم أنتم منها, و بقيتم تعانون دونهم .. هذا القصور السلبي ناتج عن إنعماسنا في العالم المادي و بعبارة أدق صرنا أسرى هذا الجسم المادي و لم نعبر حدوده رغم تسببه بأسرنا, وقد قال الشاعر واصفاً سعي الأنسان لذلك بقوله:

يا خادمَ الجســمِ كمْ تَشـقَى بِخِدْمَتِـهِ .. أَ تَطْلُبُ آلرِّبْـحَ فيما فيه خُسـرانُ
أَقْبِلْ على آلنفسِ و اسْتكمِلْ فَضائِلَها .. فَأَنْتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنسـانُ

لتجاوز تلك الحالة – حالة الحرص و السعي المفرط لتأمين الماديات – يتطلب تهيئة الذهن لتقبل الآراء و النظريات الجديدة, و لا تنسى أن أُنسِنا مع آلأفكار و المعتقدات التي تآلفنا مها زمناً طويلاً هو أسهل و أفضل و أريح لجسدنا, فمعها نحسّ الأمن و الراحة و بسبب إحتياجنا لحفظ هذا الأمن و هذا المسعف المريح ؛ فأننا نرفض الأفكار الجديدة ذات الأبعاد الكبيرة و المديات الواسعة التي تحتاج لتضحيات كبيرة من أجل موضوع كبير يتعلق به المصير .. و إلا ما كان : [تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين عاماً]!

و لهذا لا يُحبّ و لا يجهد الناس أنفسهم بآلمطالعة و الدّرس و البحث و القراءة(1) ألّتي من خلالها نحصل على الأفكار ألجديدة و العميقة بقدر همّة وإستيعاب و ذكاء القارئ, ثمّ أنها(المعرفة) تحتاج إلى السهر و التعب و التضحية إبتداءاً بآلأعتماد على الفكر و الخيال الخصب, لكن النتائج تكون مذهلة لحصولك على ثمار عظيمة, لأنّ [أشجار الحكمة لا تنمو سريعاً .. لكنها تُثمر طويلاً]!

و يجب ملاحظة نفوسنا أثناء التدرّج في آلعلم, فآلكثير من طلبة العلم يصابون بآلتكبر و الغرور و آلوقوع في الشطحات و المطبات و الإبتلاآت و الأوهام, و السّبب هو كما يقول الأمام محمد الباقر(ع) إبن الأمام السّجاد زين العابدين (علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب):
[ألعلم ثلاث درجات؛ أوّله تكبّر و ثانيه تواضع و ثالثه علم أنه لا يعلم شيئاً].
فمثلاً مع الدرجة الأولى يحصل على شهادة جامعية (دكتوراه) فيتكبّر على الناس و يغتر لإعتقاده بأنه وصل القمة, و حين

يبدأ بآلتّعمق قليلاً في العلوم التي درسها تنحني قامته و يتواضع أمام الحقائق والأسئلة الكبرى بعدما يكشف جهله و عدم قدرته على الأجابة, و لكنه عندما يتغلغل أكثر فأكثر في الأسس و المعالم و ماوراء تلك العلوم ؛ يعلم أنّه لا يعلم شيئاً!

الحقيقة التي يجب تحقيقها و ألتركيز عليها ؛ هي البحث و السير في طريق كشف المعارف ثمّ الرّجوع إلى نفس المكان الذي بدأنا منه.

و لمعرفة المعارف الكونية يجب علينا إستخدام العقل الباطن الذي يسنده قوى غيبيّة بجانب القوى الباطنية التي لا يجهلها الناس و لا يستفيدون منها, و هذا يساعدنا على تهيئة الذهن و فتح آفاق الحياة والوجود أمامنا.

إن العنوان الكبير لموضوع هذا الكتاب كان من المقرر أن يكون: [تيقّن ذلك لتراه],
لكني رأيت أنه من الأسهل للفهم أن نجعله: [أنني أؤمن حالما أرى ذلك بلا شك], لكن بدخول (البلاغة) على الخط, غيّر الأمر كما لاحظتم, لأن البلاغة هي أختصار في الكلمات و سعة في المعنى, إلا أنه يحتاج إلى الشرح و البيان لفهمه و درك أبعاده.

مشكلة الناس هي أنهم لا يريدون التحرك ولا يحاولون وضع أقدامهم خارج تلك الحدود التي أحسّ (أنا) فيها الراحة و الأمن و لاأستقرار, و أنتم أيها الأحبة القرّاء في أعماق قلوبكم توعون هذه الحقيقة من أن الحياة لا تعدّ أن تكون سوى هذا العالم المادي المطلق و إن العلم لا يستطيع أن يجيب على أسئلة مصيرية مثل:

- من أين أتينا؟
- كيف أتينا ؟
- و لماذا أتينا ؟
- وإلى أين أتينا؟
- مع مَنْ أتينا؟
- و إلى إين نرجع؟
- و لماذا نعبد الله و هو غني عن العالمين .. و غيرها من الأسئلة المصيرية؟

و رغم كل هذا الوعي المبهم و اللامتناهي ؛ فأنك قد ترجّح مواجهة الموضوعات التي بإمكانك مشاهدتها و لمسها بآلحواس , و هذا الأمكان يتحقق في حدود المادة و الجسم و العالم المرئي فقط.

أما العالم الغير المادي ربما يكون لكم مخيفاً و مهيباً و ذو أسرار و رموز و عجائب و مع هذا الوضع تتحسس بأن هذا الوجود لا يتعدى أن يكون سوى ما نراه و نعيشه و نلمسه من خلال هذا الجسم الترابي!

في آلبدء تبدو عملية الأنتقال من عالم طالما إتّكأت عليه لسنين طويلة و تعرّفت على تفاصيله و سعيت لخدمته وصرفت الكثير من وقتك و وجودك عليه حتى صار يشمل كل وجودك – لذا تبدو عمليّة ترك هذا العالم أو العبور منه إلى عالم يحقق لك الوصال مع أعماقك لتتعرف على خفايا نفسك و وجدانك ليست سهلة, رغم أنه – أي وجدانك – أو ضميرك أو باطنك هو المكان الداخلي الحقيقي الذي تتحسس فيه كل شيئ لأنه مخزن جميع ألأفكار و الأمنيات, و حقاً ليس سهلاً الولوج لهذا العالم المرموز و تحمّل مسؤوليات تلك التجربة بشكل كامل!

و ربما لهذا السبب تتراجع عن عمل لا يمكنك فهمه و إستيعابه .. خصوصاً للمبتدئين بمثل هذه الأسفار الكونية, و هذا الأمر يشبه بآلضبيط عمل النعامة عندما تضع رأسها تحت التراب حين تحس الأخطار من حولها ظناً منها أن ما لا تراه لا وجود له.

و هذا آلتّعامل هو عينه الذي يتعامل به الأفراد مع نفوسهم قائلين لها: [دع تلك الأمور التي ترتبط بآلأبعاد المعنوية و الروحية لأهلها – في إشارة إلى الرّوحانيين في الحوزات و الكنائس و المعابد – ليُعبّروا عنها في خطبهم .. و أنا – أيّ الفرد الساذج – لا تربطني بهذه الأمور رابطة , دعني أعمل و أنشغل بعمليّ و أمور حياتي اليومية لتأمين لقمة الخبز و دفع

الأقساط الشهرية والفاتورات المختلفة لتمضية شؤون حياتي .. و إن جميع الأمور المتعلّقة بآلأفكار العرفانية و الرّوحانية تتعلق فقط بآلمفكرين العظماء و قادة الدّين و التصوف!!

و لكنك لو أردت معرفة الخطاب الروحاني للأساتذة الكبار فأنهم يؤكدون كلاماً واحداً هو :
[إن مسير آلجّنة هو في أعماقكم , و لا تطلبوا من الله ليحقق لكم تلك المسؤليات التي هي من مسؤوليتكم].

و إن الله تعالى قد بيّن لكم الخير و الشر و الامر يتعلق بكم و بمدى إلتزامكم بذلك و سعيكم و كدحكم , و في نفس الوقت علينا أن لا نغفل عن حالة الإرتباط و القوة الروحية الألهية التي أودعها الله في داخلك, تأمّل و تفكَّر في نفسك, و إسرح في عالم النفس و تأمّل و راقب سلوكك, فبدون نفسك و مع الغفلة لا يمكنك تحقيق شيئ.

قد يتصوّر البعض أن السعي لتحطيم النفس و كما يفعل المرتاضون في الهند و غيرها؛ هي محاولة للتعالى و السّمو إلى جانب نبذ بعض التعاليم الدينية و المذهبية للوصول إلى الحق و أداء رسالة الحياة؛ لكن كل هذا هو عكس الحقيقة و يخالف جميع التعاليم السّماوية و وصايا علماء الدّين, و هذا لا يعني أساسا كبح جماح النّفس أبداً ...
الذي نقصده من كبح جماح النفس و الإفراط في الشهوات و حب المال و الحرص على الدّنيا؛ هو تسخير أنفسنا و قوانا بإتجاه العشق ألكونيّ أي المحبة الألهية و الصلح و الصفاء و تحقيق الوصال بين الأحباب و بين الجماعات و حل مشاكلهم الشخصية و أحترام تصرفات الآخرين و مواقفهم مع بعضهم البعض و بآلتالي تحقيق التناغم في العالم على كل صعيد, بحيث يتوحد البشر جميعاً للقضاء على التكثر و الأنشطار السائد الآن حتى بين العوائل و الأزواج.

و الجدير بآلذكر في هذه المناسبة؛ أن الرّسول (ص) أوصى الناس بحديث حكيم للغاية يخصّ الجار (2) حيث فرض على رعاية حقوق الجيرة حتى الجار الأربعين .. و لو طُبّق هذا الحديث لوحده لتوحد العالم .. كل العالم بشكل طبيعي و بلا تكليف و إمكانات و قوات و حكومات و أجهزة رقابيّة و إدارية و أمنية لتحقيق الوصال و رعاية حقوق الجار و الأهتمام به كثيرة, حتى عدّه الأسلام و كأنه جزء من عائلتك, بل و يرثك(3), و قد فصّل (ص) الكلام بهذا الشأن أكثر حين قال:
[الجِيرانُ ثَلاثَةٌ: جَارٌ لهُ حَقٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَدْنَى الجيرانِ حقًّا، وجار له حقَّان، وجَارٌ له ثلاثةُ حُقُوقٍ، وَهُوَ أفضلُ الجيرانِ حقا، فأما الذي له حق واحد فجار مُشْرِكٌ لا رَحمَ لَهُ، لَهُ حق الجَوار، وأمَّا الَّذِي لَهُ حقانِ فَجَارٌ مُسْلِمٌ، له حق الإسلام وحق الْجِوارِ، وأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلاثةُ حُقُوقٍ، فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحِمٍ لَهُ حق الجوار وحق الإسلام وحَقُّ الرحِمِ].

ألحديث أعلاه يعني حقوق الجار في الشريعة الأسلامية كآلتالي:-
ألأول: جار له حق واحد: وهو حق الجوار، وهو الجار غير المسلم، ولا تربطه بجاره صلة قُربى.
ألثاني: جار له حقّان: حق الجوار والإسلام، وهو الجار المُسلم، ولا تربطه بجاره صلة قربى ورحم.
ألثالث: جار له ثلاثة حقوق: حق الجوار والإسلام والقربى، وهو الجارُ المُسلم من الأقارب.

و هذا هو الدّين آلحقّ, لا دين بعض المدّعين الذين يلغفون حقوق الناس باسم الدين و الوطن و الدعوة و الأنسانية لأنفسهم و عوائلهم, ولا أقصد أية إهانة للموضوعات الدينية أو العقائدية المذهبية, إلا البعض من الذين يتلاعبون بآلدين و الحقوق لأجل مصالح دنيوية و بآلتالي يكونون سبباً لتحريف الدِّين, و لا أرى أي نقصاً في الرّسالات السّماوية سوى ما أجري عليها بعض التحويرات و التغييرات بسبب الحكام و بآلتالي فرقوا أهل الدين الواحد إلى مذاهب و شيع و أحزاب و كل حزب بما لديهم فرحون.

كل الدّيانات السّماوية تؤكد على المحبة و التواضع و رعاية الحقوق و تهذيب النفس, فكلّ موجود هذّب نفسه و تعالى عن الخطأ لا يمكنه أن يكون قاسياً أو غير مهدياً مع الآخرين.

ربما البعض يحس العجز و كأنه وصل لآخر الخط, و أنه لا يمكن العبور إلى مدى أوسع , ولا يسعه تحمّل الأذى و المشاق في طريق العبور و التنقل لأداء بعض الواجبات و المهام؛ و قد لا يمكنك تصوّر الشخص المطلوب الذي أنت بصدد البحث عنه, و هذا لأنك لا ترى بنفسك قوّة روحيّة للتحول و العمل و التغيير من حالة الركون إلى حالة اليقظة و الأنسان الجديد, و

تميل للعيش مستمراً في الحالة التي أنت عليه و التي ألفتها من زمن طويل بسبب تلك الأفكار و المؤثرات القاهرة كآلسّحر مثلاً ..

ألناس .. عموم الناس ربما لا يريدون تحقيق التغيير بسبب حالة الخمول و الكسل وقلة الوعي و تفضيل ألأستمرار على ما كان عليه, لكنني على يقين رغم حالكم و عجزكم بأنكم لو لم تكونوا تحبون التحول و السّمو و إمكانيّة التّحول إلى العالم الرّوحي من العالم المادي الذي طالما تعودتم عليه؛ فإنكم لم تكونوا تقرؤون هذه السطور الآن – بآلأضافة إلى أنّ المسافة الفاصلة بينك و بين الهدف لم تعد كبيرة, و ما هي إلا خطوات و أنت تعبر الجسد المادي, فبمجرّد إيمانك بأنّ حياة الأنسان هي ليست فقط مجموعة من العظام والدم و اللحم و العروق الذي يضمها هذا الجسد؛ فإنك قد وقعت على الطريق الصحيح بإتجاه الهدف الأسمى و الأعلى المنشود.

و بمجرد علمك و معرفتك بوجود و حلول قوّة الفكر و الوعي كاملاً و جامعاً بداخلك و التي تمثل بمجموعها الجانب الإلهي ألرّباني فأنك تكون قد أشرفت على حالة التعالي ألرّوحي و التحول الكبير .. و البقية ستأتي تباعاً و تتحق بشكل طبيعي للوصول إلى مدينة العشق و الصفاء و الخلود بآلكامل.

---

(1) القراءة هي آلخطوة الأولى من الخطوات الكونيّة السبعة لنيل درجة العارف الحكيم, و هي بآلترتيب :
قارئ – مثقّف – كاتب – مفكّر – فيلسوف – فيلسوف كونيّ – عارف حكيم.
(2) ما رواه جابر بن عَبْدِ الله -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: [الجِيرانُ ثَلاثَةٌ: جَارٌ لهُ حَقٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَدْنَى الجيرانِ حقًّا، وجار له حقَّان، وجَارٌ له ثلاثةُ حُقُوقٍ، وَهُوَ أفضلُ الجيرانِ حقا، فأما الذي له حق واحد فجار مُشْرِكٌ لا رَحِمَ لَهُ، لَهُ حق الجَوار، وأمَّا الَّذِي لَهُ حقانِ فَجَارٌ مُسْلِمٌ، له حق الإسلام وحق الْجِوارِ، وأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلاثةُ حُقُوقٍ، فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحِمٍ لَهُ حق الجوار وحق الإسلام وحَقُّ الرحِمِ].
(3) أكدت الشريعة الإسلامية أن للجار حقٌ عظيمٌ بحقّ جاره يحدّد سعادته و مصيره في الدنيا و الآخرة و قد فصلت و أجملت حقوقه في 20 نقطة، كأبرز الواجبات حيال الجار وهي كما يأتي:
1- الإحسان إليه قَولًا وفعلًا.
2- حمايته و تأمينه.
3- ردّ آلغيبة عنه.
4- حفظ سرّه.
5- مشاركته أفراحه.
6- مواساته في مصائبه و أحزانه.
7- تلبية دعواته.
8- زيارته في الظروف الطبيعية.
9- عيادته في حالة المرض.
10- تفقّده وتلبية احتياجاته عندما يفقدها مع القُدرة على ذلك.
11- منع الأذى عنه بِجَميع صُوره.
12- مساعدته في حلّ مشاكله.
13- إقراضه المال إن احتاج وكنت قادرًا عليه.
14- ألسّعي في الإصلاح بين الجيران المُتخاصمين.
15- مشاركته العلم و الاستفادة معه.
16- مصاحبته إلى المسجد إن كان مسلماً أو الكنيسة إن كان مسيحياً.
17- مُصاحبته إلى مَجالس العلم.
18- إحسان الظّنّ به.
19- ألصّبر على أذى الجّار.
20- مبادرته بآلسلام عليه. في الختام من الجدير بآلذكر أيضا القول: إذا كان واجبنا تجاه الجار هكذا؛ فكيف هو واجبنا تجاه

عوائلنا كزوجاتنا و أطفالنا و أرحامنا!؟

ألوسائل ألموصلة لما وراء آلمادة

ألوسائل ألموصلة لما وراء آلمادة

ألوسائط و الوسائل التي تؤدي للعبور إلى ما بعد الجسم الماديّ:

ألأوّل:
أهم نقطة للتمهيد إلى العبور ؛ عليك أن تُصوّر نفسك و آلآخرين بصورة روح خالصة كأساس في حياتك بعيداً عن الجسد الماديّ, وحاول كل يوم أن تؤكد هذه الحقيقة في نفسك و لو لِلَحظات .. البعد الروحيّ غير المادي أو الجسمي, و أنه بمثابة الطاقة الكهربائية التي لولاها لتعطلت جميع الأجهزة و لإنطفأت الأنوار و المكائن و الآلات و لشلّت الحياة!

بمعنى وطّن نفسك بأنك فكرٌ و أحساسٌ محض و شرفك الذي يمثل كرامتك هو الأصل و آلأساس, و هكذا شوّق آلآخرين على ذلك بروح صافية بعيداً عن التعلّقات المادّية و في مقدّمتها (الدّولار), ولا تجهد نفسك فوق طاقتك لتهين كرامتك لأجل كسبه, لأنك لو فقدت كرامتك(شرفك) مرّة واحدة ؛ تصبح الأهانة عندك مسألة مألوفة و عادية جداً بحيث تجرّك تلك الحالة للنفاق بشكل طبيعي, بل و التلذّذ في أكل لقمة الحرام مع الذّل, و كما هو حال أكثر الشعوب المحكومة بآلمستكبرين في عالم اليوم.

ألثّاني:
حاول أن تُجرّب التمرين الآنف الذكر مع آلآخرين, و إنتبه كيف أنك مع تركيزك على جسمك المادي؛ أنك تقضي على قواك الخفية لنيل اسعادة و حسن العاقبة ..
راقب بدقة حركات أجسامهم و آلشقاء البادي عليهم و تصوّر دائماً أن هذه الحركات غير مجردة .. بل وراءَها روح غير مادي و قوة مفكرة خافية .

في علاقاتك القريبة مع معشوقك (زوجتك) لا توجد حدوداً أو علامات خاصة , و هي نفسٌ مخبّاةٌ في ماوراء ذلك الجسم , و في هذا المعنى فأن الفروقات و ألأختلافات المرئية لا أهمية لها, و إن تلك آلنفس الكامنة وراء ذلك الجسد الترابي هو أكبر و أبعد من ذلك الذي رآه أو تراه عيونك, و لذا ركّز و إسعى لأيجاد و تقوية الأتصال مع هذا القسم و هذا الجانب المعنوي.

ألثالث:
حاول أن تتعمّق و تغور في أعماق الأبعاد الأخرى في حياتك العادية و العادات التي ألفتها و إرتحت لها, و إأنتبه إلى ندآآت الداخل – ندآآت الروح – ندآآت ألضمير – المنبعثة من أعماقك و ألتي تشدّك و تدعوك لتعالي النفس و تزكيته بعيداً عن ذلك الجسم و القديم المتهرئ و الذي يقول لك : إنك غير قادر على تحقيق هذا الأمر , ثم إسأل نفسك لتحدد من خلالها أية عادة قديمة تآلفتها و وافقتها كجزء هام من وجودي و عندما تحصل من الوجدان – الذي هو صوت الله في وجودك - على جواب منصف و إلهي سليم عندها حاول أن تختار فكراً و طريقاً جديداً و إعلم أنّ عدم نجاحك في السابق لتحقيق هذا الأمر كان بسبب تصورك أن كل فكرة أو تصور جديد؛ كان يبدو بمثابة تهديد لزعزعة الهدوء و التعادل الفعلي الموجود فيك.

لذا عليك أن تعاهد نفسك لتحقيق ذلك .. لخلق رؤى و آفاق و أبعاد جديدة في طريق الرّقي و التّعالي.

ألرّابع:
لا تبرز وجودك الأنسانيّ من خلال تعريفات أو عناوين خاصة , لقد كنت في السابق أعرف نفسي من خلال عنوان عملي أو غيرها من الختام. فعندما يسألني أحد اليوم ما هو عملك؟
أجيبه: [إنّ عمليّ هو آلتّلذذ بآلحياة].
لكن في أعماق هذا الجواب ألسّاذج يختفي آلاف المعاني و الحكايات.

أنا أفعل كل شيئ, لذا أنا كل شيئ, صحيح أكتب المقالات و أؤسس لنظرية فلسفية جديدة للحياة, و لكن رغم أهمية هذا العمل .. إلا أنه جزء من حياتي و ليس كلّه!

و هي لا تعدو أن تكون سوى وسيلة لأبراز أفكاري لا أكثر .. و كذلك المحاضرات التي ألقيها هنا و هناك أو من خلال وسائل التواصل الأجتماعي هي نفس الشيئ .. لكني لست خطيباً .. بل لا أريد أنْ أُعرف أو أحَدّدْ بهذا العنوان الذي لا يناسب شأني الكونيّ.
أنما ذلك هي وسيلة للتعبير عن إنسانيتي و بآلتالي رأيت أن حذف العناوين و لاألقاب تجعلني حرّاً طليقاً و تخرجني من الركون ضمن جدران أربعة أو قفص محدد الأبعاد ضمن قالب فكريّ خاص .. لان ذلك سيؤدي إلى خنقي و التضيق عليَّ و على فلسفتي الكونيّة, بل بمرد أطلاق صفة معينة عليّ فإنني أتَبَدّل إلى إلى موجود خنثى و خالي من أي نفع, إنّ جميع الصّفات و الألقاب التي تنسب إلينا ترتبط بشكل أو بآخر بوجودنا المادي, و عندما تصبح جميع تلك العناوين المادية لا قيمة لها في حياتنا المحدودة؛ كآلأختصاص ؛ الرئاسة؛ العمر ؛ ألجنسية؛ القومية؛ المستوى المادي – المالي؛ الألقاب؛ العلامات؛ الصفات الجسمية؛ التناسب و اللياقة البدنية, أو أية صفة أو عنوان آخر ؛ عندها يساعدنا هذا الأمر لتعرف نفسك عبر أفق آخر أوسع و أكبر و أشمل, و بذلك تدخل ضمن الأبعاد الروحية و المعنوية الكونية الأوسع مدى.

فلو أردت أن تعرف نفسك .. يجب أن يكون هكذا :
[أنا وعيتُ آلحقيقة المطلقة و لي إتصال بآلعقل الكلي و الجمال و الكمال الكونيّ, تلك اليقضة المطلقة ألتي هي أساس ألعالم المادي و حاميه و موجّهه؛ لذا أنا جزء من كل هذا الكون ولا تحدني الصفات والحدود و الشكليات و لست مجزّءاً أو مقسّماً فيه, بل أنا غارق في ذلك الوجود اللامتناهي و متحد معه.

ألخامس:
عليك أن تتلقى فكرتك هذه بنظرة غير مادية , بل هي ظاهرة جديدة و ذو معاجز – و إعلم أن فكرك يمكنه أن يذهب أبعد من جسمك المادي .. بل إن الجسم تابع لذلك الفكر .. بل لا أجانب الحقيقة لو قلت بأن فكري يؤثر في كل الكون لأني جزء منه.

تصوّر أنك تلمس بيدك ليمونة و تريد أكلها فإن ردود فعل معيّنة ستؤدي إلى إنبعاث اللعاب من فمك كردّ فعل على الحامض(1) الموجود في الليمون, و هو لما يدخل الفم بعد , أن هذا الفعل و رد الفعل الموهوم هو بسبب تأثيرات الفكر , و هذا العملية هي خلاصة عملية التّحول التي نحن بصدد بيانها للذهاب إلى ما بعد المادة و ما ورائها من أسرار , و الجسم المادي !
أنّه آلفعل الذي أدّى إلى إحداث ردّ الفعل في الجسم المادي .. وهذا هو (الهيبوتيزم) أو (التنويم المغاطيسي) ألذي يحدث بسبب التّماس مع تلك الحالة الذهنية و التي تؤهلك للذهاب إلى ما هو أبعد من هذا الجسم الماديّ .. لتتعالى و تسموا أكثر فأكثر ..

فمثلاً يمكننا أن نتجنب علامات و مواضع الألم و حتى الأفكار السلبية المؤثرة و ذلك و ذلك بآلعبور بإحساساتنا إلى ما هو أبعد و أوسع مما يحيط بآلجسم ألماديّ, و هذه ألقوّة ألخفيفة تصاحبنا على الدّوام.

ألسّادس:
حاول أن تمرّن نفسك يومياً لتطهير فكرك و ذهنك من عاملين مانعين لأرتقائك و إنماء البعد الروحي فيك و هما:
- ألتّجرّد من السّلبيّة و السّبق ألقضائي على الأمور, فكلّما كان الجانب السلبيّ فيك قوياً ؛ كلما ركنتَ أكثر و إتّكأتَ على جسمك و حواسك الظاهرية و جسمك الماديّ, و لهذا السبب تكون مهيئاً بإتجاه تخريب وجودك الماديّ .. لأنّ كل فكرة سلبية(ضد الآخرين) يكون مانعا على طريق التغيير و التعالي و نمو الشخصية فيكم .. بآلضبط كعمل الكولوسترول الذي يؤدي إلى إنسداد مجرى العروق في الجسم ليحول دون مرور الدم فيها و إنسداد الشرايين الدموية و التي قد تؤدي إلى مضاعفات و إلى السكتة القلبية أو الدّماغية.

فعندما يكون وجودك ممتلئ بآلأفكار السلبية ؛ فإن هذا سيكون مانعاً في طريق إرتقائك بسلوكك لطرق المعرفة لنيل السعادة و الرقي و التعالي.

إن الأصرار على إصدار الأحكام و القضاء ضد الآخرين سيكون مانعاً أمام سلّم العبور إلى حيث الرّوح و عالم السعادة و الأمل .

و في الحقيقة إنك عندما تصدر أحكامك علىالآخرين ؛ تكون في واقع الأمر قد وصفت نفسك و ليس المقضى بحقه في المقابل!
إنّ أحكامك القضائية ضدّ آلآخرين لا تمثل في الواقع حقيقة ألآخرين بقدر ما يُعبّر عن حاجتك أنت إلى إبراز تلك الصورة عن طريق قضائك بحقه, و لذلك فأن الأحكام الصادرة هي أحكامٌ بحقك قبل ما تكون أحكاماً على الآخرين, و كذلك تعتبر عملية أصدار الأحكام ألفجائية بحقّ الآخرين من منطلق فكري معيّن و في لحظة معينة إنما تعبر بشكل من الأشكال عن تطابق نفسك و مساواتك لها مع الشخص المحكوم عليه.

إنّ الذي يؤذينا على الأغلب من الآخرين هو إننا نهمل أو نغض النظر أو نتناسى مجموعة من الصفات الذاتية و التي تبدو كسلوك عادي, و لا نقبل بل و نرفض التفكير لمعرفة الحاجات التي تتطلب وعيها و دركها للتعامل مع ذلك, و الأفضل يجب هذه المرة و بدلاً من أن تبدي ميلاً لفرز و تعداد معايب الطرف الآخر كرد فعل على سلوكه؛ بدل هذا, حاول أن تعرف سبب ميولك و حاجتك إلى إصدار الأحكام على الآخرين!

و بعد مدّة و بدلاً من الأصرار ألسلبي و أإطلاق الأحكام جزافاً و بلا فائدة أو تأثير على الآخرين ؛ فأنه؛ يحل مكانه النظرة المملوءة بآلعشق و المحبة و التّحايا ألمنبعثة من الداخل , لأجل حلّ و رفع العقد المستقرة المُعشعشة بداخلنا, و سيتسبب برفع الموانع النفسية و حالة الأنغلاق و العداء الذي قد يتولد بسبب ذلك.

لأجل تحقيق حالة أسمى من الوعي و اليقظة و النباهة يستلزم الأيمان بآلقانون (الذهبي) – أيّ يجب إعمال نفس القوانين و الأحكام التي تصدرها بحقّ الآخرين على أنفسنا.

و برعاية هذا ا لمبدأ (القانون الذهبي) سيتبيّن لك عاجلاً أن هذا العالم هو نفس العالم السابق, و آلذي تغيير فيه هو أنت, لأنك تبدّلت إلى أنسان آخر؛ إنسان في واقع متميّز و واعي و مكانة عالية , و هذا يتمثل فيك من خلال إحساس كبير و تركيز هادف لحياتك من الدّاخل .. من أعماق النفس!

ألسّابع:
غيّر طريقة تعاملك مع وجودك المرئي أو مع جسمك و حآله مع دراسة شافية .. و بعد تبيان ا لموضوع و معرفة القضية ؛ سترى نفسك تدريجياً أكثر تعادلاً و تحسّناً, و سوف تغيير من العادات و التمارين الرياضية و الرّجيم الغذائي, لينقص وزنك و كذلك ستتترك التفكير ألسّلبي و عادة إصدار الأحكام على الآخرين و القضاء بحقهم و كذلك العادات السيئة التي إبتليت بها مع جسمك بسبب (الأنا)(2) و ستتلذّذ بآلغذاء الذي ستأكله و ستعلم أن هذا الذي تأكله هو لحفظ و بناء وجودك الذي ضمّ روحك و أحاسيسك في ثناياه, و ستزول و تُمحى كل عادة سيئة كنت تمارسه من قبل و أدى إلى تسبب آلام و أعراض في جسمك .. بل ستحترم جسمك الذي ضمّ روحك و كيانك و سيتضاعف نشاطك و أنتاجك بشكل سليم و مضاعف لأنّ جسمك و وجودك و عقلك الباطن سيعمل كوحدة واحدة و بإتجاه و هدف واحد, لتحقيق رسالة الحياة.

ألثّامن:
خصص زمناً معيّناً للتأمل والعبادة اليومية لأنها بآلأضافة إلى أنها واجبات ستنفع يوم القيامة فأنها بمثابة Medeatation كذلك التركيز في التأمل في النفس كواحدة من الوسائل النفسيّة القويّة , كجريان النفس في البدن, و كل واحد يجب أن يبدع طريقة خاصة به للتأمل , أما طريقتي (أنا) فهي كما سنعرضه أدناه لعلها تفيدكم:

كثيراً ما أذهب إلى مكان هادئ و خالي من كل شيئ؛ أعرض عيني و أتخيّل نفسي في عالم الخيال؛ دائرة كبيرة مملوءة بآلنور و مشعشة بآلضياء القوي؛ كل فكرة و خاطرة يتعرّض إلى النور و يتأثر بهذا الشعاع, فيطرد إلى الخارج.

بعدها ينتج عن تلك العمليات حلول الأمن و السلام و ا لطمأنينة في كل كياني و وجداني بموازات ظهور هذه الحالة في وجودي و داخلي بآلذات, فإني أرى نوراً بيضاء في وسط ذلك النور المنتشر و أتحسس أنني أتقرب شيئا فشيئا من ذلك النور الأبيض .. لأصل في آلآخر إليها و أدخلها و كأني أدخل مدخلاً جديداً و وسيعاً لا حدود له, و في هذه الحالة(المرحلة) أتحسّس بقوة عظيمة و تسلطاً على كل شيئ و كأني مملوء بآلطاقة و إنّ العالم – كل ا لعالم – من حولي ممزوج بآلنشوة و آلرّاحة التامة بآلشكل الذي يخيّل لي و كأنيّ نمتُ ثمان ساعات متصلة!
و بعد الأنتهاء من هذا التمرين أرى نفسي قد إرتبطت بجميع أبناء البشر و كل المجتمع الأنساني و في الواقع أن تأملي هذا في النفس يمثل إتحادي بآلأبدية و الخلود, ذلك أنني متحرّر من هذا الوجود الترابي و هذا الجسد الذي يمثل السجن بآلنسبة للروح.

و بمجرد آلأنتهاء من هذا التمرين؛ أرى نفسي قادراً على أداء أي عمل كان و قسم كبير من محاضراتي و مقالاتي و دراساتي هو نتاج هذا الحظور الذهني الذي يصاحبني أثناء معايشتها.

بآلأضافة لذلك .. حصلت على مَلَكَة خاصّة و هي عند أحساسي بآلتقدير و الأمتنان للذّين أكنّ لهم الحبّ أستطيع بيانه بشكل جيّد, بينما في السابق و حتى بعد بدئي بإجراء تمارين (التغيير) ؛ كنت أستطيع بيانه أ ثناء التمرين فقط.

طبعا التمرين مهم جداً .. لذا حاول أن تجرّب هذا التمرين بطريقتك الخاصة فقط و في زمان و مكان هادئ.
و سترى أن ظواهر إعجازية و فضآآت رحبة في إنتظاركم, حاولوا التوغل فيه و ستعيشون تجربة عظيمة لم تشهدوها من قبل بفضل الله الذي يرعانا, حيث يقول: [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ](3).

ألتّاسع:

بآلأضافة إلى ما أوردناه أعلاه؛ يجب الأنتباه و آلتأكيد على محبة النفس و درك و فهم هذه الحالة, فلو كان سلوكك و تصرفاتك بشكل لا يعجبك, فكن رحيماً على نفسك و تحدّث معها بأدب و محبة و لطف, فلو كان يصعب عليك أن تكون إنساناً هادياً و مقدساً فكن صبوراً مع نفسك و لا تحمله أكثر مما يستحق.

فكما كان يحتاج إلى تمارين و ممارسات عديدة و كما عرضنا آنفاً للتخلص من كونك إنساناً عصبيّاً و ناقدا للآخرين ؛ فأنه يحتاج بآلمقابل أيضا إلى التمرس للوصول إلى المكانة المطلوبة, لتكون رحيماً و مسامحاً مع نفسك و سينعكس هذا الأمر على سلوكك مع الآخرين بشكل أتوماتيكي.

---

(1) Asead streak
(2) كرفض النقد النفسي و آلعادة السرية و السحاق و الميل للأنتصار لذاتك بلا تفكير و وعي.
(3) سورة فصّلت(53).

خلاصة ألفصل الأول:

خلاصة ألفصل الأول:

لبيان خلاصة الموضوع الذي عرضناه بخصوص السلوك الأنساني و رد الفعل و كيفية ألأصلاح و ما إلى ذلك من موضوعات؛ سأذكر لكم المثل التالي:
عندما نذهب إلى محل البقالة للتسوق منه لشراء فاكهة آلخوخ ألمغلّف بكارتون جميل كمثال .. فإن شرائك ربما كان أكثره بسبب الغلاف الجميل الذي حوى الخوخ خصوصاً ألمنتوج الأمريكي أو التركي أو الإسباني, و عندما تصل البيت و تفتح الكارتون الذي تسبّب بانجذابك لوجود صورة جميلة عليه للخوخ مع ألوان جميلة؛ فأنك ترمي الخوخ في سلّة المهملات, و بآلمقابل لا تستفيد شيئاً من الغلاف (الكارتون) الذي جذبك, و بآلتالي تتيقّن أنك لا تملك شيئا للأكل!!!

حياتك أنت أيها القارئ الكريم تشبه بآلضبط هذا المثال المُعبّر, فقد تُعير أهميّة أكبر و أكثر من اللازم بجسمك(ظاهرك) و الذي يشبه الكارتونة(الغلاف) الذي يحوي النفس و الروح و القلب (الوجدان) و الذي مثّلناه بـ (الخوخ) نفسه, و هكذا ينسى الأنسان .. أو يتغاضى عن الحقيقة, بل الحقائق المنتشرة في هذا الوجود .. و طالما ينسى أن الأصل هو الرّوح ؛ هو الوجدان ؛ هو آلضمير الصافي الخالي من كل غش أو طمع, فآلجسم لا يمكن أن يعوض ما يمكن أن تفعله الروح عبر غذائه المعنوي و اللذات التي تحويها و تريها لنا – رغم إن الروح لا يمكنها أن تظهر بشكل جميل و ملموس و كما هو حال الجسم الظاهري, بآلضبط كعجزنا لرؤية داخل الكارتونة في المثال الذي عرضناه, فكل الذي يحويه يغذي نفوسنا و تمثل قوّتنا المعنوية و لا يمكن أن يحتل مكانه شيئ آخر.

و لو صرفت العمر كلّه للتركيز و العناية لأظهار جسمك و صورتك المادية من دون العناية بداخلك, فإنك لا تستفيد شيئاً و سوف تتغافل بطبيعة الحال و نتيجة إنشغالك ببدنك لتغذية روحك و تنوير داخلك و بناء عقلك الباطن أي بصيرتك و بآلتالي ستكون موجوداً تعيساً و سيئ الطالع إلى جانب ما ستلاقيه ربما في اليوم الآخر من عقوبات بحسب ما ورد في الكتب السماوية.

ألفصل الثاني : ألتّفكّر

ألتّفكر:

ألفكر و آلتفكر؛ حالة تسبق العمليات الذهنية ..
ألتّفكر الذي يمثل وزن التّفعل المشتق من (آلفكر) هو أساس حتى النيّة .. بل هي النيّة ذاتها .. و هو يمثّل كلّ وجودنا, و نحن لسنا سوى ذلك (الفكر) الذي يمثل (ألأنا) الذي يجب أن نرقبه على الدوام, و آلشيئ الوحيد المفصول عن فكرنا هو (الجسم) الذي لا يعدو سوى وجود مكوّن من اللحم و العظم و الدّم و العروق و غيرها من المكونات ألماديّة التي لا فاعليّة لها إلا مع الرّوح التي حين تتصل بآلبدن يصبح نتيجها (النفس), و بآلتالي فإنّ الجسد لا يعدو سوى حاوية أو قفص يضمّ تلك الرّوح و الفكر ليمكننا بواسطة الذهن الأنتقال هنا و هناك.

لذا حاول أن تتأمل وتتعمق أيها القارئ العزيز في التفكر .. ذلك التفكر الذي لا ينحصر بداخلكم, بل يوجد خارج وجودكم أيضا.

في البدء قد يكون هذا الامر صعباً .. لكوننا تلقّينا و تعودنا على أنّ آلتّفكر هو عمل داخلي محض يسيطر على الجسم و يهديه حيث يشاء, و الآن بدل ذلك؛ إسعي و حاول أن تتلقى و تحسب أن قوّة تفكيرك عالمياً – يرتبط بكل العالم – و أنك ولدت فيه و تتموج فيه , أي بمعنى أن الفكر و (آلتّفكر)؛ هو عملٌ ينبع من وجودك أنت و من جوهر الوجود الذي تعيش فيه و هو يمثل وجودك, بمعنى أنك تتفكّر و في نفس الوقت تمثل التفكر نفسه , و عندما تتعود بآلتدريج على هذا التصور سيكون عندها من السهل أن تعتبر كل أفكارك و تفكراتك جزءاً من وجودك.

بإختصار بليغ (الفكر) هو:

سبب تقدمك على كل صعيد في حال رعايته و بنائه و تقويته و تغذيته بآلعلم و الأيمان و الأخلاق ثم ترجمته عبر الواقع من خلال عمل الخير.

و(الفكر) كذلك هو سبب تخلّفك و شقاك في حال عدم رعايته و بنائه و تغذيته بآلعلم و الأيمان و الأخلاق.

درس هام حول آلتّفكر
حسب آراء أبرز الفلاسفة

درسٌ هامّ حَوَلَ ألتّفكّر
حَسَبَ آراء أبرز ألفلاسفة:

تشكل مجموعة أفكار ألأمام عليّ أبن أبي طالب عليه السلام و نهجه، فلسفة للحياة واضحة المعالم بحسب المراد الألهي، فلسفة متجانسة متكاملة .. في سياق يمسك بأطراف قاعدتين فكريّتيّن؛ (دينيّة و دنيويّة) قد تبدوان للبعض متناقضتين, و لكن من خلال نظرة و فلسفة الأمام علي عليه السلام نستطيع أن نجد أنّ هناك إمكانيّة واضحة للتعايش بين هذين المنطلقين لفهم حياة الأنسان و سلوكه و أفاق تطوره و تطور المجتمعات المرافقة لتطور الأنسان, و يمكننا فهم فلسفة ألأمام علي عليه ألسلام أكثر و بوضوح من خلال ما تركه لنا من خطب و رسائل و أحاديث توضّح الخطوط العريضة لهذه الفلسفة والتي محورها ألأنسان, هذا إلى جانب التطبيقات العملية التي مارسها خلال سني حكمه التي تعد أفضل حكومة عادلة في التأريخ بحسب تقرير لجنة الخبراء العالميين في اليونسكو/ التابعة لهيئة الأمم المتحدة.

بإلقاء نظرة على (نهج الحكمة) الذي سمّاه الشريف الرضي(قدس) بنهج البلاغة للأمام عليه السلام, نراه يُوصينا بآلقول: [أيّها الأنسان إستعمل عقلك و لا تخاف من آلفكرة بل إعمل لها, فالفكر هو تطور الحياة و يستطيع أطالة ألزمان الفيزيائي نسبياً بما تنجزه في الواقع، و لو نظرنا أليوم من الماضي الى حاضرنا، لنقيس السرعة التي تنجز بها الأمور, فما كان ينجز بأشهر أصبح اليوم ينجز بأيام أو ساعات .. من هنا نستطيع أن نفهم عظمة و عمق فكر ألإمام علي عليه السلام ..

وقد عرف الفيلسوف البريطاني (برتراند راسل) الفلسفة بما يفهم منه؛ أنّ الفكر أو مجموعة الأفكار التي تحتل موقعاً وسطيّاً بين العقيدة الدّينية التي ترفض أية أهمية للعقل الأنساني و دوره في تطور حياة ألانسان و بين العقيدة المادية التي ترفض أيّة أهمّيّة للرّوح و أنّ كلّ أمر حياتي خاضع للمادة و تفاعلاتها، و منها تحتل الفلسفة حيزاً واسعاً يقع بين نقيضين، حيث يوجد مجال للتطور و البحث في مجموعة العلوم الانسانيّة و الطبيعية.

ألجّميع يسعى في الحياة لتحسين الأوضاع المعاشية, و هذا الميل الفطري في الحقيقة يمثل تفكّراً لأجل حياتك بآلذات .. إنّ إرادتك للعبيش بمثل يمثل في آلواقع فكرك (طريقة تفكيرك) لعيشك و حياتك!

إنّ آلتأمل في الحياة و في الواقع يمثل تفكيرك في العيش و الحياة, و ماضيك منذ ولادتك و إلى هذه اللحظة يمثل في الحقيقة تفكيرك بآلنسبة لهذا الموضوع, و هو ليس إلّا مجرّد تفكير كما إن كل مستقبلك منذ هذه اللحظة و ما بعده ليس إلا مجرد تفكير لا أكثر , كما إن إرادتك و تصميك للنجاح ليس إلا تفكيراً لنيل ذلك الهدف و الوصول إلى تحقيق أهدافك .. إن الأمل في النجاح في الواقع ؛ يمثّل آلتفكّر حول كيفية النجاح.

لأنك لا تستطيع أن تحلّ محلّ دماغ آخر, لترى العالم مثلما يراه أو يتحسسه ؛ لهذا فأنك في الواقع يعيدٌ من ذلك الشخص و تجاربه و ذهبه و أنك إنّما تقيّمه عن طريق فكرك و طريقة تفكيرك ..

بإختصار؛ إنك ترتبط بآلدّنيا و ما حولك عن طريق الذّهن لتحدّد موقفك فيها و ليست الدّنيا التي تحدّد حياتك و أقدارك و مصيرك, و هذا الأمر من الجانب الآخر يرتبط بآلقضاء و القدر و هو ليس محل بحثنا هنا.

إنّه أنت الذي تُصمّم و تُقرّر طريقة تفكيرك لتراه كيفما تشاء.

علماء و فلاسفة كُثر مع عرفاء و حكماء توصلوا إلى نتيجة مفادها أن ذهننا و فكرنا هو المسؤول على تعيين طريقة حياتنا

و كيفيته و مستقبلنا.

يقول (إسبينوزا)(1) : [كل الأشياء التي كنتُ أخاف منها أو كانت تخيفني لم تكن تحمل معها ماهية القبح أو الحسن, بإستثناء أنها كانت تجعل أذهاننا تحت سلطتها].

وقال (آلبرت آليس)(2) مؤسس مدرسة (التداوي بآلأحاسيس المعقولة):
[ألناس لا يعبثون في أمورنا و حياتنا, أنه نحن الذين نعتقد أنهم يستطيعون خلخلة أوضاعنا].

أما (رالف والدو آمرسن)(3) فيقول : [نحن نتحوّل إلى ذلك الشيئ الذي نفكر فيه يومياً].

و يقول (شكسبير)(4) : [لا يوجد شيئ حسن أو قبيح؛ جيّد أو رديئ؛ أنه فكرنا الذي يصيّره لتلك الحالة].

أما (آبرهام لينكلن) فيقول: [ألنّاس يُسعدون بقدر السّعادة آلتي يخلقوها أو يبدعوها في أذهانهم , و الأصرار على إنماء حُسن آلحظ أو ما يسمى بـ (الطالع الحسن) في أذهانهم].

و يقول الرسول الكريم : [إنّما آلأعمال بآلنّيات], و النّية هي (الفكر) و (المعنى) الذي يحدده صاحب النيّة إبتداءاً.
و يؤكد نفس المعنى في حديث آخر, بقوله (ص): [تفاءَلوا بآلخير تجدوه], بمعنى كل حقيقة تقع إنما هي نتيجة تفكيرك خيراً أو شراً.

و يقول الأمام عليّ(ع) : [

و يقول السيد المسيح(ع) : [أنت تتحوّل إلى ذلك الذي تفكّر فيه].

و بآلتالي مستقبلنا يتحدّد من خلال التفكير الذي نفكر فيه أو نختاره نحن , و بآلحقيقة نكون طبقا لما نفكر فيه و الله تعالى قد أعطانا موهبة كتابة سيناريو حياتنا بإختيارنا, و هذه حقيقة مطلقة و واضحة كآلشمس بأننا مختارون أي طريق نسلك, و هذا هو فرقنا عن بقية المخلوقات التي أكثرها فاقدة لحرية الأختيار لانها خلقت لأداء وظيفة معينة بحسب غريزتها التي أودعها الله فيها.
و بجملة مفيدة يمكننا القول:
حياتي عموماً هي وليدة أفكاري؛ بل هو (تفكيري المحض الذي خَلق حياتي).
[لا يوجد أي طريق للسعادة ؛ ألسّعادة هو طريق بحدّ ذاته].
[Happiness is not a destination, it's a way of life]

عندما كنت طفلاً .. لم يكن قد إكتملت عندي فكرة المستقبل بوضوح سوى إعتقادي بأنّ هناك خالق و راع للخلق و الوجود عموماً, ولم يكن بمقدوري أيضاً تحديد مصدر الظلم و سببهُ خصوصا حين يصيب الأطفال الأبرياء, رغم محاولاتي الكثيرة لتجميع شتات أفكاري التي أثّرت عليها حوادث الماضي القريب , كلّ ما كنت أفكر فيه هو قدرتي على أثبات وجودي مستقبلاً رغم المآسي و الظلامات الكثيرة التي كانت تدور حولي حتى من المقرّبيين, ثم إستقلالي مع قلب فتاة أحبها – لم تكن من نصيبي – كنت أعتقد بأنها ستملأ حياتي عطفاً و حناناً و محبة, ثم إعداد نفسي بعد ذلك حتى درجة الفداء في سبيل الأنسان بآلقضاء على مصادر الظلم المتعددة, خصوصا ذلك الذي عاناه العراقي بآلذات بسبب الطواغيت و عنجهية أولياء الأمور و العنف الأسري على مدى قرون و قرون و تنمّر الشهوات و سوء التربية, ولعلّ غير العراقي لا يدرك معنى و أعماق هذا الأمر, لأنها أكبر محنة واجهها ولا يضاهيه كارثة أخرى مهما كان, بحيث صار العراقي يفضل حكم آلأجنبي على حكم أبناء جلدته ليتسلط عليه بدل الطواغيت و الأحزاب الفاسدة التي دمّرت العراق كحكم صدام و برزان و شعلان و حمدان, و المشكلة التي ستبقى ربما لنهاية الحياة؛ هي آثار ذلك العنف و الظلم و تلك التربية الفاسدة التي قد تبقى لقرون و لآماد سحيقة(5).

و المفارقة التي كنت أحسها دائماً هي أن عمري أكبر مما هو عليه بحساب الأيام والسنين, لأنّ مستوى تفكيري كان يختلف عن تفكير أقراني في المدرسة و العائلة, و لعل هذا الوضع كان بسبب تفكيري الدائم و التعمق في تحليل الوقائع التي كانت تقع أمامي, و طالما كنت أنفرد وحيداً مع نفسي متأملاً في حقيقة الأنسان و الوجود, و بعد هذا و مطالعة الكتب و الأنصات للكبار أدّى إلى ترسيخ إعتقادي من أن الأنسان بإمكانه الوصول إلى مقصده و هدفه الذي إنتخبه و عندما كنت أتحدث أحياناً مع من يحيد بي حول أفكاري و مشاريعي و مستقبلي و أهدافي الكونية؛ كان بعضهم يستهزأ بي و يقول: [ما هي إلّا أفكار و أوهام تدور في رأسك], و أنت تعيش في عوالم الغيب بعيداً عن الواقع, و إنها مجرد أفكار لا أكثر, حتى أسموني بـ (أبو الأفكار) أو (أبو التأملات) حتى إشتهرت بذلك في الأوساط كشهرتي في الرسم, حيث كانوا يسموني بـ (عزيز الرسام).

و لم أتأثّر بكلماتهم و نعوتهم الإيجابيّة أو السلبية إلى جانب تعليقاتهم, و كلما ما أتذكر بشأن موقفي منهم هو أني كنت أجيبهم بآلقول:
(ألتأمل و الفكر أساس السعادة في الحياة .. إنه عالمي الخاص الذي أرتاح العيش فيه).

أنها حقيقة .. فنحن بدون الفكر و التفكر و التأمل نفقد إنسانيّتنا و نصبح دون الحيوانات أجلكم الله .. لكنهم و لقلة فهمهم و دركهم كانوا لا يفقهون قولي, و الشيئ الوحيد الذي كنت مطمئناً إليه؛ هو إمتلاكي قابلية التفكير و الأبداع الذي حققته من خلال معارض الرسم على مستوى الواقع, عندما نلت الجائزة الأولى التقديرية على مستوى إقليم محافظة واسط و توابعها, و لم يكن عمري أنذاك يتجاوز 13 سنة, و الشيئ الآخر الذي كان يزيدني قوّة و أملاً في تخطي طريقي هو كلمات الإطراء و التشجيع من قبل إستاذي في الرسم و الفن و النحت الأستاذ الأديب عبد الخالق الركابي, و رغم إنيّ لم أكمل طريقي في الفن و الرسم بدخول أكاديمية الفنون الجميلة بسبب تأثير صديقي الحميم (عادل محمد أمين) الذي يعيش في إستراليا .. بترك الفن و اللجوء إلى دراسة الكهرباء أو أي إختصاص آخر. و هكذا كان, فآلصداقة و الصديق له تأثير كبير على سلوك و إتجاه الآخر!

ألمسألة الأخرى التي أثّرت في حياتي الفكريّة هي علاقة (حبّ) مع إحدى قريباتنا و معارفنا بينما كنت صبيّاً لا يتجاوز عمري الثانية عشر سنة, و المفارقة المؤلمة في هذا العلاقة العاطفيّة البرئية؛ هي أنّني رغم إحساسي و بعكس كلّ التّصورات الأخرى بإستحالة زواجي منها؛ إلا أنّ قوة غريبة كانت تداهم وجودي و لم أستطع التعرف عليها في كل مرّة – كانت تدفعني لأنْ أقدس و أحترم تلك العلاقة المجازية التي كان للغيب يداً فيها لأنها انضجت أفكاري للتعرف على الحب الحقيقيّ لمعشوقي الأزلي رغم كل الظروف المعقدة و الصعبة التي كنت أواجهها, و لكن بعدما نضجت الأمور و إمتدت العلاقة لأكثر من15 عاماً حتى مغادرتي للعراق قسراً و تيقنت أن الفراق الواقع بقوة و أمر القدر لا يمكن من الوقوف أمامه, و هكذا تركت كل شيئ – و لم أكن أملك سوى علاقات مع أصدقاء لا يجود الزمن بمثلهم و قد إستشهدوا جميعاً بسبب الظلم .. ثم سمعت و أنا خارج العراق بزواجها من الأنسان الوحيد الذي كنت أتوقع زواجها منه, و هذا الأمر كان غيبياً حيث لم يكن يخطر على بال أحد حتى هي نفسها, و تحقق هذا الزواج بعد مضي خمس سنوات من ذلك التنبؤ الغريب الذي لم يكن منفصلاً عن الغيب, رغم عدم معرفتي بمصدره بدقة سوى ما كنت أفكر فيه و أتصوره إلى أن صارت حقيقة واقعة, وحين إلتقيت بهم مرة واحدة و لساعة واحدة فقط بعد ما شاب الرأس و مضى ربع قرن على ذلك الفراق الذي عوّضه لقاء الله و لقاء زوجتي التي تآلفنا و تزوجنا و ما زلنا نعيش معا بعد مضي 40 عاماً .. و تلك هي الأقدار و الأنتخاب – المعادلتان الأعقد في تأريخ كل إنسان – حين يؤثران على تحديد المصائر .. حيث إنتخبت طريقا آخر و حياة أخرى تختلف تماماً عن خارجة الطريق التي رسمتها في صبايَ!!

و إنعمرت في أتون العمل السياسي و الكتابة و التأليف و المقالات, حيث بتُ تواقاً لمزاولة ذلك وفاءاً لأخواني الشهداء الذين عاهدتهم على طريق الخير و المحبة لتحقيق العدالة .. رغم ما رأيته من ظلم السياسيين الذين سيّسوا الدين و الوطن لاجل الدنيا, بل بعبارة أدق – سيّسوا الدِّين و الوطن و الكرامة لأجل ذواتهم و شهواتهم, بيد أنهُ كان من المفروض أن يكونوا القدوة في أعمالهم فآلتصدي للظلم يحتاج أوّل ما يحتاج إلى نكران الذات و (التقوى السياسيّة) بشكل خاص, بحيث يكون أوّل من يفيد و آخر من يستفيد – رغم هذا كنت أسمع نداءاً من أعماقي ربما بسبب الخزين الفكريّ و قوى أخرى من الغيب – كانت تحثني لتغيير مسار حياتي و إنتخاب طريق آخر و جهة أخرى قد تحقق أهداف رسالتي الأنسانيّة – الكونيّة بشكل أفضل و أعمق و أكبر لإستكمال الأهداف العظيمة التي حدّدناها سابقاً.

في حياتي و بعد حصيلة البحث و النظر و الكشف توصلت إلى مفترق طريق بين الغرب و الشرق:
ألأول؛ يتلخص بآلأستمرار في عيشة روتينيّة كآلمليارات من البشر المغضوب عليهم و البقاء معهم رهن بيد المالكين الذين يستأجرون العقول ليتحكّموا بالناس – الضّانين أنّها قمّة الحياة و التطور ألمدعوم بآلتكنولوجيا و زبرجة التّمدن الأحادي الغير الهادف في النتيجة لسعادة الأنسان بغطاء الديمقراطية التي باتت بمثالة ذرّ ألرّماد في عيون الناس, لتأمين تسلط المالك – للشركات و البنوك و مصادر الطاقة في العالم – بعد التحكم بعقول و مصير الناس عبر راتب كـ (قوت لا يموت) كما يقول المثل, أو معيشة ظنكا بظل نظام حديدي لا يفقه شيئاً من كرامة الأنسان و هذا حال حتى بلاد الغرب الذي له ظاهر خلّاب و جذاب و باطن حزين و كئيب و محدود!

ألثّاني؛ الرّجوع إلى موطن الأصلي – العراق – حيث الحرب و الفساد و الكذب و الدّمار و الذبح و القتل و الطبقية و العنف و القسوة و كل أنواع الأرهاب وآلأذى ناهيك عن قلّة آلغذاء و الدواء و ا لماء الصحي و الذي لا يناسب العيش الطبيعي خصوصا لحالة خاصة مثلي حيث يجب أن أتناول غذاءاً خاصا و أدوية مختلفة مع أجراء فحوصات شبه يومية لوضعي الصحي, حيث يعيش الجميع حالة حرب مع الحياة و الأنظمة الغير العادلة, و لك أن تتصور الوضع في بلد كهذا, خصوصا و أنا لا أملك فيه بيتاً و من آلصعب جدا .. جداً ألحصول على سكن حتى بإيجار مناسب خصوصا في العاصمة.

لهذا إستمريت بآلبقاء و كان عليَّ أن أبدأ بآلعمل في مهنتي كمهندس كهرباء و كان يتطلب العمل 8 ساعات على الأقل لاجل إدامة المنتديات الفكرية و تشكيل تنظيم فكري عالمي – أو بآلأحرى توسيع التنظيم الفكري الذي سبق أن أوجدته لبعث الحياة و إرجاع الأمم و الشعوب إلى صوابها بعد ما حلّ بها من النكبات و آلمآسي, و أقساها ليست مناوشات المدفعية و آلقبائل أو قصف الطائرات و الإنفجارات اليومية؛ بل محنة الفكر و الأعتقادات التي دخلت عقول الناس و قلوبهم فصيّرتهم كآلثعالب وآلذئاب و الكلاب و الأفاعي, لا يأمن أحدهم من آلآخر .. بحيث وصل الوضع كما أسلفنا لئن يفضل الناس حكم الأجانب على السياسيين حتى لو كان بآلحديد و النار!

و كان عليّ و أنا بهذا الوضع و الوسط و مفترق أمرين أحلاهما مُرّ؛ أن أبدأ بكتابة و توضيح أفكاري الكونيّة التي حملتها معي بعضها كأمانة من أخوتي الشهداء الذين ضحوا لاجل العدالة .. ليتسنى نشره بين الناس خصوصا و قد بان الكبر و ضعف القوى على جسدي النحيل و المصاب أساسا بأنواع البلاء, لعل ذلك يكون ذا أثر , و لم يكن يهمني العواقب , ففي الوقت الذي إفتقدت فيه الأمن و الأمان بسبب ملاحقات المستكبرين لظنونهم الباطلة بي و بآلتالي تأثير ذلك على معيشتي الخاصة و آلضمان و آلأستقرار و رغم كل هذا كنت أتلذذ في نفسي .. ذلك أني و قبل أن أصل هدفي أراه في مخيّ و عقلي رغم قعودي و عدم قدرتي على الأستمرار كما في السابق!

إن إية عقيدة ليست إلا عبارة عن طريقة للتصور , ربما يعتقد الجميع اليوم بأن أفضل وسيلة للأتصال هي وسائل ا لأعلام المرئية المسموعة, و إني أتّفق معهم و لكني أؤمن في نفس الوقت بوسيلتي الخاصة و هي نشر ألافكار عن طريق الكتب و المحاضرات وجها لوجه لما لها من تأثير مباشر لأنتقال الفكرة مع الطاقة عبر الموجات الإيجابية الصادرة مباشرة منك للمستمعين, و يحتاج إلى شيئا إضافياً من ا لوقت و الجهد لتحقيق ذلك.

كل لقاء ؛ كل مدينة جديدة ؛ كل صديق جديد, كان لي بمثابة منشط جديد و دافع حيويّ لمد ألجسور مع الناس.

ألهدف الذي رسمته منذ العشرينات من عمري كان كبيراً بقدر الدنيا ؛ بحجم الكون , لذا كان يحتاج الكثير من آلفكر و الجهد و العمل و ا لوقت لتحقيقه إلى جانب الصّبر بسبب قلّة الناصر و آلأمكانات و الوسائل مقابل جيوش الجهلاء الفاقدين للبصيرة.

و الجدير ذكره أن كل ما كنت أفكر فيه كان يتحقق على أرض الواقع, و كلّما كان ذهني ينفتح أكثر و يتنوّر بآلعلم و الأيمان أكثر؛ كانت الرؤى و ألأفكار تكثر و تتزاحم في مخليّلتي و كنت أهتم أكثر بسلامة جسمي و الأعتناء بآلرّعاية الطبيعية أكثر , و كنت أتحسس السعادة أكثر فأكثر إلى أن وصلت إلى نقطة نسيت فيها نفسي و إستقر بي المقام بشكل أوتوماتيكي في مركز

القوة و الهدف و الرسالة التي أجاهد من أجلها.
و هنا توضح لي , كيف إن القلب يملأه النور و يستضئ و تحصل فيه حالة الإشراق و آلأنسان عموماً يتخطى عدة مراحل في حياته :

المحور الأوّل :
ألسعي و ا لمثابرة لتركيز الذهن على تحسين الحالة الشخصية الخاصة, و يعمل هذا ضمن هذا المحور .. إلى أن ينطفئ هذا اللهب الداخلي المؤجج, بعد تجاوز هذه المرحلة تبدأ المرحلة الأخرى.

المحور الثاني:
كما أشرنا يتحدد هدف الأنسان مقدماً كناتج لتبادل الأحاسيس مع الآخرين و عندما يكون الأنسان بداخله حزمة قوية و قوة دافعة من العشق بسبب ذلك التبادل الإيجابي .. بحيث يمتلئ قلبه بآلمحبة و العشق ؛ سوف يتحول ذلك العشق إلى الآخرين و في المحيط الذي يدور فيه بشكل طبيعي.

بعد عملية التبادل هذه؛ تحدث تغييرات جذرية في حياة الساعي, لانك تكون قد أشتهر إسمك و إنتشر صيتك بعد ما ألقيت الكثير من المحاضرات في مجالس مختلفة و الخصوصية الرئيسية المسببة لهذا النجاح؛ هي أنني كنت مؤمناً و معتقداً بما أقوله.

---

(1) باروخ إسبينوزا ؛ فيلسوف هولندي Spinozo ولد في لاهاي 1677 فبراير 21 وتوفي في 1632 نوفمبر 24 .
(2) آلبرت آليكس ؛ فيلسوف أمريكي Albert Ellis (ولد في سبتمبر1913 م و توفي في24 يوليو 2007 م).
(3) رالف والدو أمرسن أمريكي ؛ (Ralph Waldo Emerson, (May 25, 1803 – April 27, 1882)
(4) شكسبير فيلسوف إنكليزي ؛ William Shakespeare (bapt. 26 April 1564 – 23 April 1616)

لماذا نتخيّل .. و كيف يتحقّق ألخيال؟

لماذا نتخيّل .. و كيف يتحقّق ألخيال؟

في آلجزء الأول عرضنا جوانب علميّة دقيقة من هذا الموضوع(1) الهام و الحساس لأنه يتعلق بموضوع (الفكر) و آلأنتاج العلمي .. بشكل لا ينفصل بعضها عن بعض, و من آلضروري إلقاء نظرة فاحصة أخرى عليه لفهم الأرتباط بين الخيال و الفكر من جهة و بين (الخيال) و (الفكر) و بين (الوهم) من جهة ثانية:

بداية و تأسيساً على ما تقدم من البحث في هذا الموضوع في الجزء الأوّل؛ علينا أن نؤمن بأن التصور الفكري له عالم واقعي و وجود خارجي, و يتحقق آلأمر - ألمُفَكَّر فيه – لا محال, خصوصاً لو أنّ تلك (الأفكار) الموجودة في أذهاننا تتقوى و تصقل قليلاً فإنها سوف ترى لها وجوداً واقعياً و عملياً في الحياة.

نحن نخلق صوراً في أذهاننا و نتفكّر فيها و ندرسها و نصقلها .. هذه التصاوير سرعان ما تتحوّل إلى حقائق في داخلنا, و عندما نعي تلك الصور , نكون قد ركبنا مركب الموفقية و النجاح بإتجاه التحقيق و بدون سابق إنذار.

و سندرس كيفية خلق ألصّور في أذهاننا, ثمّ التّفكر فيها و دراستها لتطبيقها, و هذه العملية تجعلنا مُفكّرين, و لتكن تلك الدراسة أيضا تمهيداً لعرض (ألقواعد ألسّبعة لعالم الرؤيا) إن شاء الله !؟

---

(1) لتذكّر تفاصيل هذا الموضوع المحوري – الأساسي يمكنكم مراجعة ألجزء ألأوّل لتوفير الوقت و تجَنّب تكراره, راجع: كتاب [ألطبابة الكونيّة] ألجّزء الأوّل, ص 81, فما بعد ... عبر آلرّابط ألتّالي/ في موقع كتاب نور:

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D9%87-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86%D9%8A%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%84-pdf

أربعة أصول مؤثرة في التّخيّل:

ركزّ لأيجاد تصور داخليّ بدون حدود في آلعالم الماديّ, لأننا لا نحتاج للحواس الخمسة للولوج في عالم الفكر, و بإمكاننا الخوض في عالم الفكر و العالم الأكبر, بعكس تصور أكثر الناس بكوننا أجرام صغيرة لا حول ولا قوة لنا, و هذا يشبه بآلضبط ما يدور في عالم الرؤيا حين نسافر شرقا و غرباً و حتى في عوالم أخرى لم نألفها من دون وجود وسائط مادية أو وسائل نقل تكنولوجية, أي إن قانون (العلية) لا معنى ولا وجود و لا دور له في ذلك.

إن إيجاد الرابطة بين عالم (الفكر) و (المادة) يكون عبر الأساسات الأربعة التالية:

ألأساس الأوّل :

أعمالنا هي إنعكاس لتصوّراتنا, و كلّ تصرفاتنا منبعها الأفكار و الرّؤى, و أيّ سلوك خارجيّ يصدر بسبب وجود تصوّر فكريّ مسبق في عقولنا و ضميرنا.

فلو صوّرت نفسك في وضع غير مناسب, و تؤكّد هذا المعنى من خلال فكرك فإنّ تصرفاتك ستكون على هذا الأساس, و ستكون أعمالك في تلك القضية غير مناسبة و العكس صحيح, لنضرب مثلاً على ذلك ؛

لو أردت السفر مع ستة حقائب و سيّارتك لا تحمل سوى خمسة حقائب ؛ فعليك أن تفكر بحمل خمسة حقائب فقط, و لكن لو ركّزت فكرك حول حمل ستة حقائب .. فإنك سوف تحاول أن توجد مكان إضافي بشكل أو بآخر يتّسع لستة حقائب, أي تُحاول أن تتصرّف لحمل 6 حقائب, فتصوّرك الذهني هو الذي يخلق لك الوضع الذي فكرت فيه – يعني ستحاول ترتيب بعض العدد الموجودة في صندوق السيارة أو تغيير حالة الترتيب ليتسع المكان لجميع ألحقائب.

نفس الأمر يصدق على قضية إمتلاك المال, حيث تستطيع البحث في ذلك , فلو جسّدت إمتلاكك للمال .. و لم تُبالي بآلمصاعب و المشاكل التي تواجهك في الطريق مع إحتفاظك على تصوراتك و تصميمك على الدوام, و إعتبرت ذلك حقا لك و مصير لا حياد عنه؛ سترى أنك سوف تصله و سترى أن تصرفاتك تكون بإتجاه تحقيق ذلك الهدف, بجانب أن تصورك الأساسي دائماً مسلّط بإتجاه هذا الشيئ.

لتحقيق مرادك .. ستتصل يومياً بدل 3 مرات 15 مرة بهذا و ذاك, و ستبدأ بتوفير قسماً كبيراً من النقود أو المال الذي يصلك, ذلك أن المال سيكون جزءاً من وجودك, و ستتآلف مع الناس الذين يؤيدونك في هذا الفكر و التوجه, و تأنس معهم و ستلحق بدورات تخص تخص المال و العمل و الأستثمار , و لها رابطة بأهدافك التي تسعى إليها, و بمرور الزمن سوف تحسّن وضعك المعيشي, و ستتعلّم من آلذين كانت لهم تجربة في هذا المضمار و نجحوا رغم عدم إمتلاكهم للبصر أو الأطراف أو المال, و تتصوّر نفسك دائماً كرجل موفور الصحة و المال و السعادة و الجاه .. و كل هذا يعود إلى اصل الفكر, و عكس هذا الفكر ستكون نتائجه العكس تماماً , فلو تصوّر شخص أنه فقير, لا حول ولا قوّة له و ثبت هذا التصور في فكره و وجوده؛ ستراه يُرافق الفقراء و المساكين و الذين لا حول ولا قوة لهم, و يأنس معهم, و سيُطالع كتب الفقراء و البؤساء و الذين كانت نهاية حياتهم مأساوية, و سيتعذّر من القيام بتجارب جديدة و مغامرات ناجحة في سبيل الحياة, و سيتجاوز أية محاولة إصلاحية في النفس , بل يُلقّن نفسه على الدوام, أنه لا يمكن أن يكون أفضل من ذلك, إنّ كلّ تصرّفاتنا ناتج من أنفسنا, و إنّ الأفراد السّعداء هم و لدوا سُعداء من بطون أمّهاتهم, و موفقيتهم كتبت عليهم من أسماء كقدر محتوم مكتوب في اللوح

المحفوظ الأزلي .. و لو أنهم حاولوا محاولات جديدة في طريق نيل السعادة و الموفقية – و لأنّ تفكيرهم سلبيّ في هذا الجانب – فأنهم سوف لن يوفقوا في ذلك , لأنهم يعتقدون أنهم بؤساء من الأزل , أو هكذا كتب عليهم منذ الولادة.

عملياً إن أية محاولة أو تحول ؛ هو نتيجةً للصورة التي تمّ رسمها في آلذّهن قبل المباشرة في العمل, و الموفقون يظنون أن الموفقية رافقتهم منذ ولادتهم إبتداءاً حيث تلقوا ظروفا جيدة و أولياء أمور متعلّمين بثقافة كونية مع نجاح كتب في السماء منذ الأزل , لكن البعض عندما يريدون فعل الخير يظنون أنهم لن يصلوا إلى ذلك .. بل لم يُقَدّر لهم ذلك!

فلو تصوّرت نفسك عاجزاً عن القيام بإلقاء محاضرة وسط الجمع و تحرّزت من ذلك .. في هذه الحالة سوف لن يكون بمقدورك فعل ذلك و ستبقى هكذا .. و سوف تترك المسرح بكل سهولة و يُسر, و سوف تبرّر هذا آلعمل كونك خجولٌ و فاقد لمؤهلات الخطابة من الأساس.

ألظروف المحيطة مهما كانت فلتكن .. أنّه نحن الذين سوف نحدد و نرسم طريقنا و أهدافنا , لأننا أنفسنا سنكتب فصول الحياة , و نحن المُولّد و المُجسّم للصور الذهنية فنحن الذين نصوّره و نكتب نصّه بأيدينا, و نسعى لأنجاح تلك الشروط لتكوين و تشكيل حياتنا الجديدة.

إن كل تلك آلعملية تشبه دور المخرج في صناعة الأفلام التي نصورها و نخرجها بأيدينا, و نحن مَنْ يسعى لأنجاح ذلك , إنها مجرّد صورة ترسمها أنت أيها القارئ العزيز لنفسك, مع كل المتطلبات حتى المظهر الخارجي, و كذا الصحة البدنية و الروحية؛ الغذاء؛ الأخلاق, و الظروف لا تحدد حياتنا .. إنّما آلظاهر هي آلصورة الذهنية التي إخترتها أنت لنفسك .. مع كل شيئ .. المظهر ؛ السلامة ؛ ألمزاج ؛ الوضع المالي ؛ كيفية الرّوابط الأجتماعية ؛ و كل أمر يتعلق بتصرفاتك و كل ذلك هو بسبب الصورة الذهنية لك فآلذهن يختزن كل اصور التي إنتخبتها لنفسك, و تصرفاتك اليومية هي مجرد إطاعة عمياء أو إنعكاساً للأوامر الصادرة من أفكارك.

إنه من المستحيل على إنسان أن يظهر منه إحساس معين من دون وجود أي فكر في رأسه سبق ذلك الأحساس, لذا أعمالك و سلوكك ناتج من أحاسيسك , و الأحساسيس منشأها هي الأفكار, لذا فأن الذي يجب تغييره و ملاحظته على الدوام هي الأفكار , و ليس السلوك و الأعمال.

أفكارنا تعني ذلك الذي طبع في ضمائرنا الحية و التي هي المسؤولة عن تصرفاتنا, و لو كانت أفكارنا تمثل بحق الأمور و الآمال التي نريدها ستظهر بشكل طبيعي على سلوكنا و ستعقبه أعمالنا التي تنسجم و طلباتنا الداخلية و يجب أن نؤمن بهذا الأمر لنرى نتائجه في أعمالنا.

ألأساس الثانيّ:

يجب أن تُلقّن نفسك و تقول لها؛
[إنّ ما جسّدناه في خيالنا و تصوراتنا سيتحقّق في عالم الواقع, كما يجب أن نتذكّر دائماً ذلك الذي تعلّمناه من (آينشتاين) العالم الكبير, حيث قال ؛ (لا يوجد في العالم شيئ إسمه الزّمن, ألزّمن ما هو إلّا شيئ إختلقه و إبتكره الأنسان نفسه بسبب إحتياجه إلى التفكيك و التجزئة من خلال نظرهِ ألمحدود و لا شيئ آخر)].

نعم لا يوجد "زمن" .. إنها حقيقة ما قاله صاحب النظرية النسبية الأشهر في العالم , و يجب أن نعي هذه الحقيقة الصعبة و نجعله في خانة الأمكانات(1), و علينا الأقتناع بعدم وجود ألزّمن, و هنا تصور عالماً بلا زمن؛ كيف إنك و بمجرد تخيّلك أو تجسيمك للشيئ؛ يتحول إلى واقع ملموس في الخارج, و لا يمكن أن يكون له وجود في مكان آخر , الشّئ الذي يسمى بآلفكر أو التصور سيتحقق بلا توقف في عالم المادة .. نعم في هذا المكان و ليس في مكان آخر أو منظومة شمسية أخرى.

لكن يجب أن نعلم أنه لا يمكن ألاعتماد فقط على الخيال و التصور لأتمام الأمور على أرض الواقع, بحيث نكتفي آلتصور ثم

الجلوس من دون وجود سعي حقيقي و جدي لتحقيقه , أو وصوله بأيدينا بشكل أعجازي, و يجب أن نؤمن بأن الحظ و القسمة و تحقيق الآمال و الأفكار على أرض الواقع هو بإختيارنا و بأيدينا.

إن واقع الصورة المادية للآمال و الأحلام و الأمنيات التي نحملها معنا ؛ متوفّرة لنا .. إنما تحتاج فقط أن نحقق إتصالنا معها و نوثّق إرتباطنا بها, و محاولة تنفيذ تلك الصور ألسّماوية بإنزالها إلى الأرض و جعلها حقيقة واقعة لأننا المنفذين لتلك الآمال و الأمنيات.

مثلا على ذلك:
لنفرض أنك تصورت قد وفقت بعد سلسلة عمليات و محاولات لإنتاج و بيع خمسة ملايين وحدة من منتوج معيّن كنت أنت مخترعه و مصنّعه, هنا يمكن آلقول مع نفسك ؛ (كيف يمكنني بيع خمسة ملايين قطعة مصنعة و أنا لم أصنعه أساساً؟).

الجواب أو التعليق على هذه الحالة هو كآلتالي:
إن آلموجود هو ذلك الذي جسّدته في فكرك, و بذلك يمكن أن تسأل أيضاً؛
مَنْ آلذي سوف يشتري ذلك المنتوج؟
و أين يمكن تسويقه لأجد 5 ملايين مشتري؟
هل هؤلاء يعيشون في كوكب آخر .. ضمن منظومة شمسية أخرى؟
طبعاً لا ..
أنهم موجودون على هذه الأرض و في هذه الساعة, لكن العملية تحتاج إلى أن نتعلم طريقة التسويق و البيع بعد تحديد الأسواق اللازمة و طريقة الأنتاج و طرق الدّعاية و الأعلان و تعلم أفضل الطرق لعرض البضاعة, مع ملاحظة التغليف الجيد و الصورة المناسبة و الأسم و الدعايات المطلوبة لكسب الزبائن, و هنا تكون قد ربطت فكرك مع أفكار المشترين, و إن ما جسدته في فكرك من البداية سيتحقق في عالم المادة.

عندما كان (رايت) و أخوه (2) يتصوّران كيفيّة الطيران في عقولهم, و كانا يحاولان تجسيد الفكرة في مخيّلتهما, و كانا يجسدان حقيقة الواقع الموجود اليوم بعد مضي أكثر من قرن على ذلك التصور العظيم لـ (رايت و أخوه) في الطيران!
إن كل الذي عملاه هو محاولة ربط ذلك الفكر مع الواقع الذي تصوراه , و لم يكونا يتصوّران غير هذا الواقع الذي نعيشه اليوم .. إنها البصيرة مع الأصرار لتحقيق الهدف ..
كل الذي فعلاه هو آلأرتباط بآلواقع الذي كان موجوداً و فعلاً تحقق هذا الواقع, و هذه الحالة تشبه منظم موجة الراديو الذي نحاول ضبط الصوت على الذبذبة الموجودة المرسلة عبر الفضاء لإلتقاطه حتى يحصل حالة (ألرّنين).Runeen
فنسمع الصوت بوضوح.
و هكذا ظهرت الطائرة كواقع في حياتنا اليوم نركبه و نلمسه و نطير به بعد ما كانت مجرّد فكرة لا أكثر.

إنّ تصورك بكونك إنسان سالم و صحيح , هو فكرك الذي يُصوّر لك هذا الواقع الذي أنت حاضرٌ فيه, و إنما هي نفسيّتك المريضة التي تجعلك تتصوّر في ذهنك وجوداً محطماً و مندثراً, و إنك قد حُوصرت بهذه الأفكار من ذي قبل.

إدراك حقيقة ذلك الامر – أيّ القانون الذهبي – الذي مرّ ذكره, بكون كل ما تفكر به في ذهنك يمكنك تجسيمه و ملاحظته على أرض الواقع, إنها واقعك أنت, و هذا الأمر يجعلك أن تتحمل مسؤولية حياتك و يساعدك على الأختيار الصحيح ..

كل شيئ في الوجود هي طاقة متحركة , لا يوجد شيئ إسمه الجمود و السكون حتى الألوان على السطوح المختلفة تتغيير لحظة بعد أخرى لكننا قد لا نحسّها بسرعة .. كل شيئ بحدود وجوده و واقعيته يرتعش و يهتز و يتفاعل و يؤثّر و يتأثّر بما حوله!

فآلجسم الذي تتصوّره جامداً في نظرك تراه تحت الميكرسكوب أو تحت أجهزة تكنولوجيا (النانو) يرتعش و يهتز و يتغيير و يتلاطم بعضها مع البعض, و يتبدّل لونه بدرجات و بإستمرار, و لا يمكن للعين المجردة رؤيتها و كشفها!

تلك المادّة الميتة بنظرنا ؛ ألجامدة بتصوّراتنا؛ تُمثّل حياةً و فاعليّةً و حركة و صراعاً و تغييرات عديدة خاصة و دقيقة ضمن عوالم متناهية في التصميم و الدقة و بحسابات كونيّة لا يمكن للعلم و التكنولوجيا من كشفها بسهولة.

كل جسم في الوجود يتحرك بسرعة نسبية أقل من سرعة النور و هي في حالة إهتزار دائم, و إنما يبدو جامداً في نظرنا بسبب إختلاف الذبذبات و محدودية الآفاق الخلقية – الكونية!

و قد بحثنا تفاصيل هذا الموضوع في كتابنا (أسفارٌ في أسرار الوجود)(3), و أثبتنا وجود كائنات أخرى تعيش معنا من دون إمكانية رؤيتها, بسبب محدودية أو إختلاف الذبذبات بين تلك المخلوقات و بيننا و لله في خلقه شؤون.

ألطاقة الكامنة هي الجوهر الأساس و ألأوّل في تكوين الكائنات .. و (التّفكر) هو جزء أساسيّ أيضاً من تلك الطاقة الجّوهريّة, لذا فإنّك عندما تُحقق فكرة معينة في رأسك ثم تسعى لتحقيقه على أرض الواقع العملي لتتجسد تلك الفكرة عملياً ؛ إعلم بأن أصل كل الموجودات هي (آلطاقة) و بآلتالي (الفكر), و مكونات الذرة كما أشرنا سابقا هي في الحقيقة طاقة لكن بإمكانها بعد تحويلها و تصنيعها لقنبلة ذرية تحطيم كل الكرة الأرضية, و هكذا تدوير محطات الكهرباء و مركبات الفضاء و غيرها من الإستخدامات المفيدة للأنسانية و للخلق عموماً, لهذا فإن الذي عليك بعد تلك النتاجات التي ولدت من الفكر أساساً؛ عليك أن تجعل في البال بأن كل الذي بقي عليك لمعرفة الحقيقة الواقعة ـ المصنّعة أمامك ؛ هو تحقيق التوافق بين الأمواج و الذبذبات الدّماغية و البصرية و السمعية و آلذوقية و الحواسية الأخرى .. و بين تلك الواقعة الماديّة المتجسمة أمامك نتيجة الفكرة ألأصلية التي أوجدتها, كمصداق على أرض الواقع الماديّ, و هذه العملية تشبه كما أشرنا (الأمواج الراديوية المرسلة و الضبط الراديوي لتحقيق "ألرّنين") أي ضبط التنغيم.

من المهم جداً أن تكون تصوّراتك التي ترسمها في فكرك مطابقة مع الميول و العلاقة القلبية في داخلك و سترى كيف أنها تتحقق على الفور و بأقل الجهود و الزمكانيّ, و لو شككت في ذلك أو في أيّ أمر تريد تحقيقه – فإسأل نفسك ؛ أين يمكن أن تكون .. إن لم تكن موجودة على أرض الواقع؟

إنّ كل تصوراتي و منذ الطفولة كانت تتجسّد في أن أكون مدعّياً و مدافعاً عن حقوق الأنسان و الأمم , حيث كنت كثيراً ما أتحسس آلام الناس و أعي مشكلاتهم الأجتماعية و الأقتصادية و ظلم الحكومات المتسلطة, و بما أني كنت صغيراً ولا أقدر من حلّها أنذاك ؛ إخترت الكلام مع نفسي منفرداً .. متأسياً بآلعليّ الأعلى الذي كان يضع رأسه في ذلك البئر في بستان النّخيلة قرب مسجد الكوفة و يُحدّث نفسه بها بعيداً عن أعين الناس ألذين لم يعودوا يدركون كلامه و مواقفه.

و ذلك الفكر (الأدّعاء) كان واقعاً منذ زمانه و لو لم يكن (الزّمن) موجوداً؛ لكان عام 1955م و عام 2005م – أي زمن كتابة هذا الكتاب – واحداً ..؟

فلو كان فكرك ثاقباً و قوياً و صادر من أعماق عقلك الباطن و متناغماً مع ضميرك الذي يمثل صوت الله؛ لكنت محققاً لأفكارك , و لما كنت تنتظر لتُضيّع وقتك, بدل البدء , حتى تُحقق وجوده في عالم الواقع و في نفسك.

و لو شككت يوماً في عدم إمكانية تحويل أفكارك إلى واقع عملي؛ فإسأل نفسك : أين و متى و كيف يمكن أن تتحقق هذه الأفكار .. إن لم تتحقق هنا؟

و هذا بحدّ ذاته سؤآل كبير و مفيد في نفس الوقت و منطلق للأبداع.

ألأساس الثالث:

ألشيئ الوحيد الذي يمكن الأطمئنان إليه و الذي له مردود عملي و إيجابي للوصول إلى مرامك و تحقيق أهدافك و أحلامك,

هي: إرادتك و ما تريده أنت, يكفي أن تُحدّد هدفاً, أو تطلب شيئاً, و إترك جانباً تلك المصطلحات الباهتة و التي كثيراً ما يكررها الناس بعيداً عن معناها و إدراكها , مثل: (العزيمة الراسخة) و (التصميم) و (العلاقة الشخصية) و (ألجّدية) و (الأستقامة), هذه المصطلحات لوحدها لا يمكن أن تعينك لإدراك و تجسيم المعنى في حياتك , لقد سمعنا مراراً و تكراراً من الآخرين: [حاولت كثيراً و منذ زمن .. حاولت بكل ما في وسعي .. لكن من دون نتيجة .. شهوراً عديدة بل سنوات من الإستقامة] و في النهاية لم أحصل على ما كنت أصبو إليه!!

إن المفقود في هذا الوسط هو مفتاح فتح ذلك اللغز, أو بعبارة أخرى: (إن مفتاح السر و اللغز هو (الطلب) الذي لم نرَ مكاناً له في العبارات السابقة, فلأجل إنزال الفكرة .. أية فكرة إلى الواقع لتكون حقيقة ملموسة يجب أن نريد و نطلب ذلك , لأجل تحقيقه.

و هذا هو أهمّ و أعظم جانب في آلتصوّر و (الفكر), فكل ما يمكنك تجسيمه في عالم الفكر فأنه واقع لا محال في عالم الوجود الحقيقيّ, الشيئ الوحيد الذي يجب أن يضاف له هي الإرادة و الطلب لا غير.

عندما أنهيت الدراسة الجامعيّة و دخلت واقع الحياة العملية .. و لأجل الوصول إلى تحقيق أحلامي؛ كنت أفعل كل شيئ؛ أعمل ساعات طويلة؛ و في وظيفتين الأولى في التدريس ضمن النظام الحاكم و الثانية في شركة أهلية لتوليد المواد و الديكورات البلاستكية, و لم أهتم للبيت ولا للسهرات مع لأصدقاء كثيراً, رغم إني لم أكن أعرف معنى المستقبل و علاقة الزمن به, و هل الزمن يتقدم أم يتأخر وووو غيرها !؟

أحياناً قد يقاطعك مستمع و أنت على منصة الخطابة أو الدرس و يقول:
[لقد حاولت كثيراً دون أمل و نجاح], لماذا؟

ألجواب, هو: ما هو الشيئ الذي لم تفعله لأجل الوصول إلى هدفك؟
و الجواب عادة ما يكون من سائلك: [أنا لا يمكنني أن أنتقل مع عائلتي لتحقيق أحلامي], فأقول له:
عليك بدراسة مجددة و دقيقة لتحقيق أحلامك, مع معرفة مدى جدّيتك و سعيك للوصول إلى هدفك .. أنا أعتقد بأن العامل الأساسيّ لتحقيق الهدف هو ألأقدام على أي عمل من شأنه تحقيق هدفك.

إن أقوى و أهم أصل لحالة الذّهن الأنساني , هي :
[ألأرادة و آلطلب].
بآلضبط مثل الضمير الأنساني القائل : [أنا سعيد و أبعث السّعادة لذلك الذي يسمعني و يطيعني , و الخطوة القادمة هي السعي لتحقيق الرؤية, و هذا الأمر ليست قضية طويلة و عريضة و معقدة تحوي أهدافاً متنوعة, بل بآلعكس أنه مجرد ندائي الداخلي القاضي بعمل كل ما بوسعي لتحقيقه, لذا أحسّ إنه من أجل مستقبلي و صلاحي و سعادتي.

أنا أعتقد بأن (ألإرادة و آلطلب) يترادف مع الطريق و النهج الصحيح, لذلك إذا كنت فاقداً للإرادة و الطلب و أنت تحاول الوصول لتحقيق أهدافك؛ فعليك إعادة النظر في تلك الأهداف و المطالب.

قد يكون هناك نداءاً داخلياً من الأعماق يقول لك:
هذه الأهداف ليست مطالبك الداخلية (القلبيّة), و إلا لكنت عازماً على المسير و ساعياً في طريق تحقيقها من دون الاهتمام إلى هذا النداء السلبي أو ذاك الذي يثبط عزيمتك أو كل ما قيل و يقال, بل لما كنت مهتماُ لهذه المشكلة أو تلك!؟

في غرفتي علّقت صوراً من بينها صورة (آلبرت آينشتاين) و كتبت عليها: [ألأرواح الطاهرة الكبيرة كانت على خلاف يشوبه العنف و الخشونة مع أفكار عوام الناس].

وصورة أخرى كُتبت عليها: [أنا مدين و في نفس الوقت أشكر الذين قالوا لي : [لا] .. (ذلك أن هؤلاء أصبحوا سبباً لأحقق

مطالبي و أهدافي بنفسيّ), إنها رسالة كبيرة و دعوة قيّمة.

ألمسألة الأخرى الهامة في هذا آلبعد هو: [إنفتاح آلذّهن], فعندما تحاول الشروع لنيل هدفك و لتحويل أفكارك إلى واقع يجب أن يكون ذهنك و قلبك منفتحاً و مُتناغماً مع جميع الأمكانات و الفرص التي قد تلزمك للوصول إلى تحقيق هدفك, كأي إنسان مستقل و مؤمن بآلحياة و بآلله .. و لا يمكن أن تكون أية محاولة تافهة, كما لا يوجد طريق لليأس أو رادع في الطريق و ستكون عيونك و قلبك و ذهنك مفتوحة على جميع الأمور من حولك, و عندما تنطلق بهذه المساحة و هذه القوة الشمولية ؛ سيكون عملك و سعيك شاملاً و كبيراً أيضا بنفس الحجم, و هذا هو المطلوب لتحقيق الحالة المثلي في مثل هذا الأمر الذي يدخل في مجال الأبداع.

رغم وصايا بعض المتمرّسين و المتخصصين حول (مسيرتي الكونيّة و كتاباتي الفلسفيّة العميقة التغييرية) و التي كانت تشوبها – أي تلك الوصايا - ألحالة السّلبيّة و تقضي بعدم جدوى تلك الأعمال؛ إلّا أنني كنت قانعاً بما فعلت و كتبت , و تلك القناعة و الثقة جعلتني أكثر تصميماً من ذي قبل لمواصلة طريق المعرفة و عدم الرضوخ لأقوالهم ومحاولات أجهاض مشروعي الكوني , لأنني كنتُ أؤمن و أثق بما كتبت و قلت و نظّرت في عرض (فلسفتي الكونية), و لم يكن المنهاج الذي رسمته باعثاً للأسى أو التعب .. بل العكس كان باعثاً على السعادة و آللذة في طريق الخير و الأنسانيّة, خصوصاً مع الأقبال العالمي عليها عبر بحثها و مناقشتها في المنتديات و حتى الجامعات.

و نتيجة تلك الصورة الواضحة و المنهج الأمثل ؛ كنت في كلّ خطوة و مرحلة أحقق نجاحاً في الطريق و كنت أحتفل في داخلي بتلك الأنتصارات .. بل توصلت إلى حقيقة واضحة في ضميري و عرفت يقيناً أن الذي نسميّه هدفاً أو آمالاً ؛ هو وهمٌ و خيال لا أكثر لا أكثر , ذلك أنه لا مستقبل أمامنا, إنه الواقع فقط .. أنها وقائع حياتنا التي نعيشها و نتحسس أمواجها و نلمسها بكل جوارحنا .. أنه زمان حالنا هذه.

إن حصول حالة التناغم في دواخلنا - أيّ حالة التوافق بين (الضمير) و (العقل) خصوصا العقل الباطن و ليس الظاهر من جانب, و كذلك من آلجانب الآخر التناغم في حركتي و فكري مع نغمة الوجود, بحيث تكون جزءاً فاعلاً من الشبكة الكونيّة, و كذلك أهمال المشكلات و المسائل الجانبيّة العابرة لتكون بمجموعها؛ دافعاً و مساعداً و قوّة لأنفتاحنا أكثر لتحقيق حالة من الأنسجام الدّاخلي الذي لا يسمح لنا و البناء الذي يحصننا؛ لنهمل ذلك الهدف العظيم أو نحييد عنه لسبب ما.

و (الطلب) ليس بمعنى تحمّل الأذى أو ألأقدام على أيّ عمل لتحقيق الهدف – كآلعمل بقانون (الغاية تبرر الوسيلة) بحسب رأي ميكافيللي الإيطالي, و بذلك نكون قد ظلمنا الآخرين من حيث ندري أو لا ندري!

ألطلب و آلأرادة مترادفان: و هما نوعٌ متقدّم من الفكر و التوجيه الفكريّ و في أغلب الأوقات يكون كافياً و مُغْنيّاً.

ألأساس ألرّابع:

يجب أن نضع بآلحسبان أنه لا يوجد شيئ في العالم إسمه (الهزيمة), إجعل في فكرك أن كل الذي نفكر به أو ما يرسمه فكرك ستحصل عليه؛ أنت لا تنهزم أبداً؛ أنت ستحصل على نتيجة رغم كل الصعوبات .. نعم أنت تواجه النتائج فقط(4), فلو رميت كرة الكولف من على بعد مائة متر ثمّ إنحرفت الكرة لليمين فهذا ليس معناه أنك فشلت!؟

بل الحقيقة أنك حاولت بكل قدراتك و فنّك و تركيزك لكي ترسل الكرة إلى ذلك الثّقب المخصص لإستقرار الكرة فيه و لم يكن بمقدورك إرساله إلى غير جهته, و في هذه الحالة تستطيع أن تعاقب نفسك و تضع الكرة من جديد في مكانه لتحاول ثانية و ثالثة, و لو كررت هذه المحاولة ألف مرّة للوصول إلى هدفك فإنك لن تخسر .. سوى أنك حاولت ألف مرّة لتفلح.

لهذا لو أردت أن تكون قادراً لتحقيق هدفك بإرسال الكرة من بعد مائة متر إلى داخل الحفرة المخصصة لها؛ عليك أن تستجمع إرادتك أولاً و تهيئ قدراتك و مهارتك لتحقيقها, و آلمسألة و اضحة و بسيطة و لا تحتاج للكثير من التعقيد و آلأدراك.

أنت عندما تفعل شيئاً لزوجتك أو لغيرها ؛ فأنك لن تفعلها لهم .. بل تفعل ما تراه مناسباً لكَ أنتَ بآلذّات قبل ما تراهُ مناسباً لغيرك, و هكذا تكرّر هذا الأمر آلاف المرات و أكثر لو أردتَ أنْ تُحقّق أحلامكَ في الواقع؛ بمعنى عليك تحقيق ما تراه مناسباً طبق إرادتك و عليكَ أن لا تنسى أنكَ لا تنهزم في داخلك, و هنا ستحصل على النتائج المطلوبة(5).

---

(1) قال إبن سينا؛ [لو أخْبرتَ بشيئ يصعب تصديقه فإجعل له مجالاً في خانة الأمكانات].

(2) Wright Brothers. , و هما مخترعي الطائرة, و إن كان المؤرخون يعتبرون (عباس بن فرناس) قد سبقهما.

(3) راجع كتابنا الموسوم بـ [أسفارٌ في أسرار الوجوج], على الرابط أدناه:
https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D8%B3%D9%81%D8%A7%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%AF-pdf

(4) [قال (توماس ألفا أديسون) مخترع ألمصباح ألكهربائيّ, عندما سأله زملائهُ؛ (أ لَا يكفي أنّك أجهدت نفسك و أجريت عشرة آلاف تجربة فاشلة و صرفت الكثير من الأمكانات و الزمكاني .. لترك الأمر الذي تسعى ورائه ؟), لكنه أجابهم بثقة: (إنّي فقط إكتشفتُ أنّ عشرة آلاف طريقة لا تؤدي إلى هدفي و عليَّ بآلمزيد من التجارب و بذل الجهد لاصل هدفي)].

(5) لو أردت تخفيف وزنك من 100 كيلو غرام إلى 52 كيلو غرام , إبتداءاً أنك لم تخسر مهما كانت النتائج مختلفة, و إنما حصلت على نتيجة معينة على أي حال, و لأنزال الوزن عموماً عليك إتّباع الخطوات الأربعة كأساسات و هي:

اولاً - تصور أنك شخص وزنه 52 كغم و أحفظ هذا التصور بداخلك و سترى كل شيئ ينساق ضمن هذا التصور, مع إتباع الرجيم الغذائي و الرياضة و التمارين المطلوبة.

ثانياً - عليك تجسيد ذلك الشخص الذي يزن 52 كغم في وجودك حتى و إن كنت لم تصله بعد.

ثالثاً – عليك السعي لإجراء كل ما من شأنه و بإرادة قوية للوصول إلى تحقيق ذلك الشيئ, أي عمل كل شيئ ممكن, و ليس ذلك الذي كان مفيداً لأخوك أو لأختك أو صديقك, و لن تخسر شيئاً إنما تحصل على النتائج, و لو لم تحصل على نتيجة بإنزال الوزن؛ عليك بآلدّراسة المجددة و تغيير ألآليات الممكنة لأنه الفكر الذي كان مسؤولاً عن النتيجة والقراءة تؤثر في الفكر.

رابعاً -عليك بتغيير الأسلوب الذي إعتقدت به , و القديم لم يكن مفيداً.

هل أنتَ مُفكّرٌ ذو نظرة ثاقبة؟

هل أنتَ مُفكّرٌ(1) ذو نظرة ثاقبة؟

إن القسم الماورائي في وجودك – أي البعد المعنوي – ألروحي .. الغير الماديّ هو أبديّ و شفاف و يقظ بطبيعته و حيّ باق لن يموت كما يحصل للبدن المادي , و ربما يكون غريباً عليك لو قلت أنه بإمكانك أن تترك هذا الجسد الترابي و تعيش في فضاء غير ماديّ - أو جسمانيّ, ثمّ تعود مُجدّداً إلى جسمك الترابيّ الذي كنت فيه من ذي قبل!
قد لا تُصدّق هذا الأدّعاء!؟
لكني أقول لك تصوّر نفسك عندما تنام ماذا يحصل لك أثناء نومك في الليل؟
أين تذهب روحك؟
ماذا يحصل لجسدك؟
و كيف تحلم و تقطع مئات الآلاف من الكيلومترات في غضون ثوانٍ معدودة؟

في الحقيقة أنك تترك جسدك المادي و عندما تستيقظ من النوم ترجع الروح إلى الجسم المادي و لهذا أنك تقضي تقريباً ثلث العمر في المنام , بمعنى أنك تنفصل عن روحك التي تعيش خارج الجسد عشرات السنين, و نحن نطلق على هذه الحالة بـ (عالم الرؤيا), و بأمكانك معرفة ما يحصل لنا عندما لا تكون الرّوح في أجسادنا؟

و ماذا يحصل في أجسادنا التي تبقى بدون روح؟

و كذلك ؛ ماذا يكون وضع تفكيرنا و إحساسنا في عالم الروح الخالص البعيد عن الجسم؟

و هل بإمكاننا التّعلم كثيراً من هذه الحالات!؟

ففي كل مرة عندما نغوص في الأحلام و آلرّؤيا ؛ فأن ذلك يعني أننا إفترقنا عن الجسد و عشنا تجربة روحية خالصة و دخلنا عالماً آخر ذو مقاسات مختلفة و زمن مختلف و فضاآت أرحب .. و هذا هو المجال الفكري الرحب للروح و بغير ذلك تكون الروح مكبلة و الفكر مأسوراً داخل قفص ماديّ ليس بإمكانه فعل الكثير لو إعتمد على الأبعاد المادية للوجود فقط.

---

(1) لمعرفة خصوصيات (المفكّر) و مرتبته في الفلسفة الكونيّة؛ راجع تصنيفنا لمراتب ألعلم في: [فلسفة الفلسفة الكونية] :
https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%87-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%87-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86%D9%8A-%D9%87-pdf

بعد الأسئلة ألكونية ؛ ما آلتّفاوت بين قوانين ألواقع و آلرّؤيا:

1- لا يوجد زمن في عالم الرؤيا, حيث لا معنى لوجود الزمن مع خصوصيات الرّوح, خصوصا لو علمنا باننا نتقدم في أزمنة متقدمة جداً , و نعبر عوالم تبعد عنا مئات السنين الضوئية بثانية واحدة, بحيث ندخل المستقبل أو بآلعكس, يمكننا الرجوع إلى الأزمان القديمة, و هذه الخاصية الكونية - العظيمة ألجّبارة تفقدها الرّوح عندما تلتصق بآلبدن في حياتنا العادية.

ألاحلام؛ هي سير في المستقبل و إطناب بآلغيب و إخبار عن حوادث لم تقع بعد, و اكثرها تكون صور حقيقية عن الواقع, و بعضها إشارات و كنايات و رموز قد يصعب تحليله و تفسيره لأنها تخبرنا عن المستقبل, و القرآ، كما الكتب السماوية الأخرى تذكرنا بآلكثير من تلك القصص التي كانت للأحلام فيها دوراً رئيسياً .. كقصة يوسف(ع) الذي رآى أحد عشر كوكباً و الشمس و القمر ساجدين له , فعرف يعقوب(ع) إن يوسف هو أفضل من أخوانه و إنه منتخب من قبل ا لله لأمر عظيم , (راجع سورة يوسف في القرآن الكريم).
و كذلك رؤيا (فرعون مصر) عندما رآى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف و سبع سنبلات يابسة يأكله سبع سنبلات خضر, فقال يوسف الذي فسر تلك الرؤيا ؛ أنه سيكون سبع سنين ما تحرثونه تجعلونه في الزرع , ثم يأتي سبع سنين عجاف يصيبكم القحط و الجوع , و هكذا و بعد ما إقتنع فرعون بحكمة و علم يوسف جعله على خزائن مصر كـ (وزير للأقتصاد و المالية) في يومنا هذا.

و كذلك رؤيا نبيّنا (إبراهيم) و إبنه (إسماعيل) عليهما و على نبيّنا الخاتم السلام, حين رآى في المنام أنه يذبح إبنه (إسماعيل) بأمر من الله, و حين إستيقظ, قال له يا (بني إني رأيت في المنام إني أذبحك) فإستسلم (إسماعيل) لأمر الله الذي نقله والده النبي إبراهيم, و قال : [إفعل ما تؤمر .. ستجدني إن شاء الله من الصابرين], و القصة معروفة أيضا و موجودة في التفاسير القرآنية كآلميزان و الطبري و غيرهما.

و كذلك رؤيا (دانيال) النبي(عليه و على نبيّنا الخاتم السلام) الذي رآى حيواناً كبشاً كبيراً إحدى قرنيه وصل الشرق و الثاني وصل الغرب , و كان ينطح بهما الأرض, و عندما إستيقظ ظهر له و فسّر الرؤيا قائلاً:
[سيظهر ملكاً يُسيطر على الغرب و الشرق و يفتح العالم و سوف ينجّي قوم بني إسرائيل, و هذه الرؤيا مذكورة في التوراة , و يعتقد البعض أن ذو القرنين هو (كورش) الملك الإيراني القديم الذي صار سبباً لنجاتهم من أيدي البابليين في قصة معروفة.

في الرؤيا .. بآلأضافة لما عرضت؛ تستطيع لقاء الموتى بنفس الشكل و المظهر ؛ تستطيع العودة إلى زمن الشباب, أو ترى نفسك و قد عدنا إلى سنين الصبا و (الشباب), و هذا التقدم و التأخّر في الزمن نراه بوضوح في آلرؤيا كواقع بجانب الأشارات الغيبية و الوقائع المستقبلية.

2- في عالم الرؤيا لا يحكم قانون العليّة و لعل السبب أن (الرّؤيا) تخبر صاحبها بحوادث و أخبار تجمع الماضي و الحاضر و المستقبل مع أبعاد أخرى من الصعب ترجمتها أو تفسيرها بسهولة و يسر, لهذا عدّه الأئمة و الرسول(ص) بأنه من الغيب .. و عادة ما أخبار الغيب تكون في نهايتها سارة و نتائجها لصالح الرائي و من حوله بآلتأكيد و بلا شك, هذا من جانب.

و من جانب آخر في (الرؤيا) قد نلتقي أحياناً بشخص آخر هو نائم في مكان آخر بعيد, و نتحدث معه و في لحظة أخرى نتحدث مع شخص آخر في الباص أو في الطريق لا نعرفه من قبل , و قد نعمل في عمل معين يكون نتائجه هي نفسها في عالم اليقظة, و هكذا تتشابك الأحداث في خلال ثانيتين أو ثلاث لتضم زمناً لا نعرف كيفيته بآلضبط.

3- ألرؤى قد تكون بدون بداية أو نهاية أو ربما تستجمع عدة نتائج في ظرف أو حادثة واحدة, لهذا تدخل الكثير منها في

الأسرار و الطلاسم و الرّموز .. إلى جانب التغييرات العديدة في الأعمار و الأزمان و الأمكنة.

4- يمكننا تبديل أية مشكلة في عالم الرؤيا إلى فرصة, و الهدف هو التنفيس عن النفس و ترويحه , فمثلاً لو كنّا في الرؤيا نسير بطريق معيّن و فجأة نصطدم بها أو تسبب لنا حادثة مفاجأة أو ننزل للأرض للسير على طريق آخر, أو يواجهنا موقف نتصادم مع آخر, أو نتشاجر مع عدو لنا فنرميه في الهواء بدفعة واحدة و بقوة خارقة, و هكذا!

5- في الرؤيا نختلق كل ما هو مطلوب لأجل تكميل و تحقيق رؤآنا, و هذا الموضوع هام عندما نستخدم النوم المغناطيسي بإرادتنا (الهيبوتيزم), فلو إحتاج الشخص النائم إلى إصدار أصوات عالية و صياح ؛ فنرفقه بشخص أثناء ذلك لمساعدته.

6- تعاطي الرّؤيا ينعكس على الجسم, أما العوامل و الأفكار التي تُوجِد هذه الأمتدادات؛ هي في الحقيقة أوهام, فلو أوجدنا في عالم الرؤيا شخص يهددنا لضربنا بآلسّكّين؛ فإن ضربان القلب سوف يرتفع من دون إصابتنا بذلك السكين!
و الطريق الوحيد الذي يجعلنا نطمئن بأننا نحلم هو يقظتنا من النوم للتخلص أيضا من الهلع و الخوف.

إجمالاً و بشكل مباشر ؛ ألأحلام لا ترتبط بعالم الفكر فقط .. بل له إرتباط بعالم المادة أيضاً!
نحن نعتقد أن جسمنا حقيقي , و إن ما نراه في عالم الرؤيا هو فكرٌ خالص و وهمٌ و خيال, و لكن له بعد و أثر مباشر في حياتنا المادية!

فمثلاً (ألأحتلام) واحدة من الأمور التي تحدث مع كل شخص بالغ, و من دون وجود أي تلامس مع الجنس الآخر تتحقق العملية الجنسية و يحدث القذف.

ألهدف هنا هو ليس الأشارة فقط إلى وقائع النوم, بل هو لأجل تعميق الرؤيا و الخيال في وجودنا, و حتى نكون قادرين على خلق الرؤيا و الغوص في أعماق الفكر, و إن أفضل حالة يتمثل و يتجسد فيها الوجود الأنساني , هو أن يحلم الأنسان و يتفكر بعمق في حالة اليقظة.
فحين نتجرد و لو لزمن قصير من آلغريزة المودعة فينا ؛ فإن ضميرنا و وجداننا سوف يتحرّر و ينطلق و يسمو .. و هنا سيضطر إلى إرتداء لباس آخر يناسب هذا الوجود و هذه الولادة الجديدة .. لباساً أكثر طهارة و سموّاً لتحقيق الأتصال مع الغيب و القيم السماوية العليا.

و الأنبياء و الأئمة الصالحون هم مَنْ إنطلقوا من بين ظهرانينا ليحملوا رسالة الغيب إلينا و بعد أن تمكنوا من ترويض أنفسهم و تهذيبها و طهارتها حملوا آلرّسالة الكونيّة لتحقيق الخلافة الإلهيّة في الأرض.

و لأجل أن نكون قادرين على التّفكر و التخيّل ؛ علينا أن نتعلم كيف نموت و نحن أحياء؟
و كيف نحيى ثانية و نحن أموات ؟

علينا أن نُجرّب الموت و نحن أحياء .. و علينا أنْ نعي الموت بكونه يشبه النوم تماماً كما أشرنا.
إيّ إنّ الأرواح تترك الأجسام في حالة النوم و تنفصل عنها بشكل شبه كليّ للتحليق في فضاآت أوسع و أرحب .. مع بقاء خيط ضعيف تربطه مع الجسد!

وعليك أن تعلم ؛ بأن الرّوح هي الباعثة و الطاقة المحركة للفكر, لذا فآلفكر ينطلق مع الروح أيضا, و عند اليقظة يرجع كل شيئ إلى محله, ليشكل الضمير اليقظ(البصيرة) في الجسم, و تكرار هذه الحالة تجعلنا نفهم الموت على أنه هو هذا الذي جرّبناه في حياتنا, و الحياة ليست إلّا مجرّد نوم و خيال.

بإختصار و ببلاغة تامّة؛ إن الموت هو اليقظة من نومة الحياة, و كما أشار الرسول الخاتم محمد(ص) لذلك بقوله تعالى:
[ألنّاس نيام .. إذا ما توا إنتبهوا]. سبقه الباري تعالى بقوله: [لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم

حديد](2).
و هكذا لو إستطعنا تعميق هذا الموضوع في وجودنا لكان بآلأمكان التعاطي مع (الموت) الذي قهر الناس بقبوله بكل رضا و طيب خاطر, و كأنك مجرد تتذوّقه حين يحل بك ساعة الأجل, كما تتذوّق الطعام.

إنّ سبب عدم قبولنا بأنّ ضمائرنا اليقظة (حياتيّاً)؛ ما هي إلّا رُؤيا و خيال أساسه آلنّية ؛ هي إنّ الدّنيا و الوقائع التي تحيط بنا نراها في حالة اليقظة .. أكثر واقعية في وجودنا عن طريق ألحواس الماديّة ألخمسة, بينما لو رجعنا إلى ضمائرنا عند (الرّؤيا) سنرى أيضا كلّ شيئ حقيقة .. بل كأنها واقع آلحياة, لكنها فقط تكون واقعيّة عندما نكون في حالة الرؤيا, و عندما نستيقظ يتبدل كل شيئ إلى أوهام و تصورات مجردة, و لذا فأن هذا المنطق الذي هو صحيح و واقعي أثناء الرؤيا؛ هو أيضا صحيح و واقعي عند اليقظة.

ألموت و نحن أحياء؛ هي الفرصة الوحيدة التي نستطيع معها الخلاص من هذا الجسم المادي الذي إستقرّ فيه الرّوح مؤقتاً و كأنه سجين مفروض عليه الأقامة الجبرية لزمن معين لأداء إمتحان خاص يحدد مصيره في الآخرة.

هناك قصّة تؤكد هذه الحقيقة, و هي قصّة هندية قديمة كآلتالي:
ذهب تاجر هندي إلى أفريقيا, و رآى في غاباتها آلاف الببغاوات الملونة و الجميلة و المغرّدة, وحين مسك بإحداهنّ و أتى بها إلى البيت و وضعه في قفص , و بدأ يطعمه العسل و الحبوب و أنواع الكرزات التي يتلذذ بها الطيور و جعل له ساعات يستمتع بها مع الموسيقى, و إعتنى به أشدّ العناية, و عندما عزم للذهاب مجدداً مرة أخرى إلى أفريقيا للتجارة و الكسب؛ سأل الببغاء:
هل لك وصيّة أو رسالة إلى أقرانك في أفريقيا؟
قال الببغاء: إذا رأيت أصدقائي في آلغابة .. بلّغهم تحياتي , و قل لهم؛ إن صاحبكم فرحٌ جدّاً في قفصه و أنه سعيدٌ في كل لحظة يقضيها داخل هذا القفص!

و حين وصل التاجر لأفريقيا , أبلغ رسالة الببغاء السجين في قفص بيته إلى أقرانه و أصدقائه في الغابة هناك .. و في آللحظة سرت دموع إحدى الببغاوات – ربما كانت زوجته – و وقع على الأرض و ماتت على الفور, و في الأثناء سمع التاجر نداءاً باطنيّاً ينبعث من داخله قائلاً : [هناك علاقة بين هذا الببغاء الذي مات و بين ذلك الببغاء السّجين في قفصه و أن ذلك الخبر هو سبب موته .. ها].
و عند رجوع التاجر إلى دياره في آلهند, نقل ذلك الخبر و ما جرى إلى الببغاء, و بمجرّد سماع الببغاء لذلك الخبر, إنهمرت دموعه و مات على الفور – و كأنه إستلم رسالة مشفرة - عندها ضاق التاجر ذرعاً بهذه الحادثة, و أحسّ بأن سبب موته, هو بسبب سماعه لذلك الخبر عن صديقه .. و في آلحال فتح باب القفص و أخذا جسده الميت ليرميه خارجاً , و ما إن رماه حتى وقفت على رجليه مجدداً طارفي الهواء محلقاً و جلس في أعلى غصن من غصن شجرة قريبة, تعجّب التاجر من هذه الحيلة و من تلك الرسائل المجازية, و سأل الببغاء عن سبب ذلك؟

أجاب الببغاء: [أن ذلك الببغاء في غابات أفريقيا قد أرسل له رسالة خاصة مشفرة و مهمة مفادها؛ (أنني لو أردت الهروب من ذلك القفص عليَّ أن أموت في الوقت الذي أنا حيّ)]!

و لو أردت أيها القارئ العزيز أن تُدقّق في وجودك عبر ضميرك الحي؛ لتعرف كيف سكنت قفصك المتمثل بجسدك و إبتليت بتلك الغرائز التي كبّلتك و تسببت لك بإستخدام الكذب و النفاق ربما و غيرها من المحرمات, لذا يجب أن تموت و أنت حيّ لتجرّب هذه الحقيقة لترى كم هو عبث البقاء في هذا القفص الضّيق, خصوصا لو عرفنا القواعد التسعة لعالم الرؤيا و التي تكشف ملامح هامة!

---

(1) سورة آل عمران/92.
(2) سورة ق/22.

ألقواعد آلسّبعة لِعالَم ألرّؤيا

ألقواعد آلسّبعة لِعالَم ألرّؤيا

1- لا يوجد في العالم شيئ إسمه الزمن :
لقد صرف العالم الكبير (آلبرت آينشتاين) عمره لإبراز تلك الحقيقة إلى الوجود .. نحن نعيش اليوم في عالم قد إنتهى و وصل إلى الكمال و لا يوجد بعد شيئ إسمه المستقبل, فآلزّمن لم يعد له مفهوم أو معنى..

ألزّمن هو من إبداع البشر لمداولة الأيام و الشهور و معرفة بعض التفاصيل التي تهمّ إنجاز الأعمال الضرورية!
لذا يمكننا القول بآلمفهوم الكلي للكون و الكائنات القول: [أن ثمان ساعات و ثمانين عاماً هو واحد لا يختلفان, و إن نومة بطول 8 ساعات مع نوم 80 ساعة سيان لا فرق بينهما, و آلوقت الوحيد الذي نتحسسه هو إننا نحلم فقط!

لذا لا بُدّ أن نستيقظ من غفلتنا, ففي عالم الرؤيا يمكنك أن تتزوج حتى لو كنت طفلاً أو رضيعاً تعلَّم المشي لتوّه .. أو إنساناً بالغاً و تستطيع أن تُكوّن عائلة و تؤمن مصدر عيشك عن طريق مهنة أو أختصاص معين, أو إنسان أعلن إفلاسه, أو تصبح عجوزاً و غيره .. كل ذلك يحدث خلال ثوان معدودة جداً, ففي عالم الرّؤيا هناك أموراً واقعية و لكننا نستطيع أن نضغطها ضمن دورة زمنية ضيقة جداً , و هذا الأمر يمكننا إجراؤه في حالة اليقظة و نستطيع أن نثبت أن الزمن ما هو إلا و همٌ و خيال , و عندها يمكننا أن نأتي بتعريف جديد لأنفسنا ؛ تعريفاً خالياً من المادة و هذا آلجسم الترابي و من الزّمن أيضا.

2- في عالم الرؤيا لا يحكم قانون (العلية) كما أشرنا سابقا, و لا يوجد شيئ إسمه العلة والمعلول؛ الحركة الفيزيكية و الفعاليات الفكرية تعمل بحرية تامة, حيث يمكننا أحتواء عالم فكريّ أكبر, و حركة فيزيكية أوسع و أقدر و هكذا يمكننا فعل الشيئ نفسه في عالم اليقظة و لسنا مجبورين لكي نحدد أنفسنا ضمن القدرات المحدودة.

في عالم الحقيقة يمكننا في الطبقات العليا أن نتحرك بدون آلجّاذبيّة و يمكننا فعل الشيئ نفسه في اليقظة و كذلك الأنتقال من فكر إلى آخر دون أي قيد أو شرط.

3- في عالم الرؤيا لا يوجد شيئ إسمه البداية و النهاية ..
في عالم الرؤيا نموت أبداً ولا يصل شيئ إلى النهاية, لذا فأن النهاية و ا لموت يصدق في عالم اليقظة و نحن لا نموت في ا لرؤيا , و الموت بمعنى عدم إستمرار الحياة .. لا وجود له!

و هذا الامر يصدّق في عالم اليقظة, و كذلك أفكارنا و ذهننا لا يموت أبداً , و لو أدركنا هذا الشيئ سوف لا نخاف الموت أبداً , نحن لا نستطيع قتل أفكارنا أبداً!
وهذا الامر يتأكد لدينا كل ليلة عندما نذهب إلى النوم و نخلد فيه, لا يوجد نقطة بداية لأحلامنا .. كما لا توجد برامج خاصة أو محطات معينة لتحديد حركتنا .. ناهيك عن الزمن المفقود أساساً بلا بداية ولا نهاية.

نحن نستطيع في عالم اليقظة أن نتعامل مثلما نتعامل في الرؤيا.

4- إن المشاكل و الموانع فرص ثمينة يجب آلأستفادة منها!
أجسامنا الحالمة في الرؤيا تعرف كيف تبدل المشاكل و الموانع و المشكلات إلى فرص, و لكنا نفعل ذلك عند الرؤيا و تنفتح لنا آفاق جديدة, و هذا درس نستطيع أن نطبقه في عالم اليقظة, كما نستطيع تعلم الدروس تلو الدّروس من آلمشاكل التي تواجهنا في عالم اليقظة و كل مرض يحمل شفائه معه!
و كل علاقة تُعلّمنا شيئاً جديداً ..
و كل عادة تحمل مع نفسها قوّة ترك العادة.

إن بعض المشاكل و الأمور و ربما كلّها, هي في آلحقيقة دروس و تجارب يجب الإستفادة منها, بل الكثير من المشاكل التي تعترينا كبلاء فيها فائدة عظمى, لكن لا ندركها إلا في وقتها, و كما يؤكد ذلك النص السّماوي التالي:
[تُحبّون شيئاً و هو شرٌ لكم و تكرهون شيئاً و هو خير لكم].

5- أن تستطيع أن تخلق كل ما تحتاجه في رؤياك:
في أحلامنا .. كل ما يصدر منا؛ هو في الحقيقة من صنع أيدينا, الناس؛ ألأشياء؛ ردود الفعل, هي تمثيل لأحلامنا, حتى الزّمن أو أي شيئ آخر, و في اليقظة كذلك هو نحن الذين نخلق ما نريد , تأمّل هذه النقطة قليلاً, فآلدرس الذي يؤكد عليه علماء الأخلاق و النفس هو :
[لو أردت أن تسمو بنفسك عليك أن تتصور نفسك و كأنك مُتَّ و تحوّلت إلى عالم آخر غير ماديّ خارج هذا الجسم الذي تملكه .. عليك أن تدقق في ذلك و تعييه جيداً , و عندما تنفصل عن الجسم سترى أنك أصبحت طليقاً في هذا العالم و لا توجد قوّة يمكنها أن تصدك عن هدفك

6- في عالم الرّؤيا ؛ ألرّدود واقعيّة, لكن آلمُتخيّليين و الأشياء أوهام فقط ..
في عالم آلرؤيا قد تحسّ اللذة و يظهر الجسم رد فعل مقابل ذلك .. كصعود ضغط الدّم, حالات الضحك و البكاء او الفرح و الحزنو سرعة ضربان القلبو أحمرار الوجه, كلهابسبب ردود الفعل مقابل الأحداث التي نواجهها في النوم , و هذا الأمر يصدق أيضا في عالم اليقظة, و عندما نواجه الحالات المختلفة ..

إذن .. ألافكار و التخليّلات تلعب دوراً هاماً في مواقفنا!

7- ألطريق ألوحيد لمعرفة أننا كنّا نحلم هو يقظتنا من النوم.. فلو تصرّفنا أننا كنا نحلم على مدى 24 ساعة في اليوم ؛ فإن ذلك النوم هو عالم الواقع لنا, و نحن فقط سنعلم أننا كنا نحلم لو جلسنا من نومنا, و هذا الأصل يصدق أيضا على عالم اليقظة!
عندما نكون قادرين على التصميم و أتّخاذ القرارات و التعامل مع آلآخرين؛ فليس هناك سبب لنجعل أعمال الآخرين تؤثّر فينا و تسيطر على أفكارنا .. ألنّاس الأذكياء يعرفون أنهم شيئ أكبر من هذا الجسم المحدود, و أنهم خلّاقون لكل الذي يحتاجونه و قادرون على الوصول إليه.
لذلك لا تجد في ثقافتهم شيئ إسمه .. [أنا آسف لأني لم أفي بوعدي بسبب آلآخرين].

أسباب ضعفنا أمام مقاومة ألمادّيات و الأصول السبعة ألسّابقة:

أسباب ضعفنا أمام مقاومة ألمادّيات و الأصول السبعة ألسّابقة:

نحن تعودنا أن نرى أنفسنا ضمن البعد المادّي فقط بسبب صعوبة المعيشة و الظلم الواقع على الشعوب بسبب الحكومات الإستكبارية, حتى تآلفناها بسبب عوامل البيئة و التربية و التعليم و حركة الناس الذين أكثرهم لا يدركون معنى الحياة و حقيقة الوجود و الفرق بين البعد المادي و المعنوي في الحياة, لذلك تطبعنا على طبيعتهم للأسف, و نسينا الطاقة الكبرى التي تتواجد في داخلنا, نحن نعتقد أن ما يعكسه ألمِرآة؛ هي حقيقتنا لا أكثر ..

- آلغرب و معظم حكومات العالم – تحاول أجراء عملية غسل الأدمغة Brain wash و يأتي الأعلام ليؤكّد دعاية معينة لتكريسها – أي مسألة المسخ - في عقول الناس و تسويق المنتوج بكونه مسألة عادية لا غرابة فيها, بحيث يجعلون الناس يصدّقون بأن تلك البضاعة – عملية المسخ - (كآلعطر أو أي جهاز كهربائي) هو الأفضل لهم بلا منافس, و يجب إستخدامه!

و هكذا عمليّة إصلاح الوجه أو عمليات التجميل بإستخدام ماكنات خاصّة ..
تغذية ألجّسم و إرتداء الملابس لنكون في راحة و سلامة و بآلتالي نوفق في أعمالنا, هذه الفلسفة يتمّ تلقينها بإتقان .. ليكون الغربيّ عاملاً لصرف و إستهلاك المنتوجات التي تنتجها الشركات العائدة للمنظمة الأقتصادية العالمية, و هكذا يتمّ معرفة نفوسنا على أننا بدنٌ ظاهر مع حواس ماديّة خالية من الروح .. بل قد يوجد هناك شيئ إسمه (الرّوح) لكن لا أهميّة لها!

و من هذا نرى الغربيون يَنظرون لأنفسهم على أنّهم أجسادٌ ظاهرة لا أكثر, بينما لدينا نفسٌ ذو أهميّة أكبر لأنها ممتلئة بآلمعنى .. لكنها غير مرئيّة و لا أثر له في وقائع الحياة اليوميّة لطبيعة الحياة المعاصرة الغير المتكافئة.

علينا التدقيق في هذا الأمر الأخطر على البشريّة بسبب سياسة و إعلام المستكبريّن .. لأنّها تسبب حالة (النهيلزم) .. حالة إحساس الأنسان بآلفراغ و العبثيّة .. بكونه موجود فارغ لا يحوي سوى شهوة البطن و ما دونه !!؟
نور الحقيقة في داخلنا .. لذا يجب أن نضيئ دواخلنا بتفعيل ذلك النور و الأيمان الباعث لإشعال ذلك النور.
و قد نبّهنا الباري تعالى كما المصلحين لهذا الأمر كآلتالي:
حيث قال تعالى : [لا يغيير الله ما بقوم حتى يغيّيروا ما بأنفسهم ...],
و قال العلي الأعلى: [ميدانكم الأوّل أنفسكم ؛ إنْ قدرتم عليها كنتم على غيرها أقدر].

و هناك قصّة معبرة , نلفت أنظاركم إليها للتعبير عن تلك الحالة و هي:

[كان شخصاً يبحث عن مفاتيحه الضائعة في الشارع الذي كان منوّراً بآلمصابيح الليلية المضيئة, و عندما جاءه شخص و سأله : ماذا تفعل؟
قال: أبحث عن مفاتيحي التي ضاعت, قال له: (هل تريد أن أساعدك بآلبحث عن مفاتيحك؟), فقال له : تفضل . فشاركه في البحث و بعد مضي نصف ساعة لم يفلحوا في إيجادها!
سأل صاحب المفاتيح الضائعة ذلك الرجل: (هل تستطيع أن تُحدّد لي مكان فقدك للمفاتيح؟).
أجابه: (لقد ضيّعتها في البيت), فقال الرّجل: (إذن لماذا تبحث عنها خارج البيت؟).
أجاب: (لأن هنا يوجد ضوء و مصابيح , أما البيت فأنه أظلم و لا يمكنني البحث عنه)]!!!

هذه القصة تبيّن لنا بآلضبط ما نفعله نحن و شعوب الأرض .. نحن نبحث عن طرق العلاج بإلقاء اللوم على الآخرين, أو البحث عن حلّ مشاكلنا في الخارج بينما العلّة في أنفسنا .. في دواخلنا التي نعيش و نفكّر , إنسانيّتنا توجد في داخلنا .. و مع هذا فأننا نصرف وقتنا و جهدنا للبحث عن مسائلنا و أمورنا خارج ذواتنا و أنفسنا, و السبب هو إن داخلنا أظلم و لا نستطيع بنور أفكارنا أن نضيئ دواخلنا!!

نحن نقف أمام هذا الأصل .. و المفروض أن نتمعّن كثيراً فيه و حوله, فكل ما نملكه نحن هو فكرنا, و إرادتنا لا أكثر , و نحن

لا نمثل شيئاً إلا الفكر و قوة الخيال , و من هذا المنطلق يجب أن ننطلق إلى الخارج و نتأمل ما يحيط بنا, علنا نستطيع أعادة صياغة حياتنا بشكل أفضل, بعكس الكثير من الشعوب التي ترى أن الحل يأتيهم من الخارج ؛ من المحتل ؛ من الجار ؛ من القوى العظمى, بينما الحقيقة هي أن الحل يكمن في داخلنا الذي أهملناه للأسف حتى تاه الحابل و القارب.

- علينا دراسة المحيط الذي حولنا, والمؤآومة و التآلف و المصالحة مع الأجواء العامة السائدة و عدم مخالفة الخطوط العامة في آلمجتمع, أو السير عكس التيار, لأن فعل ذلك يعني خروجنا عن طور المجتمع, و أننا أصبحنا شيئا عجيباً آخر و في مدار آخر.
كلّنا نودّ أن نكون عاديين, ولا نقع تحت إنظار آلآخرين لينتقدونا على بعض تصرفاتنا أو لباسنا أو أعمالنا.

ربّما نقضي العمر كله و لا نغيير حدود الجسم, بل و نتكوّر ضمن حدود الأطار الجسدي و قد نقضي العمر على هذا الحال و هذا بسبب طابع تفكيرنا الذي تعودنا عليه.

لأجل إيجاد التغييرات المطلوبة علينا لتغيير واقع الناس؛ علينا أولاً فهم أنفسنا من جديد, و تحليل شخصيتنا, و هذا يحتاج إلى رؤية ثاقبة و دقيقة و إنتقاد شجاع لأنفسنا و بإستمرار .. لكي نبدأ بآلتّغيير.

- لو حسبنا أنفسنا – وجوداً مادّياً صرفاً – و كما يريده لنا أصحاب المنظمة الأقتصادية العالمية – موجودات حيّة تلهث كآلعبيد لتأمين لقمة الخبز و العيش بلا أهداف و غايات كونيّة, و بآلتالي رتّبنا أنفسنا و أوضاعنا ضمن الموجودات المادّيّة ألأخرى, و أغضنا النظر عن أفكارنا الكسولة و المزعجة و سعينا لإثبات وجودنا عن طريق جمع المال و الثروة , و بآلمقابل تجميد الطبيعة الغير ماديّة و جعله بلا أثر و فعل في وجودنا إلى جانب تحديد حركة حياتنا على أساس المادّيات, و عندما نجد أنفسنا و قد تحولنا إلى موجودات لا تهتم سوى بنفسها فاقدةً للأحساس و الضمير و الوجدان و البصيرة مقابل الآخرين و بآلتالي فقدنا المعرفة الكونية التي لخصّناها في ثلاث محاور (1), و بآلتالي نظن أننا بإمتلاكنا للأمور المادية سوف نبرز للآخرين ألسّعادة, و هكذا نحدّد و نقيّم سلوكنا من خلال هذه مقولات كـ : (أنا أُأكد و أجهد ؛ أنا أعمل و أسدّد الوصولات ؛ أنا أعمل و أسدد أقساط البيت أو الشقة ؛ أنا أعمل لتسديد الدفوعات الشهرية ؛ و هكذا لتأمين الغذاء و الملبس و تهيئة ما يريدون, فماذا عليّ أو يمكنني فعله لهم أو للناس بعد هذا!؟
ألجّواب على السؤآل الأخير .. ماذا يُمكنني أنْ أفعل بعد؟ هو:
[عليك أن تكون أُذناً صاغية لهم و التحدث عن مرام قلوبهم, و مكنون نفوسهم, و ملأ الفضاء المحيط بهم بآلمحبة و العشق الألهي و كأن حالة من الرحمة و البركة و التآلف تحيط بكم جميعاً – أي تحيط بما يلي الجسم المادي الظاهر , يعني تحقيق الأتصال مع أرواحهم و بآلعمق التي هي وديعة الله تعالى عندهم و ترغيبهم لئن يجرّبوا الحياة من خلال فكرهم و وجودهم!].

عينا أن لا نغفل من دواخلنا ؛ من أعماق وجودنا, و نتناسى معاداتنا الداخلية, علينا ألتمسك بالمبدأ الفعّال الصحيح, وهو : [أنا أعتقد أن وجودنا آلحقيقيّ هو شيئ أبعد من هذا الوجود الترابي الذي سرعان ما يزول, نحن نملك شعوراً و إدراكاً و عقلاً جبّاراً داخل هذا الوجود الترابي, و إن ذلك الوجود الروحي هو الذي يجعلنا نشع بآلنّور و العطر و المحبة و آلامل من خلال جوارحنا, و بدون هذا البعد لا يمكننا أن نخلق وردة جميلة عطرة, و لأحياء و إبراز هذهالقوة ؛ يجب علينا الأتصال بآلمنبع الحقيقي للسلام و المحبة و النور و الهداية و هو الله تعالى عن طريق العبادات المختلفة و الطرق آلمختلفة كل حسب معتقده .. لأن الطريق إلى الله بقدر أنفاس الخلائق].

لكن علينا أن لا ننسى بأن هناك طرق أجدى و أسرع و أثمر يجب كشفها و معرفتها و منها و ربما أبلغها و أهمّها هو ما أشار له الأمام الجواد(ع), بقوله: [ألقصد إلى الله بآلقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بآلأعمال].

إن إهمال دواخلنا .. سيؤدّي إلى خلق حواجز سميكة مانعة قد يصعب كشفها و رفعها مع مروز الزمن , ممّا يحرمنا من نيل السعادة و تلك اللذة الكبيرة الخالدة الممتدة, لذا علينا الأتصال بآلناس و بآلمقرّبين و بصلة الرحم لأنها عوامل مساعدة على إذكاء الروح و القلب, فآلملاحظ اليوم .. إن أكثر بني البشر قد مات لديهم هذا البعد بسبب لقمة الحرام و المال الحرام و تسلط الشركات و الحكومات المادية التي تسعى لتحمير و إستعمار البشر بآلماديات للأستفادة القصوى من طاقاتهم و قواهم لمنافع

المنظمة الأقتصادية العالمية.

لكن هل هذا الدّليل يكفي لإقناعنا و رقودنا في وضعنا المادي المطلق هذا الذي يعيشه عالم اليوم!؟

- في آلعالم الماديّ من آلسّهل إلقاء اللوم على الآخرين و إتّهامهم, فحين تكون الأمور غير عادّية و تسير على غير ما يرام, بخلاف إرادتنا و مرامنا؛ فإننا نواجه الآخرين و من يحيط بنا بآلصياح و العويل و حتى التصادم الكلامي, و بكل سهولة نتّهم آلآخرين, و نلقي اللوم على الوالدين و على مَنْ يُحيط بنا أو على المجتمع ككل!

أمّا في عالم (الفكر) فنحن مسؤولون عن كلّ شيئ و نفكّر بآلطريقة التي تعجبنا و نكون مثلما نفكر , و لو رفضنا مسؤولية تحمل ما صنعناه بأنفسنا؛ نكون قد أغضضنا النظر عن القوة الكامنة في داخلنا لأجل بناء أنفسنا.

لكن لو علمنا أن فكرنا هو دوائنا و يمكنه أن يجلب لنا السعادة و يؤثّر و يؤثّر في حياتنا و حياة الآخرين, عندها نكون قد بدأنا حياة أكثر مسؤولية و أيجابية ..

و لو ركّزنا على أذهاننا أكثر , ففي هذه الصورة نكون قد تحوّلنا إلى شخص آخر أكثر قدرة و مسؤولية ..
ركّز في داخلك بعمق؛ سترى أنك قادرٌ على تحمّل مسؤولية أكبر في هذه الدّنيا وسيجعلك تشعر بوجودك و أهميتك أكثر فأكثر!

- قد تتلذّذ بآلنّوم بشكل لا نُحبّ معه أن نعود إلى عالم اليقظة, حتى لو أمكننا الحصول على بعض اللذّات في اليقظة ؛ لذا نفضل البقاء في عالم الرؤيا و لا نهتم بما قد يصيبنا في عالم اليقظة , فلو عوّدنا أنفسنا على ما يحيط بنا و تآلفنا معها, عندها لا نكون مجبرين لقبول الخطر و المفاجآت, و لو لم نقدم على تجاوز بعض المغامرات؛ سوف لن نكون مضطرين لأيجاد التحول في أنفسنا, فلو تحرّزنا من إيجاد ألتّحول و النّمو من حولنا, فأنه يُمكننا أن نلقي اللوم بشكل طبيعي على الدّنيا وعلى ما يحيط بنا, و هذه مسألة عادية ولا تحتاج إلى كثير عناء, لكنه يجعلنا فقط صامتين في أماكننا دون تغيير ..
في مكان قد يبدوا على الظاهر آمناً لنا .. و هذا موضع قد يستحيل معه أن نخدم أنفسنا أو الآخرين الذين نعشقهم ..

عندما نواجه المسائل ألرّوحيّة و الميتافيزيقيّة؛ نبدي قبالها مقاومة شديدة لأننا نخاف التحول و التغيير .. كوننا تعوّدنا عبر السنين أننا لا نؤمن إلّا بآلذي نراه يعيوننا و نلمسه بحواسنا, بحيث لا نصدّق وجود الشيئ إذا لم نلمسه من خلال حواسنا الخمسة, و لا نرى شيئاً آخر خارج هذا المدار, و من الضروري جدّاً .. ألتّخلص من هذا المانع آلنّفسيّ و الأستعداد إلى الإرادة المحركة لتفعيل الفكر , لنقول بَدَلَ [أنا أصدّق إذا رأيت بعيني]:
[أنا أراهُ – أرى الحقّ – عندما أؤمن به].

و بهذا العزم نكون قد بدّلنا تلك الحالة القلقة بحالة مستقرة و ثابتة في الرُّوح و النّفس.
و ليس سهلاً التخلص من هذه المصيبة التي هي مصيدة لتحجيم الرّوح و قوّة البصيرة!

فكيف نُخلّص أنفسنا من تلك المصيبة؟

كيف نُخلّص أنفسنا من فخّ المادّة؟

كيف نحفظ أنفسنا من فخّ ألمادّة؟

للأستقامة في طريق الحقّ و الأنسانية عليك أن تتعلّم بوضع نفسك في آلأتّجاه الذي تريده .. و تظهر وجهك بآلشكل الذي تأمله و ترضاه, و تظهر وجهك بآلشكل الذي تأمله و ترضاه, فلو مارست تمارين منتظمة لتعليم الموسيقى يومياً ؛ فأنك بعد حين ستُتقن ألموسيقى, و هكذا الأتجاهات و المهن الأخرى.

في كلّ ليلة و قبل آلذهاب إلى فراش النوم عليك أن تصوّر في ذهنك صورة عن نفسك حسبما تريد؛ فلو أردت أن تبني جسمك و تكون رشيقاً مع وجه مشعّ فعليك أن تجسم ذلك في مخيلتك, و يمكنك تكرار ذلك خلال النهار كتمرين لتقوية هذا الجانب , حتى تُثبت الصورة في ذهنك.

الهدف هو التركيز عل الصور الأيجابية الثابتة في الذهن, حتى تصل لمرامك و تحقق مراحل أعلى!
أبداً لا تتصور نفسك شخصاً ناقصاً أو ذوعاهة, بل صوّر و تأمل في نفسك تلك الصورة التي تحبها!

على الدّوام .. و في كل يوم و بدل أن تراقب تصرّفاتك الظاهرية عيك ملاحظة أفكارك لأنها هي المسؤولة عن تحديد حركاتك و تصرفاتك من الداخل, لا تكرر مع نفسك أفكاراً سلبية أبداً , لأنك سوف تتطبّع عليها و تكون كذلك بعد فترة و بآلتالي ستصبح سبباً لهزيمتك.

ألآن غيّر أفكارك و تصوّر نفسك إنسان حرّ لا يطلبه أحد و لست مديناً لاحد, و إنك قادر على حل مشاكلك المالية و الأقتصادية و الأجتماعية؛ و ستنال ذلك حتماً, و كذلك علاقتك مع عائلتك و زوجتك فلو تصورت أنك قادرٌ على أصلاحها و هدايتها ؛ فأنك ستنجح و سوف تجهّز قواك ا لفكرية والعقلية بذلك الأتجاه(1) , أما لو تصورت أنك غير قادر على ذلك فستكون كذلك حتماً, و سيحلّ بدل المحبة و العشق ؛ الكراهية و الأحقاد و الخيانة و الهجر في النهاية.

- عليك أن تتصور أن الظروف المحيطة بك لا تصنعك و لا تُصقل شخصيّتك, بل أن المحيط تبرز ما هو موجود بداخلك, علينا أنْ نُرِىَ الآخرين أعمالنا و مواقفنا .. لا فقط أقوالنا و كما يقول الأمام ألسّجاد(ع): [كونوا لنا دعاة صامتين بغير ألسنتكم].

عندما أريد أن أوصي أحدا؛ يجب أن أكون أنا عاملاً به أولاً كي يكون مؤثراً, و إلا فذلك مجرّد كلام في الهواء ولا يدخل القلوب, قال تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون , كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون](2).

و كذلك عندما أريد أن أوصي أحداً يجب أن أنقل لهم تجربتي الحية لتكون عملية مؤثرة , و هذا هو في الحقيقة ناتج عن الفكر.

- عليك أن تتيقّن أن أفكارك ليست تابعة أو وليدة قانون (العلية) أي العلة و المعلول التابعة للواقع المحيط الذي تعيش فيه, و إن الأفكار ليست لها حدود ولا زمان و لا مكان و لا تحده الجغرافيا و التأريخ و آلأزمان, و أنك بإمكانك أن تلتقي مع أيّ كان, و تحدّد معه أية علاقة ترتأئيها, و تستطيع أن تجعلها ذو فائدة لنفسك و عليك أن تعرف أن كل إنسان مخلوق يكتنز بداخله روحاً هو أبعد أثراً و مدى و قدرة من الجسم المادي المحدود القدرات و الأفعال التي نراها .. حتى الذين نعشقهم, فأنهم يملكون جسماً مادياً – ترابيّاً مشتركاً كما نحن – و إن الروح الإلهية الكاملة و المتعالية مودعة فيها , و من خلال تلك الروح تستطيع أن تؤمن الأتصال و التناغم معهم, و سترى أن علاقتك من هذا الطريق سوف ينمو و يهتدي و يسمو إلى درجات أعلى, و كل إنسان يمتلك تلك الروح حتى الغربة , و علينا النظر لهم بأنهم عباد الله و خلقه و علينا التعامل معهم من خلال هذه النظرة.

(1) ألأبيات الشعرية لـ (هاتف الأصفهانيّ)* أدناه؛ تُعبّر عن ما عرضناه بدقة و ببلاغة عظيمة, حيث تعني أنك تشهد ما تُفكّر به إنْ خيراً فخير و أن شرّاً فشرّ لا سامح الله, و تعنيّ؛ إنّ ما يراه قلبك (بصيرتك الباطنة) ستراه على أرض الواقع, و هي:

چشم دل باز كن كه جان بيني آنچه ناديدني است آن بيني
آنچه بيني دلت همان خواهد وان چه خواهد دلت همان بيني
گر به اقليم عشق روي آري همه آفاق گلستان بيني
بر همه اهل اين زمين به مراد گردش دور آسمان بيني

(2) سورة الصّف/2.

ألفصل ألثّالث
وحدة آلوجود

ألمُقدّمـة:

معظم الأديان و المذاهب و حتى الفلاسفة بما فيهم القدماء – فلاسفة اليونـان – يعتقدون بوحدة الوجود إلا مذهب أهل السّنة فقد أنكروا ذلك بل و إعتبروا المعتقد به كافراً!

عموماً يدلّ صورة العالم و هذا الكون اللامحدود على الأكثر على عظمة الله و الأنسان يدلّ على جمال الله و عشقه لهذا المخلوق, و وحدة الوجود يعتبر مذهب فلسفي, يقول بأنّ الله و الطبيعة حقيقة واحدة، و أن الله هو الوجود الحقّ، و يعتبرون الله صورة هذا العالم المخلوق العظيم الذي يظهر عظمته تعالى كما الأنسان يظهر صورة جماله بأخلاقه و هدايته و صفاء قلبه، أما مجموع المظاهر الماديّة فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته, و هي فكرة قديمة تعود جذروها لعصر اليونـان القديم .. أعاد إحيائها بعض العلماء المتصوفة أمثال: ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني و جميع من علماء الأسلام بجانب الذين تأثروا بالفلسفة الأفلاطونيّة المحدثة و فلسفة الرواقيين و غيرهم, و [يعتبر بعض علماء أهل السنة و الجماعة مَنْ يعتقد بوحدة الوجود؛ أنـهُ زنديق خارج من دين الإسلام!](1).

ولقد نادى بوحدة الوجود بعض فلاسفة الغرب من أمثال سبينوزا وهيغيل الذين تأثروا بفلاسفة اليونـان القديم القائلين بوحدة الوجود, فأهل الوحدة يعتقدون أنه لا وجود إلا الوجود الواجب، وهو وجود واحد لا يتعدد ولا يتكثر، وأما العالم فهو موجودٌ بنفس وجود الله تعالى، لا بإيجاده، بمعنى أن العالم إنما هو صورة ومظهر للوجود الإلهي، و لم يحدث وجود العالم بعد عدمه، بل الحادث عندهم إنما هو ؛ [صورة العالم بعد عدمها، والصورة عين المظهر الإلهي، ولذلك يقولون إن الله تعالى تجلى لنفسه](2).

---

(1) راجع كتاب: (الرد على القائلين بوحدة الوجود)، الملا علي القاري، ص 145.
(2) ألأستاذ العلامة المتقن (سعيد فودة) في مِـنَــحُ الوَدُودِ في بيــَـانِ مَـذْهـَبِ وحْدَةِ الوُجـُـودِ.

آفاق وحدة الوجود:

آفاق وحدة الوجود:

ألحقيقة الغائبة:

لنتأمل قليلاً كلمة [يونيفرسال] بمعنى الكائنات ؛ هذه الكلمة توصف لنا عالماً ماديّاً عظيماً و كبيراً, و التي نحن فيها نتفس و نتفكر في كل لحظة , و لو قسّمنا هذا المصطلح إلى قسمين؛ (يوني) بمعنى واحد, أو وحدة, و القسم الثاني؛ (فرس), بمعنى (ألّلحن) أو الصوت أو (أغنية) أو (نغمة), و بألمجموع يعني (صوت أو نغمة واحدة), أي إن كل الكائنات , أنا و أصدقائي و كل موجود في الكون على رغم واقعية الفصل و التفرد بشكل أفراد في تلك الأغنية المشتركة ذات النغمات المتجانسة مشاركون!

إنّ فهم الحقيقة أعلاه و تأثيره في ا لحياة العادية ؛ واحدة من أصعب المسائل في حياة الأنسان, لذا فنحن تفرّدنا بأنفسنا و تمحورنا على ذاتنا بشكل عجيب و إعتقدنا أننا متفردون و كيان مستقل نعمل منفردين بين مليارات من آلبشر من حولنا!

نحن إنحصاراً و عن طريق الذهن تعرّفنا أو عرفنا أنفسنا أننا مستقلون عن الآخرين في هذه الأرض, نحن ننظر إلى العالم من خلال إنفرادنا في هذا العالم, و نتصوّر أنّ النظر و التماس و ا لتفكر بآلعالم و السير و السياحة في الواقع لا يتمّ إلّاَ من خلال هذه القناة لا غير!؟

لأجل سوق الذّهن إلى موضوع عالمية وحدة الوجود ؛ نحتاج إلى تحوّل كبير , و بعد إيجاد هذا التحول؛ سنرى جميع البشرية قلباً واحداً عبر نشيد واحد و نغمة جميلة موحدة في إيقاعات منسجمة ليحدث تحولاً عظيماً في حياتنا الشخصية والأجتماعية, و لتحقيق هذا التحول يحتاج إلى أنْ نطرح خارجاً كل المعتقدات ألناشئة من قصر ألنّظر التي رافقتنا و تعودنا عليها خلال مراحل حياتنا و إبدالها – المعتقدات - بعلاقة جديدة و منفتحة مع آلآخرين الذين يعيشون معنا, و أيّ إنسان آخر كان يعيش من ذي قبل في هذا العالم , و حتى الذين سيأتون في المستقبل!
فما هي تلك الصورة البديلة – ألجديدة – لموقفنا من هذا اللحن الكوني المشترك!؟

ألفلسـفة الكونيـة بين ألكَثـرة و آلوحـدة:

تهدف فلسفتنا الكونيّة إلى تحقيق ألوحدة بدل الكثرة .. عبر بيان ألأسس ألنظريّة المعرفيّة لمعرفة و توحيد الله تعالى لتحديد و رسم ماهية القوانين و الدّساتير العصرية على أساس محو الطبقية و إحلال المساواة و العدل و حفظ الكرامة الأنسانيّة المهدورة بدل ذلك بسبب الدساتير الحالية التي تهدف تحقيق مصلحة الحاكمين بآلدّرجة الأولى.

ألهدف ألكونـيّ بآلنسبة للعلاقة بين آلكثرة و الوحدة هو:

إنقاذ العالم و تحويله لمجتمع (آدَميّ) موحّد؛ مُسالم؛ مؤدّب؛ مُحبّ؛ مُتسامح؛ كريم؛ و مُنتج, و يتطلّب هذا الأنقلاب العظيم؛ تجاوز و تبديل ألحالة (الحيوانيّة) التي وصلها الناس إلى الحالة (البشريّة) ثمّ الحالة (الأنسانيّة) كمقدمات لتَحَقُّق الحالة (الآدميّة) التي معها نتخلّص من آلتكبر و عبادة النفس و الحزب و المنظمة و آلألقاب و الشخصيّات, و بآلتالي محو الفوارق الطبقيّة والحقوقيّة و العرقيّة و العشائريّة و آلنّجاة من المسخ الذي تعرّض لهُ الخلق لفقدانهم ألنظام الأجتماعيّ ألأمثل .. ألمُسيّر و المحكوم بالقوانين العادلة التي تستند على مبادئ (ألفلسفة الكونيّة العزيزية) لهداية الوضع الأجتماعيّ والأقتصاديّ والسّياسيّ والعلميّ والماليّ والتربوي ألمحكوم حالياً و للأسف بقوانين (المنظمة الأقتصادية العالميّة) لتأمين منافع المستكبرين بواسطة الحكومات الحزبية الحاكمة, لأنّ معرفة الناس بمعنى و أسباب (ألتّكثّر و آلتّوحد) وسبب فساد واقعهم و حقوقهم و كرامتهم و سبب وجودهم و مصيرهم؛ تُعينهم على آلتخلق بآلأخلاق الفاضلة التي وحدها تُثبت وجود الله(1) لدرء ألظلم و الفساد و الأستغلال الذي نشره و يُنفذه ألأحزاب و العشائر ألحاكمة في أكثر من 256 دولة لتحقيق مصالح ألمستكبرين بعناوين مختلفة, لذا نُهيب بالمثقفين و الأعلاميّن و الأكاديميّن ألذين إبهرتهم و للأسف الثقافة السطحية السائدة و الرواتب و الأمتيازات المغرية و باتوا يأملون كغيرهم الفوز بالمناصب بشتى الوسائل لتكرار نفس المصائب و الفساد بعناوين و شعارات أخرى ليزداد الطين بلة و كما وقع في العراق, و نتمنى منهم ألأرتقاء لمستوى الآدميّة لدرك (فلسفتنا الكونية) كحصن حصين و آلسَّعي لتحقيقها لمعرفة أسرار الوجود تمهيداً لدولة ألموعود, وبغير (فلسفتنا الكونيّة)(2) لا فائدة حتى لو ثار كل الناس في العالم!

لذلك ألفلسفة الكونيّة لازمة لكل باحث و عالم و مفُكّر و مرجع!

لماذا (ألفلسفة الكونيّة) لازمة لكلّ باحث و عالم و مُفكّر و مرجع!؟

بإختصار شديد؛ (ألفلسفة الكونيّة) و بآلنّظر لأهدافه الإنسانية ـ الآدمية؛ هو نهجٌ كونيّ جديدٌ لتعريف ألعالم بأسرار الوجود و الخلق و الجّمال وحقيقة (العشق) و (آلمعشوق)(3) ودور العدالة في تحقيق السعادة, وهو ختام للفلسفة بعد طيّ المراحل الفلسفيّة (ألستّة)(4) التي مرّت بها البشريّة, منذ وصيّة آدم التي أتى بها من آلجّنة مروراً برسالة خاتم الرّسل وإلى يوم بزوغ شمس (فلسفتنا الكونيّة ألعزيزيّة) ألتي رافقت إنتصار الثورة الأسلامية و التي صرفنا عمرنا لأجلها لتكون فيصل كونيّ وفرقاناً لحياتنا و وجودنا ألذي ظهر لحظة الأنفجار العظيم قبل 14.5 مليار سنة ضوئية و توالت فيه تكوين المجرات التي كانت تصطدم مع بعضها لتلقف الثقوب السوداء مخلّفاتها, حتى خلق الأرض قبل 4 مليار سنة بعد تلك التفجيرات و التغييرات, تبعها ظهور النباتات و الأشجار و المياه و المخلوقات و الحيوانات بعد 3 مليار سنة, و بعدها هبط آدم و بدء النسل البشري الحاليّ على الأرض قبل أكثر من 10000عام, ثمّ بدأت الحضارة التي سُميّت بـ (الحضارات الأنسانيّة) و هي ليست كذلك .. هذا بسبب ألحالة البشريّة؛ و لم يتطور البشر لمرحلة الأنسانية إلاّ (يوم قرّر ولأوّل مرة إلقاء كلمة بدلاً من حجر), لكنّ تلك الحضارة التي أساسها الأديان بآلمناسبة .. قد إنحرفت لأسباب جوهريّة في ماهيّة الفكر إلى جانب أطماع البشر الذي لم يسعى لتهذيب نفسه, و قد عرضناها تفصيلا, ثمّ إنبثاق عصر (الفلسفة الكونيّة العزيزية) المباركة أخيراً كختام للفلسفة مع بدء الألفية الثالثة, لبيان و معرفة أسرار الوجود للبقاء و الخلود بعد التوحد بدل الكثرة السائدة الآن.

إنّها (الفلسفة الكونيّة) التي معها يعيش المُحِبّ ألكمال و آلصّفاء ألرّوحيّ ليضفي على حياته معنىً كونياً عميقاً و حقيقياً بلا حدود و قيود ليكون معها خليفة الله في الأرض بدل المظاهر و الشكليات و المتعلقات ألماديّة – آلمجازيّة ألسائدة و آلأفكار الضّيقة ألماديّة المحدودة, لهذا لا بُدّ لكلّ مهتم بآلثقافة و الفكر و الفلسفة و العلوم و الدِّين؛ أن يفهمها و لو كلّياً لينسجم معها ضمن مسعاه الحركيّ الوجودي بإتجاه التّوحد, خصوصاً المثقفين الكبار و المفكرين والدّعاة و مراجع الدِّين الحقيقيين ألذين يريدون العدالة بدل الظلم السائد حتى في البيوت و بداخل الأنسان نفسه, و يتحقق العدل بدرء الأطر العشائرية و الحزبية و المذهبية والأثنية والعرقية و الفئوية و الحزبية التي يدعو لها مستكبري العالم والتي تُحجّم العقول و تُتعب القلوب و تُعقّد و تقتل روح المحبة وتُفرق الشعوب ليحلّ بدلها روح العنف والخصام والشّك والسلبية, ليعيش كآلعبيد بحسب مراد الحاكمين بآلأقتصاد العالميّ الذي أخلّ بآلتعايش وكثّر ألأزمات والحروب ليبقى البشر متعصباً محدوداً منهمكاً بأطرٍ زمكانية تنتهي ببطنه وما دونه لإبعاده عن ألمعرفة العلويّة كمرتكز لفلسفتنا ألتي بها تُطبق العدالة لنشعر لذة الوجود والعشق والمودّة التي وحدها تستحق ألعيش لأجل الخلود.

خلاصة الكلام : (أوجدَ الله ألكَثرة من الوحدة, وعلينا؛ السعي للوحدة من تلك آلكثرة التي تزيد إنشطاراً وتعقيداً مع الزّمن).
ألفيلسوف الكونيّ

---

(1) راجع مباحثنا المتعددة ضمن الفلسفة الكونية, و منها المقال المركز بعنوان: [وجود الله رهين الأخلاق] في (كوكل) موقع شبكة الدانمارك و غيره.
(2) للأطلاع على مبادئ و أسس الفلسفة الكونية العزيزية؛ إقرأ سلسلة مباحثنا بعنوان: [فلسفة الفلسفة الكونيّة] و[عصر ما بعد المعلومات], مع المقالات المتعلقة.
(3) فلسفتنا الكونيّة, تُفرّق بين العشق الحقيقي و المجازي, وحتى المحبّة الشديدة التي تعادل العشق كما وصفه القرآن الكريم و كذلك مع المودّة, فهذه التعاريف الأساسية قد ساء الناس فهمها بسبب إنتشار المبادئ الفلسفية السابقة ودواوين الشعر والرّوايات التزويقية الهلاميّة ألغير ألهادفة ألمحدودة الآفاق حين خلطوا أنواع العشق مع المحبّة والمحبة مع المودّة:
Affectation أو Affection
(4) ألعصور ألفلسفيّة تشكّلت من ستّة مراحل حتى (فلسفتنا الكونيّة) التي مَثّلتْ ألمرحلة آلأخيرة لأنقاذ ألعالم بإذن الله و هي:
ألعصر الأوّل: تشير ألنّصوص ألتأريخيّة إلى أنّ بداية ألفلسفة ظهرت فِي آلقرن ألسّادس قَبلَ الميلاد, و هي ألفترة – ألمُتزامنة مع ظهور ألألواح القديمة المتعلقة بألدّيانة أليهوديّة، وَتناوَلت تلك ألفلسفة مَواضيع عِدّة مِنها: (ألفلسفة آلسّياسيّة؛ والأخلاقيّة؛ وعِلمُ الوُجود؛ والمَنطِق؛ وعلمُ الأحياء؛ الرّياضيات؛ ألكيمياء؛ والبلاغَة؛ وعلمُ الجّمال؛ وغيرها مِنَ المَوضوعات)، وَتُمثّل هذه ألفترة بداية ألفَلسفة آليونانيّة, وَتَمّت فيها مُناقَشَةِ الكثير مِنَ القضايا: كعلمُ الوُجود و خلود النفس

و أصل ألذات, و يطلق على هذا العصر (فلاسفة ما قبل سقراط), حيث شمل الفلاسفة اليونانيون كحكماء الإغريق السبعة ألبارزين ألذين نشطوا قبل ظهور نجم أوغسطين ثمّ سقراط و تلامذته.
ألعصر الثاني: ألفلسفة الأوغسطينيّة, ولد في 354 ق.م وعرفت بعصر ما قبل سقراط.
ألعصر ألثّالث: فلسفة سقراط.
ألعصر الرابع: فلسفة أفلاطون.
ألعصر الخامس: فلسفة أرسطو.
ألعصر السادس: ألفلسفة الحديثة.
ألعصر السّابع: ألفلسفة ألعزيزيّة (ألكونيّة) وتمّ معها إعلان ختام الفلسفة مع بداية ألألفيّة ألثالثة.
الهدف النهائي منها ؛ لتحقيق ألعزّة والكرامة و الحرية للنّاس بدل العبودية و الأسر و القهر.

ألصورة الجديدة لواقعنا في هذا الوجود:

ألصورة آلجديدة لواقعنا في هذا الوجود :

بيّن (آلبرت آينشتاين) و هو أذكى عقلية ظهرت خلال القرن الماضي(العشرين) مع فيلسوف آخر مظلوم هو الصدر الأول الذي ظلمه حتى المقرّبين له و من المدّعين المنافقين لنهجه لتحقيق طموحاتهم المحدودة ورواتبهم و تقاعدهم الحرام, حيث تكّلم – آينشتاين - حول هذا الموضوع, وهو في الحقيقة لا يختص بعلم الفيزياء فقط؛ بل كان عالماً في المجالات الكونيّة بما فيها و كذلك بعلم الأجتماع و علم معرفة الأنسان و غيرها – و قد تكلم حول تلك المواضيع الهامة و المصيرية, حيث قال:

[ألأنسان هو جزء من هذا الوجود الكلي الذي يسمى بآلكائنات, و يتواجدون في مكان و زمان محدود, و الأنسان يعرف في نفسه عاداته و أفكاره و تصرفاته و أإحساساته كظواهر منفصلة عن الآخرين, و هذا ناشيئ من خطأ في مسألة الوعيّ ..
و هو خطأ ذهني أيضا و هذا الخلط الذهني سيُولّد لنا سجناً ضمن جدران محدودة في بيت واحد منعزل عن الوجود كله, وإن رسالتنا يجب أن تكون عبر بسط آفاقنا و نظرتنا و توسيع دائرة المحبة و الشفقة , لكي نحرّر أنفسنا من هذا السجن, و نستبدلها بضمّ جميع المخلوقات الحية و كل الجمال الطبيعي في وجودنا].

كان آينشتاين مُفكّراً حسّاساً و فيلسوفاً بارعاً .. يرتقي لمرتبة الكونيّة التي لم تفصلها سوى درجة واحدة ليكون عارفاً حكيماً, على عكس المعرفة الكليّة التي يعرفه الناس من خلالها .. هذا بحسب تصنيفات (الفلسفة الكونية العزيزية), لأنه كان ذو فكر عميق مبني على أسس علمية و جوهريّة تتعلق بأصل الوجود و ماهيته و طبيعته للوصول إلى عمق الحقيقة التي لا يعرفها الناس و حتى علماؤوهم للآن.

لقد كانت دعوة (آينشتاين) هو التحرر من قفص الذّهن , لكي يمكننا أن نُؤَمّنْ إتصالنا مع الكائنات و الوجود المحيط بنا ..
لأن آلأتصال الروحيّ و المعنوي ليس كافياً .. إنه بحاجة إلى التعميم على مستوى الحياة المادية و الواقعية أيضا, بجانب الأحاسيس و الأبعاد الروحية و الطقوس العبادية التي أنهمك (الفقهاء و المراجع) عليها فقط, فتسبّبوا بتجميد الدين و تحويله إلى شبه دكان للتجارة.

لقد إبتكرت في نفسي طريقة جديدة في آلذهن و إسأل نفسي إبتداءاً: هل بإمكاني أن أقف بعيداً لكي أرى هذا العالم كلّه بمجراته و مجموعاته الشمسية و ثقوبه السوداء و الحمراء ..

مع نفسيّ أُجَسّم ألموقف بأني أستطيع أن أقف في نقطة (موقع معيّن) لأرى من خلالها كلّ العالم , و هذا العالم هو عمل غير ممكن مع آلجسم المادي الذي أحمله , لذا أسعى في الجهة الأخرى .. لملاحظة أصغر ذرّات الوجود وحتى تكوينات نواتها!

و إن الوجود و ما تحويه مكونات تلك الذّرات .. لكي أكبّرها و من ثمّ أتحرك و أنتقل بحرية إلى ما لا نهاية.

يقول (فيكتور هوكو) : [في النقطة التي يتوقف التلسكوب جانباً .. و نبدأ عملنا بـ (الميكرسكوب) و عن طريقة ننظر – لنُلقي نظرة – على الكائنات المجهرية .. في البدء ننظر إلى شيئ معروف لدينا و هو البدن(الجسم) الذي نراه هنا .. و هو أنّ (أنا هو نحنُ) و هذه خلاصة القضية.

و آلآن نلقي نظرة من خلال الميكرسكوب (ألأفتراضي) على الكائنات من حولنا ..
حتى أبداننا مكونة من الجزئيات و الخلايا الحية و الخلايا الحية مكونة من جزئيات أخرى و جميعها لازمة لأدامة الحياة, و بآلتالي لأداء رسالتنا الكونية التي خلقنا لأدائها على أحسن و أكمل و أشمل وجه .. لا أن نموت و لم نعرف و لم نشهد سوى أرنبة أنوفنا و ما نضعه في أفواهنا كيفما كان و من أي مصدر سواء بآلحلال أو الحرام لملأ بطوننا ثمّ إنزاله في رحم فاجرة أو مؤمنة ليكثر النسل بلا جدوى لتكرار الآلام و المآسي بنفس نهجنا السابق , لأنّ الحيوانات هي الأخرى تعرف كيف تتكاثر.

أهمّ ألمقولات الكونيّة التي تساعدك لتحقيق هدف الكتاب :
[عندما تغدو المتعة عملنا اليومي، لا تغدو متعة بل عادة].
[من المفيد أن نضع علامات استفهام بين الحين و الأخر على الأمور المسلّم بها].
[لحظات من الخلوة و التأمل تحقق لي الهدوء و التوازن و التركيز ، و تدفع في نفسي قوّة هائلة لمواصلة الطريق].
[كل الأشياء فيها غموض لا ندركه إلا حين نحاول رؤيتها بشكل واضح].

[لو كان الإنسان يستطيع أختراق تفكير الآخرين؛ أعتقد انّ الصداقة ستذوب كما يذوب الثلج تحت أشعة الشمس].
وهذه المقولة تشبه الحديث الوارد عن المعصومين: [لو تكاشفتم ما تقابرتم], لعدم سعي البشر الإرتقاء نحو الكونيّة.
[أحد أعراض قرب الانهيار العصبيّ هو إيمان المرء بأنّ عمله هام للغاية].
[عقولنا مخازن كبيرة ، يجب أن نفرغها من الهموم كل فترة].
[إن الأنسان يشعر بالهدوء في مواقف الخوف عندما يتخيل أسوء ما يمكن ان يحدث ، و يقنع نفسه بأن حياته لن تنتهي].
[ديمقراطياتنا العظيمة ما تزال تميل إلى الاعتقاد بأن الغبي أكثر ميلاً للأمانة من الماهر].
[القليل جداً من الحرية يجلب الركود ، والكثير جدا منها يجلب الفوضى].
[معظم الناس يفضلون الموت على التفكير .. و في الحقيقة فإن هذا ما يفعلونه].
[الديمقراطية عملية تمكن الناس من اختيار الرجل الذي ينال اللوم].
[الحرب لا تحدّد من هو المصيب، بل تحدد فقط من هو الباقي].
[أحد العناصر التي لا غنى عنها للسعادة هو افتقاد المرء لبعض ما يريد].
[كل شخص تُطوّقه أينما ذهب سحابة من القناعات المريحة التي تتحرك معه مثل الذباب في يوم من أيام الصيف].
[الأكثر نجاحاً هو مَنْ تتوفّر لديه أفضل و أحسن المعلومات].
[الأنسان الذي يمكنه إتقان الصّبر يمكنه إتقان أي شيئ آخر].
[الفكرة بإختصار؛ صع هدفاً و لا تتخل عنه حتى تُحقّقه].
[التّفكر مع التركيز أساس كل نجاح في كل المجالات].

لكن أهمّ نقطة تجب الإشارة إليه في نهاية البحث, يتعلّق بـ [التخريب الحضاري و المدني] الذي يتسبب به البعض خصوصاً السياسيّون و رجال الدّين عند سرقة الأفكار و إظهارها أمام الناس و كأنهُ مبدعها, فيبدأ بتفسيرها و إعمالها بحسب عقل حزبه الذي عادة ما لا يستوعب سوى بعض أجزائه و بحسب فهمه الذي سيُسبب الخراب و الدماء الحضاري و المدني معاً:

[تقرير رجل غبيّ عمّا قالهُ (فيلسوف) يستحيل أن يكون دقيقاً لأنّ الغبيّ يقوم لا إراديّاً بترجمة ما يسمعهُ إلى ما يُمكن أن يفهمهُ].

قبل الختام

وقبل الختام؛ قال خاتم آلأنبياء و آلمرسلين (ص):
[لا يُؤمنَ أحدكم حتى يُحبّ لأخيهِ ما يُحبّ لِنفسه].

حديث نبوي لو تمّ تطبيقه لوحده لَحَلّ بشكل طبيعي معظم المشاكل ألبشرية و الأنسانيّة القائمة اليوم, بدءاً بآلبشر و بآلأنسان لوحده ثمّ العائلة ثم المجتمع ككل ثمّ آلأمم و حتى الأنسانية في كلّ الأرض!

أنه يربط الإيمان باللهّ بحُب عمل الخير للاخرين و محاربة الانانية بجميع أشكالها, فالإيمان بالله واعتناق الاسلام ينبغي ان تعززها النية – أيّ الفكر – قبل أيّ شيئ آخر و ذلك بحُبّ عمل الخير للغير بل و أكثر من ذلك و هو آلأيثار الذي خصّ لهم الباري مكانة خاصة بتميّزهم بقوله: [و يؤثرون على أنفسهم و لو كانت بهم خصاصة], فمثلما يُحبّ الانسان الخير و النفع لنفسه؛ عليه أن يتجرّد من الأنانية و يُحب الخير بآلمقابل لغيره.

ينبغي ان لا ننسى بأنّ الانانية و حُبّ آلتسلط و التّكبر ألنّفسيّ؛ هي التي أخرجت إبليس من الجّنة, و لم يشرك بالله إنما إستدل بآلقول : [انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين], و بذلك يكون حب النفس و التكبر هي أساس المحن في العالم و الوجود, بحيث أوصله لئن يخاطب بسببهِ خالقه الله تعالى بلا أدب مشيراً إلى خلق الله لآدم أبو البشر: [قال ما منعك أَ لَا تسجد إذ أمرتك, قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين, قال فاهبط منها, فما يكون لك أن تتكبر فيها فإخرج إنك من الصاغرين].

أي إنّ الانسان إذا لم يتعاون و يساعد اخيه الانسان فسيكون شانه شأن إبليس مُحاولاً التكبر و الظهور عليه بآلتمكين مالياً و سلطوياً و ما من شأنه أنْ يميزه و طبقته, و من هنا ظهرت الطبقيّة التي تؤثّر بآلعمق بالكرامة الأنسانية - الألهية و حريته.

لقد أرسى آلرّسول الخاتم قاعدة التضامن و التعاون و التكافل الإجتماعي بين الناس و حتى الشعوب و الأمم في اليسر و العسر .. و بوجود آلدّولة الإسلامية من عدمها, بحيث جعل هذا التعاون الماديّ و التضامن الرّوحي بين الناس متعلقاً و مرتبطاً بالإيمان بالله و الإسلام مباشرة, فمن خلال مقدمة حديثه الشريف عندما قال : [لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه]؛ يوضّح أهمّية محاربة الأنانيّة و حُبّ الخير للاخرين .. فالإيمان لا يستقيم و لا يُعرف دون عمل الصالحات!

قال تعالى : [لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تُحبّون, و ما تنفقوا من شيئ فإن الله به عليم](1), و هذه الآية الكريمة تؤكّد مرّة أخرى مع الكثير من الآيات الكريمات المترادفات؛ بأن الانفاق إنما عطاء إبتغاء مرضاة الله واعتبار ذلك الانفاق واجب شرعي, لذلك يجب أن يكون ممّا نحبّه لانفسنا من نوعية جيدة في الطعام والشراب والملبس, فكل ما ننفق يعلمه الله كثيره وقليله وسيكون لنا حصنا وشفاعة يوم القيامة.

و ان ما تعانيه البشرية اليوم هي تزايد النزعة الأنانية بسبب عنصري او عرقي مرده النفس التي تريد التكبر و العلو و الفساد, و هذه النزعة ولّدت الطبقية, و خلقت ملايين من المحرومين و الفقراء الذين يتضرعون جوعاً نتيجة سرقة حقوقهم من قبل المنظمة الأقتصادية العالمية التي تسيطر على الحكومات التي لا تفكّر الا بسعادة نفسها و من يحيط بهم, بعيداً عن مصالح الشعب و عموم الناس, ولا تفكير بمصير الملايين – بل المليارات - التي تبحث عن رزقها دون طائل.

ختاماً : إنّ مجرّد تفعيل ذلك الحديث في حياة آلناس العملية؛ سوف لن يبقى جائعاً أو فقيراً أو مشرّداً أو مريضاً في الأرض.

ألخاتمة

ألخاتمة:

و في الختام: سُئِلَ آلعــارف ألحكيــم:

كيفَ آلسّبيلُ إلى السَّلامةِ من النَّاسِ؟
فأجاب : تُعطيهم و لا تأخذ منهم؛
و يؤذُونكَ ولا تُؤذِّهم؛
و تقضِي مصالحهُم .. و لا تكلّفهم بقضاءِ مصالحك؛
و علّمهم الحِكم و آلمواعظ و لا تنتظر ألشُّكر منهم!
قيل له: إنَّها صعبةُ للغاية .. أيّها العارف الحكيم, فحتى الله تعالى قد أوجبَ على مَنْ أُحسِن إليه الشكر للمُحسن؟
لأنّ [مَنْ لم يشكر المخلوق لا يشكر الخالق].
قال العارف الحكيم: ألله تعالى فرض الكثير من الأحكام و آلآداب علينا؛ لكن مَنْ يلتزم بها؟
و ليتكَ تَسلم فوق ذلك من آذاهم أيّها المُحسن!؟
و لا تسلم .. إلّا بعد (نكاحِكَ)!

و لهذا كان (كورونا) كما الكوارث و الأعاصير و الفيضانات و الأوبئة؛ غضب الطبيعة و قد إجتاحت الأرض .. و كان حقّاً طبيعيّاً لمن ألقى السمع و هو بصير .. و لا ينتهي إلا بعد توبة الناس خصوصا الحُكّام, ثمّ ردّ المظالم و تشكيل حكومات عادلة بحسب مواصفات حكومة العليّ الأعلى, أو على الأقل تطبيق العدالة النسبية لمحو الفواصل الطبقيّة الكبيرة التي دمّرت كرامة الأنسان لحلّ الممكن من مشاكل الناس و إيجاد مخرج لأزمات العالم المستعصية و رفع البلاء و الوباء عن البشريّة!

و نختم كتابنا بقول سديد للغاية إختصر فيها (العليّ الأعلى) حقيقة الوجود و الدّنيا بقولٍ حكيم و بديع للغاية, و قول عليّ(ع) أحكم و أعمق لأنه هو القرآن الناطق بعد القرآن الصّامت الذي هو قول الله جلّ و علا:

قال أمير المؤمنين عليه السلام كلاما في ذم صفة الدُّنيا:

[مَا أَصِفُ : مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ ، وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ.

فِي حَلَالِهَا : حِسَابٌ ، وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ

مَنِ : إسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ ، وَ مَنِ إفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ

وَ مَنْ : سَاعَاهَا فَاتَتْهُ ، وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ

وَ مَنْ : (أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ ، وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ)].

أكرّر ألجملة الأخيرة ففيها بيت القصيد و كلّ ألحِكَم آلتي جمعها هذا الكتاب العظيم و آلعظمة لله وحده, و هي:

[مَنْ أبْصَرَ بها بَصَّرتهُ .. و مَنْ أبْصَرَ إليها أعْمتْهُ],
و ألفرق ألوحيد بين آلجُملتين هو؛ (بها) و (إليها), و آلحكيم ألعارف أو مَنْ سار على نهجه يدرك عمق المعنى و الفرق بينهما في ذلك, أسأله تعالى أن يجعل هذا الجهد نوراً نستضيئ به يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم.

و هكذا وصلنا لنهاية الكتاب بعد ما تمّ بعون الله و فضله الجزء الثاني من كتاب (الطبابة الكونيّة), و هو عبارة عن موضوعات شيّقة

تضمنت قواعد رئيسيّة ومرتكزات أساسيّة في الطبابة ألنفسيّة ـ الكونيّة التي تحقق سلامة الرّوح والنّفس و بآلتالي صحة الجسد الماديّ الذي يتبع عادة روح و هوى النفس و آلتعليمات التي ترده عن طريق العقل , نسأله تعالى أن يوفقكم لقرائته بتمعن و وعي و الأستمتاع بفصوله و الإستفادة من مضامينه الكونيّة التي تغنيك عن الكثير في عصرنا هذا الذي قلّما تجد فيه مَنْ سَلِمتْ روحه و جسده و نفسه من الأمراض و الأبتلاآت و العاهات لأسبابٍ قهريّة معظمها تعود للمادة و الدولار, و قد أشرنا لها تفصيلاً بحيث لم تعد خافية على أحد.
محبتي لكم و أسأله تعالى أن يوفقكم لكل خير.

و رسالتي ألأخيرة بعد عرض ألحقائق ألمصيريّة ألّتي تُقرّر وضع الفلاسفة, هي:

رسالتي بعد عرض ألحقائق ألمصيريّة ألّتي تُقرّر؛
وضع آلفلاسفة بين آلمثقفين و آلسّلطة و آلشعب:

ألعارف ألحكيم أو ألفيلسوف ألكونيّ هو ألذي يضع كلّ مُمكن و مُحتمل بنظر الأعتبار لضمان آلعدالة و حقوق الأنسان عند تصويب قانون أو دستور للمجتمع؛ و بذلك فهو آلطبيب – ألحكيم - ألحريص من دون آلجّميع لتأمين وضمان حقوق الخلق.

فعلى يديه تتمّ مُعالجة ليست فقط ألأمراض و الكوارث و المشاكل و الإبتلاآت التي يواجهها آلمجتمع و الناس؛ بل و يسعى لتحقيق ألسّعادة و آلأمان و الرّفاه و آلعدالة آلتي تُمحي ألطبقية و الفوارق الحقوقيّة و المعيشيّة و الخدميّة و غيرها ..

لهذا فإنّ مُحاصرتهم وسحب البساط من تحت أرجلهم و قتلهم – و كما هو آلمُتّبع في عالم أليوم؛ قضيّة مدروسة و مقصودة و بآلصّميم من قبل ألحُكّام والأحزاب و آلمُتسلطين ألّذين لا خيار لهم سوى آلأستمرار في ذلك لإمتصاص دماء ألفقراء و المساكين و المرضى الذين يتمّ إستضعافهم و سلبّ إرادتهم بعد منع ألمعرفة و آلحكمة عنهم, لتصويب ألقوانين ألظالمة بسهولة بحسب منافعهم من قبل مجالسهم النيابيّة و القضائية التي تُقرّر كلّ يوم عشرات القوانين المختلفة ثمّ تُمحيها غداً لإستبدالها بأخرى و هكذا تُدار آلسّلطة بقوانين متغييرة على الدّوام ليكون آلفقراء أوّل الضحايا والمظلومين!

لقد صوّبوا الكثير من القوانين و الدساتير التي تضمن بآلدّرجة العظمى مصالح المستكبرين .. لكن أخطرها تلك التي تسبّبت بتدوين و إعمال (أخطر قانون) لمسخ البشريّة و تعبيدهم, بعد محاولة تجميّد و تحيّيد الفلاسفة و إخضاعهم لهيمنة أصحاب المال و القدرة.

و ذلك القانون ألخطير و الظالم قد أشرنا له سابقاً(1) و يقضي بتحطيم كرامة الأنسان في آلنّهاية عبر تطبيق (قانون عامّ) لم ينتبه له سوى ألفيلسوف (هيجل) الألمانيّ في القرن ألثّامن عشر و (جان جاك روسو) الألمانيّ أيضاً و آلذي تعلّم من آلأمام عليّ(ع) فلسفة ألعدالة و آلّلاطبقيّة بإعترافه هو بكون (ألأمام عليّ(ع) أستاذه(2) .. مُحذّرين – هو و هيجل - آلنّاس إلى نوع من (الغربة ألذّاتيّة) في آلأنسان بسبب القهر .. مُعلنين بصراحة أنّ (العقل الجّمعيّ حلّ محل ألعقل الفرديّ), بمعنى :

[حلول إصالة ألمُجتمع محلّ إصالة ألفرد], و بآلتالي تسيّير ألمجتمع كقطعان آلماشية بإتجاه أهداف كليّة محددة, و بآلمقابل لا حقّ لهم سوى إشباع بطونهم و لباسهم و إيوائهم في أفضل الحالات و كل جهودهم و إنتاجهم للطبقة الحاكمة و مَنْ ورائهم.

و هذا يعني مسخ كرامة الأنسان و تمييعه ضمن الأهداف الأجتماعيّة الكليّة التي أشرنا لها آنفاً لصالح طبقة الـ 1%, و فيما بعد طالع (كارل ماركس) هذه المقولة بنظرة أكثر محدوديّة مركّزاً على الجانب الأقتصاديّ فقط كما بيّنها في كتابه (رأس المال), لكن (أريك فروم) ألعالم النّفسيّ و الأجتماعي المعاصر, ذهب أكثر من غيره لبحث الموضوع, حيث أشار إلى أهمّية فلسفة الشرق - أي الفلسفة المبنية على الغيب - و مكانه الخالي في هيكلية المجتمع الغربيّ المتجّه لمصير خطير, مؤكّداً على ضرورة إدخاله في المجتمع الغربيّ, و معلناً بصراحة إلى مسألة إستهزاء و عبثية النظام الغربيّ للأنسان كفرد, و ما مقولة الفضائل الغربيّة و آلآداب و الأخلاق في العالم الصناعيّ إلّا وسيلة لإبعاد الأنسان عن نفسه و تغرّبه عن ذاته.

لو فرضنا وجود فيلسوف - ناهيك عن (فيلسوف كوني) - لندرتهم حيث لا يُولد منهم في كلّ قرن سوى واحد أو أثنان, و الحال أنّ بلادنا تفتقر كليّةً لفيلسوف و عارف حكيم يبحث في روح القوانين و غاياتها, لأنّ مصيره عادة ما سيكون بسبب الأميّة الفكريّة و الحزبية: هو آلتنكيل وآلقتل و المضايقة و الحصار و السجن و الجّوع و التشريد لكثرة جيوش ألحزبيين و المخابراتيين و الشرطة و الأمن و الحمايات العامّة و الخاصّة مع جيش من الكُتّاب و المتفيقهين التي إستأجرت عقولها للحاكمين بأمر المنظمة الأقتصادية العالمية, لهذا قلّما تجد فيلسوفاً عارفاً لم يُحاصر أو يُشرّد أو يُقتل إما بضربة سكين أو بطلق ناري أو بحبل مشنقة أو الحصار و الجوع, وهكذا تتأرجح حياته بين سندان السلطة ومطرقة الشعب!

إنّ طبيعة علاقة الفيلسوف(المُنتج للعِلم) بآلمسؤول و (الحاكم و آلسياسيّ), من أهمّ المسائل التي تُحدّد مصير ألعَالم سلباً أو إيجاباً, حيث يتداخل فيها الفكر نظراً لأنّ الفيلسوف بقوانينه يُحلّل من الجذور ليعطي الحلّ العادل و الأمثل للواقع و المستقبل بعدما يُفسرهُ بشكلٍ صائب ودقيق لا يتبدل و إمتداد الزمن حتى يوم القيامة, فهو لذلك؛ الشّهيد ألشّاهد و حامل الأمانة الكونية لبيان الحق و فلسفة الحرية و الأختيار, وإذا كانت (السلطة) أو المسؤول والسياسيّ يفتقر للوعي الكافي لأنشغاله كطبيعة له؛ فإنّهُ ينظر إلى الفكر على أنه خصيمهُ الأوّل ويجعل – أيّ ألسّياسيّ و المسؤول (الحاكم) – هدفه الأوّل .. القضاء على استقلال الفيلسوف و (المفكر)(3) الذي هو تلميذ (الفيلسوف), ويسعى المتسلطون و(السياسيّ) و الحاكم من فوقهم شراء ذمم الصحفيين والنقاد والأدباء, لكن يصعب بل يستحيل شراء ذمم الفلاسفة و هذا واقع حال عالمنا, لذلك يتعرض للبلاء و الجوع و القتل.

ألفكر المستقلّ هو نتاج الفيلسوف و أحياناً(ألمفكّر المستقل), لكنه ليس المناهض للسّلطة الحاكمة دوماً, كما لا يصطفّ في الوقت ذاته بجانبها(السّلطة) أو بجانبه (ألمسؤول أو السّياسيّ) على حساب المبادئ و القيم و الحقيقة لذا فمصيره واضح!

ولطالما صرخ الطغاة: لقد (هزم القلم السيف), فإذا ما وقع حدث وعَبّرَ عنه المفكّرون كأن يكون تبريراً لا نقداً ومباركةً للخطوات التي تمّت .. لا إشارة الى خطوات لم تتمّ, أو تأييد لما هو موجود, وليس مطالبة بما هو غير موجود؛ تولد هنا إرتياحاً لدى القائمين على القرار ألسياسيّ، حتى أصبح جزءاً من فكرنا تزييناً وتجميلاً للسلطة, في حين أن مهمة (الفيلسوف والمفكر) هي النقد الأيجابي البنّاء لا التبرير, وبيان أوجه النقص, وليس الإشادة بالخطوات التي لم تكتمل، فإذا ما تحققت الأشياء إنصافاً دعا الفكر الى تحقيقها, وهذا هو الضامن لتقدم المجتمع و تحقيق سعادته, أما مجرد الإعلان عما تحقق و التمجيد؛ فهو تكرار وتحصيل حاصل, فالواقع كما يقال: شاهد على نفسه، والحقيقة مُرّة, ومن يتجرّع مرارتها المواطن, يعني عامّة المجتمع المحكوم، إذ لا وجود لانجاز مشاريع خدمية و علمية ورفاهية و تعليمية وزراعية ووو... في نهاية المطاف بسبب الفساد وعندما يُصرّح المسؤوليين المعنيين بذلك, يؤكّدون أنّ مليارات الدولارات دفنت تحت الأرض لتنفيذ مشاريع بنى تحتية.

فبماذا يكون ردّ الفيلسوف أو المفكر المستقل وملايين الدولارات سرقت ومشاريعها على الأرض لا تحتها؟!

وما هي نسبة الفساد المالي التي وصل اليها بعض المسؤولين جراء تلك المشاريع الوهمية؟

مجرد سؤال .. و نقول أعذروا (الفيلسوف) و(ألمُفكّر) المُستقل, فَقَدَرَهُ أنْ يعيش بين سندان السلطة ومطرقة الشعب الذي يتوقّ معرفة و عرض الحقائق من خلال قلمه الكونيّ العملاق.

وصلنا من خلال هذا العرض ألموجز لعلاقة (الفيلسوف و المفكر و المثقف بآلسلطة) و هكذا مع الجماهير تباعاً؛ إلى نقطة مركزية هي بمثابة إنعطافة كبيرة في حياة الشعب و الأمة و البشريّة جمعاء, و هي موقع وأهمية المثقف و المفكر ناهيك عن الفيلسوف الكوني أو آلعارف الحكيم, الذي شئنا أم أبينا يتحمل لوحده مسؤولية قيادة الفكر و سعادة الشعب أو الأمة أو البشرية بشرط واحد أساسي هو إنصياع الساسة و الحكومة (الحاكم و المسؤول) لبياناته و فكره, كي يتحقق الهدف من الخلق و آلوجود في المجتمع.

لذلك ننادي كل المجتمعات و البشرية أيضا بضرورة أن تفتح أبوابها للفيلسوف و المفكر و للمثقف المبدع ، وأن تُفرّد له المساحات الأدارية و الإعلامية و المالية كي يوصل صوت الحقيقة للآخرين، وإننا في الوقت ذاته نطالب المفكر والمثقف سواء كان قارئا أو كاتبا أو إعلامياً، أن يعمّق دوره المؤثر في المجتمع من خلال ما يلي :

1- أن يكون إيجابياً في تفكيره ومواقفه، ساعياً إلى نشر ثقافة المحبة و الوحدة و التفاؤل و الإنتاج بدلا من الكراهية و اليأس والتباكي على الأمجاد الماضية.

2- تأسيس المنتديات الفكرية, أينما كان و مهما كان حتى لو كان مجلساً صغيراً و لساعة في الأسبوع, لتبادل الأفكار والأطلاع على آخر المستجدات مع الحلول المطروحة من الفيلسوف.

3- إمتلاك حصانة فكرية قوية، تحميه من آلثقافات ألدخيلة ، وأن يكون قادرا على تكوين فكر علمي مستقل مستنبط من الفلسفة الكونية، ساعيا إلى التحليل الواقعي السليم مع الحلول.

4- أن يكون أمينا في طرح المعلومة متجرداً من أيّ حزبية أو طائفية أو مصلحة شخصيّة، كل ما يحركه هو الغيرة على إنسانية و عدالة مجتمعه وأمته ودينه، والرغبة العميقة في تغيير واقعه إلى الأفضل حتى نيل السعادة على كل صعيد.

5- أن لا ينبهر أو ينساق وراء التهويل الذي قد يجري لبعض القضايا، والتعامل مع الأحداث بموضوعية ، وعدم إعطاء الأمور أكبر من حجمها، وآلسعي إلى تحري الحقيقة أينما كانت، لأنه مؤتمن كونيّ لإيصالها إلى آلآخرين.

6- طرح القضايا الحقيقية التي تلامس أوجاع و كرامة الأمة و من الجذور، وإحداث التغيير في عقلية المتلقي، وتحذيره من السير وراء القضايا الشكلية وآلأثارات الإعلامية، وتغييب العقل العربي والاسلامي وراء اهتمامات تصيبه بالخدر والتبلد.

7- قراءة التاريخ قراءة صائبة محللة، فالتاريخ كما يقولون كل شيئ و يعيد نفسه ، حتى يستطيع إستشفاف الوقائع التاريخية خصوصاً في هذه المرحلة الحاسمة ، وآلتحرك على ضوء ما يُفهم للتغيير والإصلاح.

8- أن يمسك المفكر و المثقف وآلمبلغ زمام المبادرة في توعية المجتمع، من بث روح الحماسة والتفاعل مع القضايا ، بمعنى أن يحمل همّ الأمة في قلبه فيتحدث عنه أينما سار ، ويبرز قضيته بالطريقة المعبرة والمؤثرة حسب مجاله الذي يعمل به ، فكرياً كان أو قصصياً أو إعلامياً، ويتواجد في الملتقيات ، يحاضر ، ينقد ويشارك ، يدرك تمام الإدراك أنه مطالب بهذا الدور أمام الله وأمام أمته و أمام الفيلسوف الكوني، و هذا هو الضامن لتحقق فلسفة الخلق في الخلق و الوجود.

أما رسالتي, فهي:

أيّها الناس:
إنّ الكونيين وحدهم رغم ندرتهم و معاناتهم في هذا آلعالم المجنون؛ يعرفون قيمة الفِكر ومكانته في آلوجود ودوره في آلتّغيير المطلوب لأحقاق الحق و نبذ الظلم, وإن (الوحدة) بدل (الكثرة) هي الضّمان لبناء الحضارة الأنسانيّة لا الحضارات – ألماديّة – الفرعونيّة – ألسّومرية – الأكدية – الكُورشيّة – البابليّة – النبوخذنصرية, التي حكمت و أندثرت .. و التي ما زال يُمجّدها و يفتخر بها ألحكام و خلفهم أنصاف ألمثقفين في كلّ بيان و مقال للأسف لرضا الحُكّام و معهم الهمج الرّعاع ألذين يساندوهم على ذلك؛ هم السبب في وضعنا وإضطراب عيشنا وعدم إستقرارنا اليوم!

لأنهم – الحكام و الناس معهم يكرهون الفكر و آلحريّة بعد ما تمرّسوا العبوديّة و إستمرؤا الذّل لأجل ألرّواتب الحرام و الشّهوات و المراتع المحدودة كآلمخلوقات الأخرى بل و أضلّ .. و هكذا هم أعضاء الأحزاب و الأئتلافات و آلمتحاصصين ألمتوافقين الذين يعتاشون على الأموال الحرام الجاهزة من قوت و دم الفقراء و يفعلون ما طاب لهم بلا وعي و وجدان و علم ..

فآلعراق كما باقي بلاد العرب و العالم لم يعُد ينتج شيئ من آلفكر لتوقفه عن الأبداع وبآلتالي لا ينتج ما يحتاجه آلناس وآلبلاد في حياتهم بل يستوردون كل شيئ تقريباً .. حيث التكنولوجيا و الغذاء الصّناعي قد حلّ بدل الطبيعي .. و هكذا كان الحكام و الناس من ورائهم عبر التأريخ مستهلكين ظفيليين على أكتاف الكادحين من العمال و الفلاحين .. لذالك إستشهد جميع الأنبياء و المرسلين و أوصيائهم حتى الأمام الحُسين بن علي و حفيده حسين العصر و آخرين إستشهدوا لأجل العدالة الكونيّة ..

لقد بلغ عدد الأنبياء و آلمرسلين الذين ضحّوا و إستشهدوا أكثر من 124 ألف نبي بآلأضافة لأوصيائهم و نوابهم و من تابعهم من الشهداء و الصّدّيقين, و لم يفلحوا لأقامة حدود الله إلاّ في فترات محدودة جداً!

و هكذا ما سمحتْ الحكومات التي كانت تتشكل بآلمؤآمرات و الإئتلافات و التوافقات حتى آلآن لتكبّرها و شهواتها و غبائها؛ على تحقيق العدالة أو حتى إدامة آلبحث و التحقيقات العلميّة و دعم الفلاسفة و المفكريين كروّاد لأنتاج العلم و هداية الناس و بآلتالي لتحسين الأحوال و تقسيم الثروات .. بسبب كرههم – أي الحكومات و الأحزاب ـ للفكر و مُحاربتهم للمفكرين و الفلاسفة و تشريدهم خوفاً على مناصبهم و منافعهم التي هيمنت عليها (المنظمة الأقتصاديّة العالميّة).

ممّا تسبّب ذلك الوضع بتجميد بل موت ألفِكر و آلرّوح و الضمير و مسخ الناس مع شيوع الشهوات و آلحالة الطفيليية و اللهوث على الرّواتب بآلحرام و الحلال و سرقة المليارات و نمو الطبقيّة بشكل كبير مع شديد الأسف .. ليكون (آلفِكر) في النتيجة هو الشهيد المنبوذ الوحيد الذي ما زال معلقاً على أبواب آلدّول و آلمدن الحزينة فيها خصوصاً في عراق المأساة و الفوضى مع باقي البلدان و كأنّ ظلم الحُكّام بآلتوافق مع أهل "الدّين ألتقليدي" باتت مسألة طبيعيّة لا يمكن الخروج ضدّه .. كآلذي ساد في القرون الوسطى و إستمر مع ظهور البرجوازيين و المُتكتبين و المتفيقهين من وعاظ السلاطين (أصحاب؛ سيادة الرئيس وتصريح الراوي وحدّثنا فلان .. و صرّح السيد الوزير فلان و إجتمع المندوب فلان و أكل الرئيس وجبة عشاء و إنتقل المغفور له المعظم ...) و هكذا خلفهم الهمج الرّعاع الذين أصروا بعد شيوع الأميّة الفكرية على عزله ـ أيّ الفكر ـ بعمدٍ .. بل و إظهاره و كأنهُ الخطر الوحيد الذي يُهدّد حياة الناس .. ليكون درساً وعبرةً لكل مَنْ يفكر بآلعدالة و لئلا يقترب أحد منه .. خوفاً من آلتوّحد و درء التكثّر و نشوب ثورة الوعي التي تقلب الطاولة من أمامهم و تُفسد مصالحهم الخاصة و مآربهم الشيطانية و بيوتهم الشخصيّة و الحزبيّة الضيقة و أفكارهم المتحجرة .. ليستمر النّهب و الفساد و الظلم و المرض و آلفقر و الخراب على الأمة .. لأنّ إنتشار الفكر و الوعي يُنهي الفواصل الطبقيّة و يُوحّد الناس و بآلتالي يُحرمهم من الفساد و الواسطات و الرواتب الحزبية و كنز الأموال و تكبير الفوارق الطبقيّة و الحقوقيّة عبر ضرب الرّواتب و التقاعد الحرام و المخصصات و الهبات و النثريات و العطيات المليونيّة – بل المليارية ـ و قِطع الأراضي و الحصص و البيوت و القصور و المراكب و الحمايات شرقا و غرباً.
مع كامل ودّي و أحترامي للجميع
ألعارف الحكيم /عزيز حميد مجيد

---

(1) للتفاصيل: راجع صفحة (52) من هذا الكتاب.
(2) هذه الشّخصيات، وبسبب عقدة النقص الحضاري التي نعاني منها، لا تجد لها جواز سفرٍ إلى قلوبنا كما يبدو، إلا من خلال الاستشهاد بكلمات أولئك الكتب والمفكّرين الغربيين. آخر هذه الإصدارات الغريبة ما نُسب لجان جاك روسو: «ما وجدت في التاريخ من يستحق كلمة أستاذ بمفهومها سوى رجل واحد هو علي بن أبي طالب». وعرّف مخترع هذه الكلمة روسو بأنه «فيلسوف فرنسي»، ليُعلي من شأن علي ابن أبي طالب!
(3) ما بين شكوى آلمفكّر و المُثقف و ما يُقابلها؛ لدينا حقيقة ثابتة على أرض الواقع و هي تعطيل هذه الشريحة المهمة عن القيام بمهامها و تبوّء موقعها الرّيادي داخل مجتمعاتها سواء كان ذلك ناتج عن غيابها او تغييبها على الأكثر, و لكن بقدر ما تمثله هذه النتيجة من حقيقة في الواقع العملي إلّا أنّها و في بعض جوانبها تحتاج الى بيان و توضيح لكشف بعض الملابسات غير الواقعيّة التي أحاطت بها سواء كانت من جانب ألمفكر أو الفيلسوف و مَن خلفه من المثقفين و الكُتّاب أو المجتمع أو الحكومات.

تمّ الكتاب بفضل الله و تسديده